دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله

تأليف الباحث التونسي
محمد الرصافي المقداد



إصدارات العتبة ٥٤٨
إصدارات الشعبة ٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة العراقية ٣٣٨٥ – لسنة ٢٠١٨

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	BP24.95 .R37 2018
المؤلف الشخصي:	الرصافي المقداد، محمد، ١٩٥٣- ، مؤلف.
العنوان:	دفاعا عن النبي صلى الله عليه وآله/
بيان المسؤولية	تأليف محمد الرصافي المقداد
بيانات الطبعة:	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الدينية، شعبة النشاطات الدينية، ٢٠١٨ / ١٤٤٠ للهجرة.
الوصف المادي:	330صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٥٤٨.)
سلسلة النشر:	(شعبة النشاطات الدينية ؛٧٨)
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
موضوع شخصي:	محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١هجريا – دفع مطاعن.
موضوع شخصي:	محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١هجريا – في الحديث.
موضوع شخصي:	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، البخاري، ١٩٤-٢٥٦ للهجرة – الجامع الصحيح – نقد وتفسير
مصطلح موضوعي:	عصمة الانبياء.
مصطلح موضوعي:	احاديث اهل السنة – شبهات.
مصطلح موضوعي:	الحديث – اسناد.
مصطلح موضوعي:	المحدثون أهل السنة.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الدينية. شعبة النشاطات الدينية – جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة الفهرسة

دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله الشريف

تأليف

محمد الرصافي المقداد

العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الدينية
شعبة النشاطات الدينية

طبع برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

شهدت الساحة الإسلامية على امتدادها، حراكاً متواصلاً، خرجت فيه جماهير الأُمة، بمختلف أعراقها واتجاهاتها الفكرية والعقائدية، منددة بآخر عدوان شنه الغرب المعادي للإسلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، والذي كشف فيه عن حقد دفين لمقدساتنا، من خلال سماحه بإنتاج وترويج (فيلم) مسيء للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم سنة ٢٠١٢م، وقد كشف مخرج الفيلم الهولندي (أرنود فاندور)، فيما بطاطعد أنَّ لوبياً أمريكياً إسرائيلياً شجعه على إنتاجه.

وكان من قبل قد سمح لعملائه – وهو دعيّ حقوق الإنسان – بنشر صور مسيئة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم صحيفة (يولاندس بوستن) الدنماركية بنشرها في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م، وبعد أقل من أُسبوعين، وفي ١٠يناير ٢٠٠٦م قامت الصحيفة النرويجية، والصحيفة الألمانية (دي فيلت)، والصحيفة الفرنسية (فرنسا المساء)، وصحيفة (شارلي هبدو)، وصحف أُخرى في أُوروبا، بإعادة نشر تلك الصور

الكاريكاتورية، مستخفاً ساسة ومجتمعاً بعقائدنا كما خطط لذلك، باحتضانه للمرتد (سلمان رشدي) صاحب كتاب (الآيات الشيطانية) ومنحه ما لا يستحق من عناية وحماية، بعد أنْ أصدر السيد الخميني فتوى بإهدار دمه.

لقد تعددت أساليب الغرب في الإساءة إلى مقدساتنا، بدءاً من اختراق صفوفنا بالمندسّين منه، وتمرير عقائدهم وأحكامهم المنحرفة إلينا، وتشجيع كلِّ ما يخالف الإسلام، ويناقضه من أفكار ومشاريع قوانين، تحت عناوين متنوعة، كالمدنيّة ومواكبة الحضارة وحقوق الطفل والمرأة، جمعوها كلَّها، في إطار الحريات الفردية والعامة، وتظاهر بالدفاع عنها، إيهاماً لسذج أهلنا، أنَّهم دعاتها وأصحاب راياتها، ومن خلال تحسسهم لنقاط ضعفنا، أمكن لهم أنْ يقفوا على ثغراتها، ويعملوا على تعميق أسبابها، لتبقى يدهم الطولى، وصوتهم الأقوى في عقر دارنا، فاحتلونا أولاً، وامتهنونا أثناءً، وأذلونا أخيراً، حتى لم يعد هنالك شيء لم يفعلوه بنا، وتأخروا في القيام به، وعوض أنْ نتمسك بديننا ونستلهم منه قوتنا وعزتنا، انخرطنا في مؤامرات الغرب على ديننا، بعنوان المدنيَّة والحضارة والثقافة، بل وذهبنا إلى أبعد من ذلك، فوقف من وقف بيننا بوقاً مروجاً لمدنيّتهم الزائفة، وانضوى من انضوى تحت لواء جاهليتها، باسم الحداثة والعصرنة.

واستطاعوا أنْ يسلطوا على رقابنا، أنظمة لم تعرف من الإسلام سوى رسمه،

ومن الدين إلَّا اسمه يدارون به الناس، فجثمت على الحجاز بمساعدة الإنكليز، أُسرة غرقت في العمالة للغرب إلى أُمِّ رأسها، واستوطن بالمشرق والمغرب، من ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، حتى أفضوا بنا إلى حضيض الأُمم، جسداً بلا حركة ولا روح، تنهشنا الذئاب، وتأكل من خيراتنا الكلاب.

ما يحزنني هنا أنَّنا، أصبحنا دمية بين أيدي الأعداء، يحركوننا كلَّما أرادوا استفزازنا، كأنَّما يريدون صرفنا مجدداً عن الالتفات إلى بيتنا وتراثنا الإسلاميين، هذا البيت الذي اشتمل على ثلمات افتعلتها أيديهم الآثمة، عندما تغلغلوا بيننا بواسطة جواسيسهم وعملائهم، ووصلوا إلى كسب ثقة أسلافنا، ومن ثمّ دسّ سمومهم المسيئة لديننا، تلك السموم التي اعتمدوا عليها في الإساءة إلى نبينا الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، ودينه خاتم الرسالات الإلهية.

قد يستغرب البعض من كتابتي، وقد يراها من باب صرفه عن وجهته التي هو موليها، في تثبيت جرم الإساءة إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، على الغرب العدو الحقيقي، لكنَّه عندما تظهر له أعراض الإساءة من تراثنا ومصادرنا، التي طبل لها أسلافنا ومجدوها، وزكّوها بلا تردّد، وأضفوا عليها لقب الصحة، وألبسوها صفة القداسة، وهي التي لا تزال تحتضن سيئات ما مكر أعداؤنا، بحق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ودينه الخاتم، سيقتنع أنَّ الإصلاح يبدأ من الداخل،

ثمَّ يتدرج إلى ما وراء ذلك.

البخاري في صحيحه يسيء إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم

من منا لا يعرف جامع الأحاديث لـ«محمد بن إسماعيل البخاري» (١٩٤/ ٢٥٦هـ)، الذي عدّ من أكبر وأهمّ علماء الحديث، عند المخالفين لنهج أئمة الهدى من أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، الذي عرف بـ(صحيح البخاري) الذي حوى قرابة أربعة آلاف حديث، وحسب ما نقلوا عنه أنَّه كان يحفظ ستمائة ألف حديث صحيح، وقد قال النووي بشأنه: (أجمعت الأُمَّة على صحة هذين الكتابين ووجوب العمل بأحاديثهما) يعني صحيح البخاري وصحيح مسلم[١].

وقال الإمام الشوكاني: (واعلم أنَّ ما كان من الأحاديث في (الصحيحين) أو في أحدهما، جاز الاحتجاج به دون بحث، لأنَّهما التزما الصحة، وتلقت ما فيهما الأُمَّة بالقبول)[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني: (والخبر المتحف بالقرائن أنواع، منها ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما، ممّا لم يبلغ حدَّ التواتر، فإنَّه احتفت به قرائن، منها: جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء

---

(١): شرح صحيح مسلم، النووي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض ج١ ص١١٦.

(٢): نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم ج١ ص٦٢.

لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر)(٣).

وقال أبو الحسن الندوي: (وليس الاتفاق بين الأُمَّة وعلمائها مجرد مصادفة، ولا عن تواطؤ ومؤامرة، وقد أعاذ الله هذه الأُمَّة التي اختارها لحمل دينه وتبليغ رسالته أنْ تكون فريسة غفلة وغباوة، وأنْ تجتمع على الضلال، بل كان ذلك إلهاماً من الله)(٤).

إلَّا أنَّ هاذين الكتابين تضمنا روايات مسيئة، نسبها أصحابها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم تحطّ من مقامه الرفيع وتسيء إلى شخصه العالي عن الإدراك، نرى لزاماً علينا كمسلمين نريد نصرة الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم أنْ ننبه إليها ونكشف مضامينها الفاسدة ليتبرأ منها كلُّ محبٍّ لله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم

لا أظنّ أنَّ هناك إساءة أكبر ممّا رواه البخاري، في ما لقب به جامع أحاديثه (الصحيح)، من كون النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ذهب مراراً إلى رؤوس شواهق الجبال لكي يتردى منها، كلَّما أبطأ عنه الوحي(٥).

---

(٣): نزهة النظر لابن حجر العسقلاني ص ٦٠.

(٤): لامع الدراري على جامع البخاري للكاندهلوي ج١ص١٠.

(٥): صحيح البخاري كتاب التعبير/ باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي/ حديث ٦٥٨١.

تصور أخي القارئ المشهد، هل يمكن أنْ تتقبله؟ وهل كان البخاري يدرك ما تضمنته هذه الرواية من إساءة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ بصرف النظر عما تخللها من نسبة الجهل إليه بأنَّه لا يعرف أنَّه رسول من الله واحتاج في ذلك إلى تسديد من «أُمِّ المؤمنين خديجة عليها السلام» و«ورقة بن نوفل» النصراني اليهودي المختلط.

وقد نقلوا عن البخاري قوله: (صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين، وتيقنت من صحته، كما أدخلت فيه ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول، وصنفته لست عشرة سنة، وخرّجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله)(٦). فهل كان يتحرّى تدوينه حقيقة بذلك الأُسلوب التقوائي، أم أنَّه مجرد كلام تفنّده روايات كثيرة أخرجها في كتابه، لا علاقة لها بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أدباً وسيرة؟

التعصب المذهبي

هو الدابة البغيضة التي ركبها جهال الأُمَّة، وقليلو العلم والمعرفة بحقائق الدين، الذي أراد أنْ تكون الأُمَّة واحدة، مجتمعة على دين الله وإقامة نظامه، ووسطاً في علاقاتها ومعاملاتها، ومعتدلة في آرائها واعتقاداتها، لا تتباين فيها تباين

---

(٦): شرح صحيح البخاري المعروف بمصابيح الجامع الصحيح للدماميني ج١ ص ٣٢.

الأضداد، ولا تختلف عن بعضها، بما أتاحه الله لها، من سبل معالجة أسباب اختلافها، وتأليف ما بينها، وهي المرحومة إذا بقيت على العهد أُمَّة لله لا ترجو سواه، لأنّ سواه وهم لا حقيقة له.

وللتعصب نشأة قديمة حركها الظالمون، وعمل عليها أعداء الإسلام، ليفرقوا بين مذاهب المسلمين، ويحولوهم من وضعهم الطبيعي في الاجتماع والأُلفة، إخواناً متحابين في الله، ومتعاونين في سبيله، إلى أعداء متنافرين ومتحاربين، يستبيح بعضهم دماء بعضهم الآخر.

ولقد شهدت الساحة الإسلامية قديماً ووسيطاً وحديثاً، أمثلة على تعصب في منتهى البلاهة والحمق، أدّى إلى كوارث حلّت بالأُمَّة، وطبيعي أنَّ الانخراط في هذا الإطار الدخيل على الإسلام، والمضي فيه لا يترك للعقل مجالاً ليحتكم إليه أهل العقل.

وإذا كان الإسلام هو دين الله وخاتم رسالاته وهو الذي أنبأنا أنَّ الاختلاف بيننا حاصل بمقتضى علمه بما سيكون ونبهنا إلى أنَّ مرجعيته تعود إليه باعتباره صاحب الشأن في بيان أسبابه ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٧) .

(٧): سورة المائدة الآية ٤٨.

وطالما أنَّ الأمر كذلك فلِمَ كلُّ هذا التعصب؟ وتجييش المسلمين بعضهم على بعض، في مشهد يدعونا إلى التساؤل لمصلحة من يكون هذا الداء؟ ونداءات القرآن الكريم المطالبة بخلافها، قليل من ردَّ عليها بالإيجاب ولبى نداء الله فيها؟

ذكر صاحب كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، هذا الأمر فقال: (وقد رأينا كيف تغلبت روح التعصب المذهبي الشديد، كما تغلبت الفكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب الأربعة، وتطوّرت الدعوة إلى ذلك بصورة واسعة، وأخذ نشاطها يزداد، حتى جعل من قلّد غير هذه المذاهب، خارجاً عن الدين، فكان هناك نزاع واحتدام وتعصب حتى بين معتنقيها، أدّى إلى معارك دامية، واتهام البعض للبعض الآخر، وتكفير قوم لآخرين، حتى قال قائل الحنفية، لو كان الأمر لي، لأخذت الجزية من الشافعية.

وأصبح كلٌّ يحتكر الإيمان بالله والتصديق بنبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلم لأبناء مذهبه، وأنَّ الجنة وقف عليهم، ولا نصيب لأحد فيها معهم، خلافاً لما جاء به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وخروجاً عن تعاليم الإسلام، حتى قال أحد الحنابلة: إنَّه من لم يكن حنبلياً، فليس بمسلم)(٨).

---

(٨): أسد حيدر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٣ ص١٣.

وهكذا أدّت تدخلات الحكام إلى نتائج أساءت كثيراً إلى حركة الفكر الكلامي، وشجعت قيام ظروف ملائمة للاتهامات والعداء، وإذا نظرنا إلى تاريخ الحكام في الإسلام وموقفهم من أعدائهم، رأينا أنَّ سلاح التكفير والخروج عن الدين، كان من أهم ما يشهره الحكام لاجتناب العامة، واستغلال مشاعرهم المختلفة، والبروز بمظهر ديني غير حقيقي، ولما حدثت هذه الأحداث، وتحكمت النزعات، وهيمن التعصب على النفوس، تبادلت الطوائف الاتهامات، وأصبح الاتهام بالبدعة والضلالة أمراً مألوفاً، كما أصبح استحلال الدم، وما يتبع ذلك من فظائع الأُمور، التي تشل حركة الفكر، وتمزق المجتمع شرَّ ممزق، إذ لم يكن استخدام لفظتي البدعة والضلالة قائماً على أساس صحيح، مجرداً من العواطف والنزعات الخاصة، فقد تدخلت الأغراض المختلفة: أغراض الملوك، وأغراض المتنفذين، والمتزعمين في شتى الميادين، وقوبل استسهال الحكم بالكفر والضلال، بأعمال مقابلة، ومرّت الأعوام ولفظتا الضلالة والبدعة، تستخدمان وفق الأغراض، وكلُّ جهة يصدر منها الاتهام، يصدر من أُختها في الدين ما يقابل ذلك(٩).

وهذا الذهبي صاحب علم الجرح والتعديل لدى العامة، يتردد في إدانة البخاري، في ما أخرجه من مخاريق وترّهات وأوهام وخرافات، ألصقها بالنبيِّ

(٩): أسد حيدر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٧ص٥٣.

صلَّى الله عليه وآله وسلم متعمّداً وهو الذي أحلَّ نفسه، أو أحلَّه غيره منزلة رفيعة، لا تتناسب مع ما أخرج وسوّد صفحات كتابه بها، فيعلق عند ذكره لبعض روايات البخاري بقوله: ولولا هيبة الصحيح لقلت إنَّها موضوعة(١٠).

ورغم تصدّي بعض أهل الاختصاص في علم الحديث والرجال، لنقد بعض مرويات البخاري، إلَّا أنَّ ذلك النقد قوبل باعتراض شديد، من قبل أهل العصبية والأهواء، فمنهم من عنّف، ومنهم من فسّق، فارتدّوا على آثارهم حسرة وأسفاً، يرون التوحيد والنبوة تنتهكان، فتلصق بهما تحريفات ما أنزل الله بها من سلطان، كأنَّما كتبها بقلم الحقد اليهودي الأعمى.

ومن طريف ما نقل عن كتاب البخاري الجامع: أنَّ مجلس المبعوثين في عهد الأتراك بالعراق قد قرر مبلغاً جسيماً لوزارة الحربية جعلوه لقراءة البخاري في الأسطول، فقال الشاعر العراقي الزهاوي –وكان عضواً في المجلس–: أنا أفهم أنَّ هذا المبلغ في ميزانية الأوقاف أمّا الحربية فالمفهوم أنَّ الأسطول يمشي بالبخار لا البخاري/ فثار عليه المجلس وشغب عليه العامة(١١).

ويذكر أيضاً أنّ السلطان (مولاي إسماعيل المغربي) إذا سافر، قدّم نسخة من

---

(١٠): تهذيب التهذيب ج٨ص١٤٦.

(١١): الإمام الصادق والمذاهب الأربعة/ أسد حيدر ج١ص٨٢

صحيح البخاري، محمولة على دابة من أفره الدواب، مقتدياً في ذلك بأثر الموحدين، في تقديم المصحف وكتب الصحاح أمامهم. والسلطان نفسه أمرهم أنْ يحملوا صحيح البخاري في تابوت، يضعونه أمامهم في جميع حروبهم، وفي فترات لاحقة، وبعد أنْ تأسس لهذا الجيش أُسطول بحري، أمروا بوضع نسخ مصغرة من البخاري مع أعلام السفن(١٢).

هذا أحد أخطر أنواع التعصب - ومنه ابتليت الأُمَّة بالكثير- يعمي بصيرة صاحبه، فلا يرى غير البخاري، ويقدّمه على كتاب الله، نعوذ بالله من زيغ القلب، وتيه العقل، وفساد الفكر، وركاكة الطبع.

مسلم النيسابوري يتأسى بالبخاري في نقل روايات الإساءة

لم يقف البخاري عند ذلك الحدّ بل ذهب إلى تسوية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بأدنى الناس فنسب إليه التبول قائماً عند سباطة قوم، وجاراه على ذلك مسلم فنقل الرواية تأسياً به(١٣).

---

(١٢): انظر جهود السلطان مولاي إسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية وازدهار الحياة الفكرية بالمغرب. (أحمد إيشرخان. دعوة الحق ص٤٠٤).

(١٣): البخاري كتاب الوضوء/ باب البول قائماً وقاعداً ح٢١٧ و٢١٨ و٢١٩/ كتاب المظالم الغصب/ باب الوقوف والبول عند سباطة قوم ح٢٢٩١// مسلم كتاب الصهارة باب المسح على الخفين ح٤٠٢ و٤٠٣.

فكيف ينهى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم عن عمل قبيح كهذا ويدَّعي هؤلاء الذين أخرجوا هذه الروايات أنَّه فعله؟ ألا يعدُّ هذا افتراءً وتجنياً في حق أفضل مخلوقات الله؟

ليس هذا فقط، وإنَّما تتملكك الغرابة من تهافت البخاري وبقية ممّن تلقبوا بأصحاب الصحاح، في جمع وتدوين الروايات المسيئة إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، دون التفات إلى مضامينها المخالفة لأخلاقه ووظيفته، بل هي متعارضة في متونها مع القرآن الكريم، كرواية سحر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم على يد يهودي ثلاثة أشهر(١٤).

ألا ترى أخي القارئ أنَّ نسبة السحر إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم تهدم مسألة علاقته بالوحي، ودوره في البلاغ وحضوره الذهني والروحي من أجل ذلك، وفوق هذا ما صرح به القرآن من أنَّ السحر كيد يبطله الله وهو الذي لا يصلح عمل المفسدين فكيف يستقيم سحر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أشهر يعتقد أنَّه يأتي الشيء ولا يأتيه مع أداء تكليفه الذي كلفه الله به من تعليم وإدارة ورعاية وحضور كامل في مختلف أوجه حياته الخاصة وحياة المسلمين العامة؟

---

(١٤): رواه البخاري كتاب بدء الخلق/ باب صـفة إبليس وجنوده// كتاب الطب/ باب هل يستخرج السحر/ ح٣٢٦٨// صحيح مسلم/ كتاب السلام/ باب السحر ح٢١٨٩.

ولم يتخلف أصحاب بقية المسانيد والسنن عن إخراج هذه الفرية، وزاد الألباني الطين بلة فصحح الحديث، كما درج عليه خط الإساءة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

بين نصرة البخاري ومسلم ونصرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم

إلى متى يبقى التهيب من ردِّ هذه الروايات الباطلة، حفاظاً على هالة الصحة التي أُضفيت على تلك الكتب؟ أفلا يكون تنزيه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بردِّ تلك الروايات وتكذيبها، أَولى من الإصرار على صحتها ستراً لاختلال تلك المدونات والإبقاء على ما يسيء للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ويشوه نقاء صفحته من كلِّ شائنة؟

ولقد كنت كتبت منذ ما يزيد على عشرين سنة، مقالاً بعنوان: افتراءات على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم جمعت فيه ما أمكنني جمعه من روايات باطلة أُلصقت بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، دونها حفاظ الحديث والسيرة، تعدُّ مسيئة له، ويجب ردُّها على مدونيها، وقد اخترت بعضاً منها في هذا المقال، طلباً للاختصار، وتحسيساً لذوي التأسّي الحسن وأُولي الاعتبار، فهل من معتبر؟

وأُتيحت لي فرصة الاطلاع على عقيدة الفرق الإسلامية، فوجدت أنْ أُقوّم

وأُصوّب عقيدة في النبوّة، تلك التي يعتقدها المسلمون من أتباع أهل البيت عليهم السلام، ذلك أنَّ النبوة عندهم هي سفارة عن الله، ولطف من ألطافه، ينتجب لأجلها من عباده أفضلهم، فيما يعبّر عنه بالاصطفاء الإلهي، ومن مستلزماتها عصمة المصطفى من الذنوب، صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها، لأنَّه مقدّم من طرفه كمثال ونموذج عالي المضامين لشريعته، وهو القدوة والأُسوة للمرسل إليهم من مجتمعات البشرية، وجميع أعماله وأقواله حجة عليهم، باستثناء ما كان مخصوصاً له.

بينما ترى بقية الفرق أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم غير معصوم قبل النبوة، أمَّا بعدها ففي الوحي فقط، كأنَّما الوحي معنيٌّ بجانب من الحياة دون آخر، وكأنَّما النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قد خصص قسماً من حياته خارج إطار الوحي، فلا يجب فيه اتباعه، كرواية (تأبير النخل) المشحونة سخافة وتداعياً.

إنَّنا نعيش اليوم في عصر التقت فيه العقول وأفكارها، والقلوب ومعتقداتها، لتنفض عنها سقيم القول، وتبعد موبوء الذّكر، في منتهى التعقل، ورجاحة التفكير، القائم على أساس من الحجة والبرهان، لأنَّ الحق دائماً يلعو ولا يُعلى عليه، والحق أحق أنْ يتبع.

من واجبنا كمسلمين أنْ نلتفت إلى سدِّ هذه الثغرات، ومنع تمددها في بيتنا

الإسلامي، فقد ولّى الزمن الذي كان فيه العلم حكراً على فئة قليلة من الناس، وعلى الدارسين اليوم لهذا التراث الضخم الذي تزخر به مكتباتنا الإسلامية، أنْ يولوا عناية بما نُسب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلم، فينقّوا منه السقيم، ويميزوا السليم المطابق لكماله، كعبد اصطفاه الله تعالى، ورفعه مكاناً علياً، اعترافاً بما قدمه للإسلام ولنا كمسلمين، وهذا أقل ما يمكن أنْ نفعله، في زمن تفشي ظاهرة امتهان الإسلام، والاستخفاف بمقدساته، والتمادي في طمس حقائقه.

فمن كان يحبُّ الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم فعليه نصرته بما يليق بمقامه، ويتناسب مع شخصه، الذي أرسله الله سبحانه وتعالى على فترة من الرسل، ليكون رحمة للعالمين، وأول ما يمكنه فعله البراءة من هذه الإساءات، التي ضمتها مجاميع الحديث، سواء أقصد أصحابها الإساءة، أم كان تدوينهم لتلك الروايات عفوياً، وهذا أضعف الإيمان، لمن يريد حقيقة ردّ الاعتبار للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ودحض ما أُلصق به من تشويه.

ولينصرن الله من ينصره إنْ الله لقويٌّ عزيز.

محمد الرصافي المقداد – تونس

الفصل الأول

قراءة في معاني النبوة

العقل محتاج في علمه ونتائجه إلى السمع، وأنَّه غير منفك عن سمع ينبه العاقل على كيفية الاستدلال، وأنَّه لا بُدَّ في أول التكليف وابتدائه في العلم من رسول[١٥] وقد جرت سنة المولى سبحانه وتعالى في إرسال الأنبياء، وبعث الرسل، وتعيين أوصيائهم، من أجل غايتين اثنتين:

الأُولى: البلاغ والحفظ

إنَّ السبب الذي من أجله خلق البارئ تعالى الإنسان، وسخر له كوكب الأرض، ومكّن له من المعارف والعلوم ما يلبي حاجاته، هو تهيئته إلى فضاء أرحب ومجال أوسع، فالأرض التي عبّر عنها المولى تعالى بالدنيا لدناءتها وصغر مقامها، هي المحطة التي تفضي إلى العوالم الأُخرى، والتي تعدُّ الأهم في مسيرة هذا الإنسان، الذي خلقه الله ضعيفاً، محتاجاً دائماً إلى التذكير بأنَّ عالمه الذي يعيش فيه، ليس هو الغاية، وإنَّما مقامه ذلك هو مقام الممتحن والمبتلى، ليشكر أم ليكفر، فقرن مسيرته

---

(١٥): أوائل المقالات للشيخ المفيد ص٤٤/ ٤٥.

تلك بمسيرة موازية لمئة وأربعة وعشرين ألف نبيٍّ ورسول، ليبلغوه حقيقة الدنيا وينذروه من غرورها وغواياتها، ويبلغوه عن الخالق تعالى، أنَّ الركون إليها مدعاة للضلال ومنسأة للغاية التي من أجلها جاء خلقه، وإنْ كان محجوباً عن أكثر الحقائق الغيبية، فإنَّ بعضاً من تلك المعاني حاصلة في وجدانه نابتة في كيانه.

قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ..﴾(١٦).

ودور الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يكمن في جانبين، أوّل نظريّ بحمله رسالة الله وبثها في الناس، وقال أيضاً: ﴿إِنَمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ..﴾(١٧) وقال أيضاً: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ..﴾(١٨) وقال كذلك: ﴿إِنَمَا أَنْتَ مُنْذِرُ..﴾(١٩)، وآخر تطبيقي جسدوه في سيرتهم وسلوكهم، قدّموه كنموذج راقٍ لحياة الإنسان الكريمة الخالية من نزغات الشيطان وحزبه.

غير أنَّ البلاغ المشار إليه، لم يكن بمنأى عن التحريف والتشويه، ممّا يجعل إفاضات الخالق على مخلوقاته عرضة لإرهاصات الشيطان وأتباعه، وإنْ كان كيده ضعيفاً، إلَّا أنَّه استطاع أنْ يغوي الكثيرين ممّن كان همّهم الدنيا ومتاعها، مستبدلين

(١٦): سورة إبراهيم الآية ٥٢.

(١٧): سورة الرعد الآية ٤٠.

(١٨): سورة الحجر الآية ٩٤.

(١٩): سورة النازعات الآية ٥٨.

بذلك الزائل على الدائم، والطيب على الخبيث، فطفقوا بالأديان تحريفاً وتزويراً، ممّا باعد بين الحقيقة وطالبها، والأصل الذي جاء به الوحي، من المموه الذي أتى به الشيطان وأولياؤه، لذلك فإنَّ كلَّ الشرائع الإلهية لم تسلم من أذى أعدائها، كما هو مصرح به في الكتاب العزيز، تنبيها للأُمَّة بأنَّ الشريعة الخاتمة لن تسلم هي أيضاً من ذلك الطارئ.

الثانية: التطبيق والهداية

وحيث إنَّ بلاغ الأنبياء والرسل عن حقيقة الكون والحياة لم يكن بمعزل من التطبيق، فإنَّ من بين تكليفات تلك الصفوة من الخلق تطبيق ما أرسلوا به وهداية الناس إليه، بذلك الشكل العملي الواضح، حتى يتيسر للناس الفهم والإدراك الصحيح، تيسيراً لهم وتبسيطاً، وحجة بالغة عليهم.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾(٢٠). وقال أيضاً مخاطباً رسوله الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ..﴾(٢١) وطلب الاستقامة من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في الآية الأخيرة، دال على أنَّ المطلوب من المبلغ أنْ يبدأ بنفسه تطبيق الآداب والأحكام والالتزام بها، ليكون نموذجاً

(٢٠): سورة الأنعام الآية ٩٠.
(٢١): سورة هود الآية ١١٢.

يحتذى، ومثالاً يستمد منه الناس العون، على الفهم والتطبيق من بعد ذلك، ومن ادّعى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مكلف بنقل ما يلقى إليه من وحي فقط، ليبلغه إلى مجتمعه، وما عدا ذلك فهو كسائر بني البشر، فهو صاحب اعتقاد خاطئ عليه أنْ يصححه، قبل أنْ يلقى ربَّه ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فلا يجد عندهم معذرة له.

والقول بأنَّ الكتاب وحده يكفي ليهتدي به الناس، ضرب من المغالطة ونوع من التمويه، لأنَّ الكتاب وحده يستلزم ناطقاً عنه، بحيث لا يمكن فهمه، إلَّا عن طريق ذلك الناطق، فقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٢٢) دليل على أنَّ الكتاب وحده لا يكفي، ليكون وسيلة هداية، من دون قائم عليه ناطق عنه، حافظ لمحتواه، عارف بكلِّ معانيه الظاهرة والباطنة، مدرك لكلِّ مقاصده، واعتماد مقولة الكتاب وحده كعنصر هداية، تغطية على مسار خاطئ، استعمل الكتاب شعاراً له، ولكنَّ رافعيه لم يعملوا بمضمونه في واقع الأمر بعد ذلك، ويكشف في مضمونه عن تنصل من مقاصد الأحكام، وإفساح مجال للتحرر من قيودها، بالتأويلات الخاطئة والذرائع المعطلة.

ولو كان الكتاب وحده عاصماً من الضلال، وموصلاً إلى الهداية والتوفيق،

---

(٢٢): سورة آل عمران الآية ٣١.

لما استلزم أنْ يرثه الصفوة عن الصفوة، ولا أنِ احتاج إلى نبيٍّ أو رسول ليضعه بين أيدي الناس. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢٣).

عصمة الأنبياء عليهم السلام من مستلزمات بعثتهم وضرورتها، فهي لازمة لهم عقلاً وواجبة شرعاً، ولا اعتقد منطقياً أنَّ أحداً من علماء الأُمَّة بمختلف مذاهبها قال بعدم وجوب عصمتهم مطلقاً، وإنَّما الاختلاف في هذه المسألة جزئي طرأ على هذه المسلَّمة، فدخل فيها ما عكّر صفوها، وأحالها على من لا يهمّه من البعث والشرع والميعاد شيءٌ، بتقصير العلماء والأُمَّة في أداء دورهم المناط بكلِّ فريق منهم، من نشر العلوم الإسلامية الأصيلة من العلماء العاملين وبثها في الساحة الإسلامية، وحسن تبليغهم عن الله، وقبول الأُمَّة كلَّ ذلك بالعمل من أجل أنْ يكون الإسلام قائداً في زماننا، لا مقوداً أو مركوناً في زاوية الإهمال، بلا دور حقيقي يتقلده.

ومن ضرورات الإصلاح والتغيير في الأُمَّة الإسلامية عودتها إلى الوعي والتفاعل مع المصطلحات القرآنية وأحكامها، والسنن النبوية وآدابها، حتى تعود الروح إلى جسد الأُمَّة الموهن ضعفاً وبلاءً، وفي هذا المقام، نتناول مسألة العصمة لغة واصطلاحاً، بما يسهم في التوعية، ويقدم أقوال كبار علماء الفرق الإسلامية للمقارنة بينها، وترجيح أقرب الأقوال إلى الصحة منها.

---

(٢٣): سورة فاطر الآية ٣٢.

عصم: العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أنْ يعصمه ممّا يوبقه، عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه، وفي التنزيل ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ ، أي لا معصوم إلَّا المرحوم(٢٤).

مقالة الشيخ المفيد في عصمة الأنبياء عليهم السلام

القول في عصمة الأنبياء عليهم السلام أقول: إنَّ جميع أنبياء الله صلوات الله عليهم معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها وما يستخف فاعله من الصغائر كلِّها، وأمّا ما كان من صغير لا يستخف فاعله، فجائز وقوعه منهم قبل النبوة، وعلى غير تعمد، وممتنع منهم بعدها، على كلِّ حال، وهذا مذهب جمهور الإمامية. والقول في عصمة نبينا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم وأقول: إنَّ نبينا محمداً صلَّى الله عليه وآله وسلم ممّن لم يعصِ الله عزَّ وجلَّ منذ خلقه، إلى أنْ قبضه، ولا تعمد له خلافاً، ولا أذنب ذنباً على تعمد، أو نسيان، وبذلك نطق القرآن، وتواتر الخبر عن آل محمّد عليهم السلام، وهو مذهب جمهور الإمامية.

وأمّا ما يتعلق به أهل الخلاف من قول الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وأشباه ذلك في القرآن ويعتمدونه في الحجة على خلاف ما ذكرناه

(٢٤): لسان العرب لابن منظور مادة عصم.

فإنَّه تأويل بضدِّ ما توهموه، والبرهان يعضده على البيان، وقد نطق الفرقان بما قد وصفناه فقال جلَّ اسمه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (*) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ فنفى بذلك عنه كلَّ معصية ونسيان(٢٥).

إنَّ الشعار الذي رفع في وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو في بيته مسجى يستعد للرحيل إلى جوار ربِّه، وهو (حسبنا كتاب الله)، والشعار الذي رفعه عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان في (صفين)، عندما أمروا برفع المصاحف في مقابل الإمام عليٍّ عليه السلام وجيشه، ودعوتهما الخبيثة: (نحتكم إلى كتاب الله)(٢٦). ليسا سوى خداع واضح للمصحف نفسه، جابهه الإمام عليٌّ عليه السلام بالتحذير منه قائلاً: «**ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وليس يحلُّ لي ولا يسعني في ديني أنْ أُدعى إلى كتاب الله، فلا أقبله، إنّي إنَّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنَّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنِّي قد أعلمتكم أنَّهم قد كادوكم، وأنَّهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون**»(٢٧)، هذا الشعار الزائف، على ما حمله للإسلام والمسلمين من انحراف وضياع إلى اليوم، لا يزال مرفوعاً

(٢٥): أوائل المقالات الشيخ المفيد ص ٦٢/ ٦٣.
(٢٦): تاريخ الطبري أحداث سنة ٣٧ هجرية ج٥ص١٧٠.
(٢٧): وقعة صفين لابن مزاحم ص٤٧٨.

عند الغالبية العظمى من المسلمين، وتلوكه ألسن تدَّعي المعرفة والعلم، وهي في الحقيقة بعيدة عنه كلَّ البعد، لأنَّ الشريعة الإسلامية في عمومها لا تتناقض، بل يؤيد بعضها بعضاً، وتتكامل في أحكامها ومستلزماتها كافة.

إنَّ الذين ادّعوا أنَّ الأنبياء جميعاً بمن فيهم النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم معصومون في التبليغ فقط، هم أُناس لم يدركوا حقيقة الأنبياء عليهم السلام، والنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم والنبوة في عموم خصائصها، ولم يفهموا من الدين شيئاً تقريباً، يتلون القرآن فيجيدون تلاوته، لكنَّهم لا يفهمون مقاصده، بل إنَّهم قد ظلموا أنفسهم بالجرأة على مقامات، كان من باب أَولى أنْ يقدروا جهودها ومعاناتها، وتضحياتها من أجل خير البشرية جمعاء، وعوض أنْ يضعوهم الموضع الذي أراده لهم البارئ تعالى، لفقوا عليهم الأكاذيب والتّهم، التي تستفز أبسط بسطاء الناس، فتغضبهم ولا يقبلونها على أنفسهم.

لم يفهم كثير من المسلمين إلى اليوم معنى الاصطفاء ودواعي العصمة، ولا فكروا في الوظائف الإلهية المناطة بها، والتي تتطلب خصوصية وملكة مؤيدة للدور، لأنَّ الثقافة التي تلقوها عبر عصور عديدة، هي خليط من إملاءات القوى الدخيلة على الدين والمحسوبة عليه، وإذا تأملنا في ما هو منسوب إلينا من تراث إسلامي، نجد أنَّ أخبث يد قد امتدت إليه وهي يد اليهود، عبر بوابة المنافقين الذين

استغاثوا بكلِّ حيلة، والتجأوا إلى كلِّ عدو، من أجل القضاء على الدين، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر (كعب الأحبار، وهب بن منبه، عبد الله بن سلام، زيد بن ثابت، تميم الداري...) الذين كانوا في حقيقة الأمر، أكثر تنظيماً وحزماً وقدرة، على اختراق الجيل الأول من المسلمين، والمصطلح عليه بجيل الصحابة.

لذلك طفحت الكتب بمقولات وتحريفات، فاحت منها رائحتهم، وظهرت على متونها بصماتهم، جلية واضحة لكلِّ من بصّره الله تعالى بالدين الحق، ولا مناص لنا اليوم، نحن طليعة الإسلام المحمدي الأصيل، من أنْ نتخذ لنا مواقع في مواجهة التحريف، الذي امتد به العمر إلى هذه العصور، لعلّنا نستنقذ من صلحت مضغته، من هذا الجم الغفير من المسلمين، الذي قال عنهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بأنَّهم غثاء كغثاء السيل، ممّن استدرجهم ذلك الفكر المنحرف، الذي خرج من بين ثنايا أنظمة ظالمة مستبدّة، اتخذت من الإسلام مطيّة لبلوغ أهدافها الدنيوية، في الحكم والتسلط على رقاب المسلمين، وتحالفت من أجل استمرارها في السلطة، بكلِّ وسائل الشرِّ والفساد.

وبقدر ما سنواجه التحريف بالحجة والدليل لإثبات بطلانه، دفاعاً عن الحق، بقدر ما سيكون لنا موقف مع من لا يروقهم قول الحق وبيان الحجة والمنطق، من جماعات تدّعي التمسك بسنة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهي أبعد ما

تكون عنه، بل لعلّ السنة التي يقصدها هؤلاء هي سنة الظالمين، الذين لفقوا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأجروا ذلك مجرى السنة في مدارسهم وكتاتيبهم، فتخرجت على ذلك أجيال، تتالت وتعاقبت حتى رسخت دعاواهم، وجرت في الناس أفكارها المنحرفة مجرى الدم من العروق، سكن في جنباتها التعصب الأعمى، وهو داء ابتليت به فرق الأُمَّة، أوردها موارد الهلاك.

واليوم ونحن على أعتاب قرن جديد، نرى في أُمّتنا تزايد السوء والشر، والتخلف والفقر، وكلّ عاهة ونقيصة، تتعارض وما جاء به الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم، من قيم وعلوم وأنوار، كان من المفترض أنْ ترفعنا إلى قمة العالم وطليعة الدول، نحن معاشر الديانة الخاتمة، العتب كلّ العتب علينا، في تركنا للأعداء يمتهنون ديننا، ونحن لا نحرك ساكناً، انغرست فينا روح أبي هريرة(١)،

(١): أبو هريرة الدوسي: رغم شهرته الواسعة في مجال الرواية، مع أنَّه لا يعرف القراءة والكتابة، وهو الذي يعدّ من أكبر رواة الحديث، فإنَّ شخصيته بقيت محاطة بالغموض، فقد اختلف في اسمه إلى نحو أربعين قولاً، فلم يعرف بغير كنيته هذه، أسلم بعد فتح خيبر سنة ٧ للهجرة، مع الأشعريين قادماً من اليمن، بعثه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، مع العلاء الحضرمي إلى البحرين، فبقي فيها قرابة السنة والنصف، بما يعنيه أنَّه بقي في المدينة زمن النبيِّ حوالي السنة والنصف، في صفة المسجد النبوي، يجود عليه جعفر بن أبي طالب وأمثاله، بما يشبع بطنه، فكيف بهذه الشخصية النكرة، أنْ تتبوأ مكاناً مرموقاً في عالم الرواية عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وفي عصره عشرات الكتاب والحفظة والمقربين، أوّلهم الإمام عليُّ بن أبي طالب عليه السلام؟ أفمن العقل أنْ يترك باب علم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بلا طرق ودخول،

الذي كان مسكوناً بحبّ الدنيا باتباعه معاوية وكعباً، وما أدراك ما معاوية[١] وكعب[٢]، الأول أرخى له عنان الطاعة في تلبية نزواته، بتضليل المسلمين للتمكن من الحكم، والثاني أخذ عنه سمومه وأباطيله في العقيدة، ليخرجها إلينا قائلاً إنَّها من كلام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، كذلك غالبيتنا اليوم ترى في ركام القرون الأُولى، وتقارير الظالمين الذين تركوا بصماتهم عليها حجّة، وتعتقد أنَّها من

ويستعاض بهذا الجاهل الذي استنكرت كثير من رواياته على عهد الخلفاء، وهدد بالمنع والضرب والنفي، لكن بحلول معاوية على هرم السلطة، وتمكنه من الإمساك بزمامها، طلع نجمه وعلا قدره واقترب مجلسه من بلاطه، وكان راوية الأُمويين بما يرضونه من اختلاقاته، خصوصاً إذا نقل عن كعب الأحبار اليهودي وقال حدثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم.

(١): معاوية بن أبي سفيان: أول حاكم أُموي، أسلم في فتح مكة، وكان من الطلقاء، استولى على الخلافة، وبقي في الحكم حتى سنة ٦٠ هـ، شهد فتح الشام في عهد أبي بكر، واستلم في عهد عمر ولاية الأردن ثمّ ولاية جميع الشامات. ولم يساند عثمان عندما ثار عليه جمهور المسلمين، وذلك رغم طلب عثمان منه المساعدة. وفي عهد خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام خرج عليه وبحجة الأخذ بثأر عثمان شنَّ معركة صفين، وبعد شهادة أمير المؤمنين، ومن خلال عقد الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام، أغرى زوجته جعدة لقتله، بدسِّ السم له في طعامه، استولى على زمام الخلافة، اختار مدينة دمشق عاصمة لحكمه، وتتالت جرائمه بحق أتباع أهل البيت عليهم السلام، فقتل الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه في مرج عذراء، وقتل الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي، وألقى برأسه في حجر زوجته، وأول من ابتدع سبّ الإمام عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام، فصار ذلك سمة وشعار الدولة الأُموية طوال ٨٢ سنة.

(٢): كعب الأحبار: يهودي من اليمن، كان في زمن الجاهلية من علماء اليهود، أسلم – ظاهراً– في عهد عمر بن الخطاب، وقدِم إلى المدينة وسكن بها، وتحول بفعل قربه من السلطة إلى شخصية مؤثرة آنذاك، فكان يقصّ بالمسجد النبويّ بعد أنْ أذن له عمر بذلك، اقترن اسمه بما يعرف بالإسرائيليات ودخولها على السنة النبوية، لذلك هو من غير المقبولين عند الشيعة وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

الدين بل هي أصفى معانيه، وما هي في حقيقتها غير تشابيه والتباسات، لا توصل إلى الله تعالى، ومنقطعة عن الحق الذي هو عنوان الدين القيم.

رضينا أنْ ندخل الدين من باب التقليد الأعمى والتطبيق البسيط، الذي يفتقر إلى أبسط المعارف والعلوم، كأنَّنا نعارض الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾. وفي قوله أيضاً: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. نتخذ سبيل الاتباع الأعمى والتقليد الذي رفضه لنا طريقاً، لأنَّه أودع فينا ملكة العقل والتمييز، قبل أنْ يكلفنا، وأرسل حججه علينا متتابعين، بل إنَّه أوجد الحجة قبل الخلق تثبيتاً منه لأمره وتنفيذاً لمشيئته.

وجدنا آباءنا على مذهب مالكيٍّ أو نحوه، فقفونا آثارهم قبل أنْ نبلو أخبارهم، ولم نلتفت إلى أنَّ الدين أشمل وأعم من اجتهاد رجل واحد جاء في القرن الثاني، مدفوعاً بأمر من طاغية بني العباس، ليحمل الناس على فقه أُسِسَ له، ليكون منافساً لمدرسة الصفوة الطاهرة من أهل بيت النبوة عليهم السلام، والتي شكلت في ذلك العصر وغيره من العصور قبس النور، الذي بقي للمؤمنين يستضيئون به من ظلمات الجهل وتحريفات الظالمين.

لقد قتلت أُحادية رؤية المولى - تعالى عن ذلك - فينا الإبصار الصحيح،

والإدراك الحق لمفاهيم الدين القيم الذي جاء به النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، فلم نعد نسمع ولا نعي غير ما يدور في فلك الذين نصبوا أنفسهم قادة الأُمَّة والمنظّرين لها، وهم أبعد ما يكونون عن القيادة والتنظير، لعجزهم الذي أظهرته الروايات، وأبانت عيبه كتب التاريخ على علاته.

إنَّ أبسط ما يمكننا أنْ نقدمه لهذا النبيِّ العظيم صلَّى الله عليه وآله وسلم، هو أنْ ننقل صورته الواقعية كما هي- وهو الكامل الذي لا يحتاج إلى تزكية من المخلوقين بعد أنْ زكاه خالقه- ونروي عنه كلامه الذي قاله هو، وتركه للأئمة الهداة من آل بيته عليهم السلام، لا الذي لفق عليه، ليتخذ من بعده ديناً مزيفاً، وسراباً يحسبه الظمآن ماءً، مرددين بين الفينة والأُخرى دعوى محبة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، ولكنَّهم في الحقيقة يكذبون على أنفسهم وعلى الناس، لأنَّ الحبَّ في جوهره اتباع وتأسّ.

نبينا الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم هو أفضل المخلوقات يقيناً عند ربِّ العزة، وفضله يتمثل في أنَّ الله تعالى اصطفاه على بقية الخلق قبل أنْ يخلق الكون، فهو العقل والمثال الكاملان، جاء خاتماً للأنبياء والمرسلين ليكون مسكهم، ومع فضله صلَّى الله عليه وآله وسلم فضل الله تعالى رسالته على سابقاتها، بأنْ جعلها بشارة الرسالات.

إنَّ النبوة هي المقام الأسمى والمثال الأعلى، الذي لم يدركه من البشر إلَّا ١٢٤ألفاً، على مدى مسيرة الإنسانية منذ آدم عليه السلام حتى نبينا الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم، خصّه المولى سبحانه وتعالى بالملبّين من صفوة خلقه، والمسرعين إليه بعقولهم وأفئدتهم، لم يعيروا الدنيا إلَّا بقدر ما أعارها خالقها، ولم يلتفتوا إلى أنفسهم فيلبوا رغباتها، وكان همهم السعي إلى الله تعالى، ونيل القرب منه، لم يتوانَ نبيٌّ واحد منهم في أداء تكليفه، ولا فكر في تأجيل أمر دعي إلى الإفصاح عنه، وكانوا مع خالقهم دائماً في السرِّ كما في العلن، وفي الباطن كما في الظاهر.

علمهم الله تعالى من مكنون علمه، ما أقام لهم به الحجة على الخلق، وأعطاهم من المعارف ما سدد مشاويرهم بين أُممهم، فكانوا زيادة على صفاء معادنهم، وعراقة أنسابهم وطهارة مواليدهم، حملة علم وأخلاق، وأصحاب مشاريع اجتماعية عظيمة، وليس كما يتهيأ لمن لم يفقه مقام النبوة، معصومين في التبليغ فقط، وما دون ذلك فهم وبقية البشر سواء، نعوذ بالله من الجهل وأهله، وهل كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم سوى مبلغ عن بارئه، والتبليغ يكون بالقول وبالفعل، والفعل أشدّ في النفاذ وأبلغ في الأداء، وإلَّا افترق عن الغاية التي جاء من أجلها، وتباين منها، واقترن بمن يقولون ما لا يفعلون، فتهتز صورته في أعين الناس، ويهون مقامه في حياتهم فيصبح منال ألسنهم ومغمز حديثهم، ويكون حاله بينهم كحال أدناهم،

فيتعطل دوره ولا يقبل منه، بعامل الشكّ الذي يطرأ على المتلقّي، هل الذي جاء به هو منه أم من الله؟ ودعوى إخراج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم من دائرة الفعل، وحصره في دائرة القول فقط، هو ضرب من الاستهانة به، وتصغير لشأنه، هذا من وضيع الاعتقاد بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ونبوّته.

لكنْ قد يتساءل البعض، عن معنى الآيات القرآنية التي يستشف من ظاهرها عدم عصمة الأنبياء، والتي تندرج في إطار متشابه القرآن، الذي يجب أنْ يردَّ إلى أهله، ليشفي غليله من معناه الحقيقي. فقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[2]. وغيرها عند أرباب العلم وجهابذة التفسير، الذين استمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، قد أرجعوا الأمر إلى أولياء أُمورهم، أئمة الدين الحقيقيين بعد سيد المرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلم، وقالوا بما قال هداتهم، فالإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليٌّ بن موسى الرضا عليهم السلام، قد كانت له مناظرات في مجلس المأمون العباسي- ولم يكن شأنه من رواد مجلس السلاطين وإنَّما أُجبر وحمل على ذلك حملاً قسرياً - في عدّة من المسائل الدينية والكلامية وغيرها، قد بيّن بالحجة عصمة الأنبياء عليهم السلام كلِّهم،

(١): سورة طه الآية ١٢١.

(٢): سورة الضحى الآية ٧.

ووضع الآيات التي ذكرنا نموذجين منها، موضعها من التفسير المنطقي والصحيح، الذي ينزه الأنبياء عن اقتراف ما جاءوا لأجل إزالته، والسعي بالبشرية إلى منازل المعرفة، ليوصلوهم إلى درجة الإنسان الكامل في إنسانيته، ومن دون ذلك فلا معنى للنبوة، ولا قيمة لصاحبها الذي اصطفاه الله تعالى على بقية الخلق، لخاصية فيه زادها بعنايته إحاطة وتأييداً.

حقيقة نفي العصمة عن الأنبياء عليهم السلام، إذا لم نسلِّم بجهل دعاتها والمعتقدين بها، لا تخرج عن دائرة المخططات، التي حيكت من أجل القضاء على صفاء العقيدة الإلهية، ووضع رسل المولى سبحانه وتعالى في الناس موضع الشبهة والنقيصة، ولدفع عصمة من هم دون الأنبياء عليهم السلام، كعصمة السيدة مريم العذراء، قال تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(٣)، وعصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤).

وردّ حديثه صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**إنِّي تارك فيكم ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ**

---

(٣): سورة آل عمران الآية ٤٢.

(٤): سورة الأحزاب الآية ٣٣.

الحوض»(٥). بما تضمنه من دليل قويٍّ، على أنَّ قرناء الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا بُدَّ أنْ يكونوا متفقين معه تمام الاتفاق، من حيث القداسة والقيمة والعصمة.

وسدّ المنافذ أمام حقيقة ظلت غائبة عن أذهان الكثيرين، رغم النصوص المتظافرة والصريحة، التي دلّت على عصمة الدور الذي يلي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، هو الإمام عليه السلام لاستلزامه ذلك، باعتباره حافظاً للشريعة قائماً عليها، ممّا يتطلب تسديداً وتأييداً مثله مثل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لأنَّ الحفظ لا يقل أهمية عن التبليغ، ومن هنا جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٦).

---

(٥): حديث الثقلين أخرجه كلٌّ من: مسلم في جامعه ج٧ص١٢٢، ١٢٣، ١٢٤// الترمذي ج٥ص٦٦٣ حديث٣٧٨٨// خصائص النسائي ص٤١// سنن الدارمي ج٢ص٤٣١// مصنف ابن أبي شيبة ج١١ ص٤٥٢ حديث١١٧٢٥ // السنة لابن أبي عاصم ج ٢ص٣٣٦ ح ٧٥٤ و٦٢٨ و٦٣٠ وحديث ١٥٤٨-١٥٤٩- ١٥٥٣// طبقات بن سعد ج٢ص١٩٤ // مشكل الآثار ج٢ ص٣٦٨// حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ ص٣٥٥ // المعجم الكبير للطبراني ج٥ ص١٥٣-١٥٤ ح ٤٩٢١-٤٩٢٣ وص١٦٩-١٧٠ ح ٤٩٨٠-٤٩٨٢// المعجم الصغير للطبراني ج١ص١٣١// المناقب لابن المغازلي الشافعي ص٢٣٤-٢٣٥ ح ٢٨١-٢٨٣// مصابيح السنة للبغوي ج٤ ص١٩٠ح٤٨١٦ // جامع الأُصول ج١ ص٢٧٨ // أسد الغابة ج٢ص١٢// ذخائر العقبى للمحب الطبري ص١٦// إحياء الميت للسيوطي ص٣٠-٣٢ ح٦-٨ // مجمع الزوائد للهيثمي ج١ص١٧٠.

(٦): سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

إنَّ من علامات إثبات نبوة الأنبياء الأُولى، هي العصمة عن اقتراف الذنوب صغيرها وكبيرها، عمدها وسهوها، تلك الملكة المكتسبة في معظمها من سلوك النبيِّ الإرادي، الذي زاده المولى سبحانه وتعالى تسديداً وتأييداً، فقد علمنا أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلم كان أمين قومه وصادقهم قبل البعثة، وجاء في سيرته منذ نشأته، تميزه عن غيره من بني جيله، بحيث جلب لنفسه الإكبار والاحترام والهيبة، قبل نزول الوحي، ولم يسجل عليه محاربوه أيَّ زلل أو خطأ، يمكن لهم من خلاله أنْ يوصموه أو ينعتوه به، تجلت شخصيته على مجتمعه ظاهرة متميزة، كجلاء الشمس في رابعة النهار، فلم يظهر منها عيب، ولا بانت نقيصة يمكن أنْ يعاب بها، وازدادت خلاله تأكيداً مع نزول الوحي عليه، فزاده عصمة على تعففه وتنزّهه، وترفّعه وطهارة معدنه. إنَّ من لم يعرف النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بما ذكره العالمون من آل محمّد صلَّى الله عليهم، لم يعرف حقيقة العقيدة بكلِّ تفاصيلها، فلا هو عرف الله تعالى بما نسب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم من نقيصة، ولا تصور أنَّه باعتقاده الخاطئ نسب لله تعالى قلّة التدبير، وعدم القدرة على إيجاد الأفضل الذي ينطق عنه، وكان عليه أنْ يقرَّ بأنَّ الخالق الكامل، لا يصطفي من مخلوقاته إلَّا الكامل.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾(٧).

---

(٧): سورة الحج الآية ٧٥.

ومن كان الله تعالى له هادياً فلا يضل ولا ينسى، خصوصاً إذا كان مكلفاً بالاستقامة ظاهراً وباطناً، ونسبة الخطأ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، من صدور الذنوب عنه، وإخلاله بحياته الخاصة بدعوى أَنَّها خارجة عن إطار الوحي، هي إحدى المؤامرات التي حيكت بإصرار ضدَّ الإسلام بكلِّ تفاصيله، فاسحة المجال أمام فصل الدين عن الحياة، وعزله عن السبب الأصلي الذي جاء من أجله، وهو تنظيم مختلف مجالاتها الخاصة والعامة، وبمعنى آخر حياة الفرد وحياة المجتمع، من أبسط الأحكام، حتى أعقد المسائل في العلاقات.

كما أنَّ الذي نسب عدم النص عن وليِّ الأمر بعد النبيِّ، هو أيضاً قد نسب التقصير وعدم النصح للأُمَّة، من الله تعالى ورسوله الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، والتفريط في الشريعة التي جاءت، لتستمر آثارها في الأجيال التي تلي عصر النبوة، والدليل على صحة دعوى ثبوت الإمامة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بالنص من الله تعالى، هو الخلل الكبير الذي عاشته وتعيشه الأُمَّة، والفراغ الهائل في منصب القيادة، حيث إنَّ ما يزيد على المليار مسلم يعيشون بلا إمامة، سوى إمامة الصلاة، وحتى إمامة الصلاة قد ضيعوها لأنَّهم يصلون وراء كلِّ برٍّ وفاجر، فليس أَولى بمعرفة الأصلح بالمخلوقات من خالقهم ورسوله، وهما أَولى بهم من أنفسهم،

كما قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(٨). لأنَّ معرفة الأصلح في المخلوقات، أمر لا يعلمه إلَّا الله سبحانه، وكتمانه أو عدم الدلالة عليه، هو كتمان علم ومعرفة نافعين وضروريين، متوقف عليهما استمرار الدين وصلاح الملّة، والمولى تعالى منزه عن كلِّ نقيصة، متعالٍ عن كلِّ خلل، وهو بديع السماوات والأرض وما فيهن، فلا يعزب عنه شيء ولا يفوته شيء، فثوبوا إلى رشدكم أيها المدّعون على الله بالباطل.

وعندما نرى ما يصدر عن فئة، يزعمون أنَّهم من أهل التوحيد وملّة الإسلام، حينما يقابلون بقية المسلمين، ويعارضونهم بكلِّ قسوة وفضاضة، وصل بالعديد منهم إلى التعرض للضرب والإخراج من حرم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، الإيقاف والحرمان من أداء الشعائر، بدعوى أنَّهم مشركون باعتقادهم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم حيٌّ عند ربِّه، يسمع السلام ويردُّ عليه، ويسمع الكلام ويأخذه بعين الاعتبار، وله مقام عند ربِّه تعالى، يؤهله لطلب أيِّ شيء، فيتحقق له بإذنه تعالى، وقد جرت عقيدة هؤلاء الوهابية على أنَّ الرسول ميت، لا ينفع ولا يضر عنده توسل ولا دعاء، إنَّما الناس في طلب الحاجة إلى الله تعالى سواسية، لذلك تراهم يلزمون غيرهم من المسلمين، بعدم التوجه إلى رسول الله

---

(٨): سورة الأحزاب الآية ٦ .

صلَّى الله عليه وآله وسلم بالزيارة والدعاء، فجفت بذلك أحاسيسهم وغلظت قلوبهم، حتى غلفت فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة، لم ينقلوا عن الإسلام غير الانطباع السيئ والظاهرة المشينة، ولم يعرفوا من الدين غير التمسك بالقشور، والروايات التي وضعها اليهود للمتحجرة عقولهم مثلهم.

لم يكن تصرفهم نابعاً من فراغ، فاعتقادهم بعدم عصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في سائر حياته، قد دفعهم إلى سلوك ذلك المسلك في منع الناس عن زيارة نبيّهم صلَّى الله عليه وآله وسلم، بالشكل الذي يليق به كأنَّه حيٌّ، بل هو حيٌّ فعلاً، لأنَّه زيادة على مقامه العالي، الذي لم يدركه نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب، يعيش في عالم اليقين والحقيقة المطلقة، قلنا فقد دفعهم ما ورثوه من أباطيل، حيكت ضدَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لنفي العصمة عنه، ولم يكن هؤلاء وحدهم في تصرفهم المشين، بل انبرى معهم يشدّ أزرهم ويعاضدهم، حفنة ممّن لا دين لهم ولا أخلاق، كسلمان رشدي لعنه الله وأخزاه، الذي وجد في البخاري ومسلم، وبقية الكتب التي يزعمون أنَّها صحيحة، مادة للتشنيع على رسول الإسلام والتهجم عليه، ووصفه بشتى النعوت والصفات التي يتبرأ منها كلُّ إنسان مستقيم.

المرتدّ سلمان رشدي هنديّ الأصل، بريطاني الجنسية والإقامة، أصدر كتابه

(آيات شيطانية)، فلم السيد الخميني السكوت على ذلك، فأصدر فتواه الشهيرة بإهدار دمه في ١٤/ ٢/ ١٩٨٩م ليكون عبرة لغيره، فيرتدع عن الإساءة للإسلام في شخص نبيه الأكرم، وأذكر حينها مفارقة عجيبة تمثلت في استنكار الشيخ عبد الفتار مورو لهذه الفتوى، ومقابل قبولها وتأييدها ضمنياً، من طرف مفتي الديار التونسية، الشيخ محمد مختار السلامي.

إنَّنا عندما نتأمل في روايات عدم عصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، نلاحظ أنَّها لم توجد لنفيها عنه صلَّى الله عليه وآله وسلم فقط، وإنَّما وضعها أعداء الدين الإسلامي والمندسون فيه، لتخريب أركانه، وتشويه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ونسبة أشياء له لا يمكن لعاقل أنْ يتصورها، تصدر عن مسلم عادي، فضلاً عن أفضل المخلوقات على الإطلاق.

وقد تصدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لحملات التشويه والتشكيك التي طالت الأنبياء عموماً عليهم السلام، ونبينا الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم خصوصاً، عبر الأئمة الطاهرين الهداة منذ الحركة الأُولى للتشويه، بدءاً من الإمام عليٍّ عليه السلام، ومرورا بأولاده عليهم السلام، وعند نشوء علم الكلام، تصدى الإمام الباقر والصادق والرضا وبقية الأئمة عليهم السلام لعدد من الأدعياء الذين كان همُّهم إفحام الناس، وتشويش أفكارهم وتشكيكهم في معتقداتهم، فنقل رواة

وعلماء مدرسة أهل البيت عنهم عدداً من المناظرات التي تناولت النبوة والعصمة، فبينوها للناس بيان العارف المطلع على دقائق الدين وما يتصل به من قريب أو بعيد، فشكلوا بحق الحلقة التي كان وجودها ضرورياً في مرحلة ما بعد النبوة، حفظاً للدين من عبث العابثين، وقد جاءت رواياتهم عن جدهم وافية شافية، دلّت على أنَّ علمهم من مخزون علم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فصححوا بأقوالهم لبَّ العقيدة وجوهرها، ودحضوا باطل المتنطعين والدخلاء، الذين كان همُّهم الأكبر إرضاء حكام أزمنتهم، في مخالفة الأئمة الهداة من أهل البيت عليهم السلام، فيما أعلنوه عقيدة للإسلام المحمّدي الأصيل.

إنَّ العصمة من مستلزمات الدور النبوي، بل هي عنوانه وأساسه، لأنَّه لو كان النبيُّ غير معصوم لكان التكليف متناقضاً، فإمَّا أنْ نتبع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في أخطائه، وتصبح متابعتنا له دعوة من المولى إلى فعل الخطأ من جهة، والمعاقبة عليه في صورة حدوثه من جهة أُخرى، وهو مناقض لأصل إرسال الرسل وعلّة بعثهم، أو أنْ لا تجب متابعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في ما يصدر عنه، على اعتبار أنَّه قد يكون خطأً، وفيه ما فيه من تعطيل حركة التغيير في الأُمم، انتفاء الغاية التي من أجلها أُرسل الرسل، ونزول شرائعهم على الناس.

نخلص إلى القول، بأنَّ وسائط الله تعالى من ملائكة وأنبياء ورسل عليهم

السلام، لا بُدَّ أنْ يكونوا معصومين من الأخطاء، ومبرأين من كلِّ نقيصة، من شأنها أنْ تضعف الدور الموكل إليهم، ولو كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم غير معصوم، لكان محتاجاً إلى من ينبهه، وهو المكلف بتنبيه غيره، ولما استقامت حجة الله على خلقه، بأنْ أعطاهم نموذجاً من قبله، يحتذون ويقتدون به في كلِّ شؤونهم، وعليه فإنَّ المتأمل في هذا العالم البشري، يدرك ضرورة المثال والنموذج، والحاجة الأكيدة والملحة له، لأنَّه الأقرب إلى الفهم، والمتناول في المعرفة، لحقيقة كون أنَّ كلَّ علم، لا بُدَّ له من عمل، وإلَّا فإنَّه علم نظري فاقد لسند المثال والدليل.

هكذا إذن وسائط الله تعالى كلّهم، دساتير أخلاقية وسلوكية، تتحرك بين الناس هدى ونور، ولقد كان موسى في قومه توراة مجسدة، وكان عيسى عليه السلام إنجيلاً بكلِّ تفاصيله، وكلُّ الرسل كان تكليفهم التطبيق، ثمّ التطبيق ولا شيء غير التطبيق، أمّا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فقد كان قرآناً متحركاً بكلِّ أبعاده، يعيش بين الناس، ليدركوا أنَّ العلم مبدؤه العمل، والعلم يهتف بالعمل فإنْ أجاب أو ارتحل.

وبعد هذا كلِّه، هل بقيت حقيقة غير أنَّ الأنبياء كلَّهم، وبينهم إمامهم أبو القاسم محمد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وسلم مبرّؤون من كلِّ عيب ونقيصة، منزهون عن كلِّ خطأ؟

لقد نجح اليهود مستعينين بحزب النفاق، في نقل عقيدتهم الفاسدة، إلى ما عرف بصحاح السنة، فألصقوا بأفضل مخلوقات الله، وخير صفوته نعوتاً، ونسبوا إليه أعمالاً يشمئز منها كلُّ ذي أدب وكرامة، مطابقة لما شوهوا به أنبياءهم، وقد كان للقصاصين منهم دور مركزي في النقل والتلفيق وبثه بين الناس، في زمن كان القصاصون الصوت الذي أراده الحكام، ورضوا به في مساجد الأُمَّة، فانتقل منهم ذلك الوباء الخطير، إلى المحدّثين والرواة، فأخذوه بلا تفحّص ونظر، لشيوعه بين الناس.

المدرسة الوحيدة التي بقيت على بينة من أمرها في التوحيد والنبوة، وباقي عناصر الدين عقيدة وشريعة، هي المدرسة الإسلامية الإمامية الاثني عشرية، التي واجهت كلَّ أشكال التحريف والتأويل الخاطئ، وكان لها مواقف عديدة على مرِّ التاريخ، تشهد بأنَّ الإسلام الصافي لا يمكنه أنْ يحيد عن أهل البيت عليهم السلام، أولئك الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، سفن نجاة الأُمَّة وباب حطتها، ولولاهم لاندرست معالم الإسلام ومحيت صفحته الناصعة، أولئك حفظته وأصحابه، من عاد إليهم أدرك فلسفة الوجود كلِّه، ولم يغيره شيء بعد ذلك، ومن صرف النظر عنهم، فإنَّه زائغ لا محالة عن سبيل الرشد، والحمد لله أولاً وآخراً على هداه، ونسأله أنْ يبصّر هذه الأُمَّة بما يجب عليها أنْ تبادر إليه، لتعود إلى

رحاب الطاهرين ومواطن الصادقين، إنَّه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

عليٌّ عليه السلام باب معرفة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ من أكبر الكرامات والنعم، التي منَّ بها الله سبحانه وتعالى، على عبده الصالح، عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، أن يكون مشمولاً برعاية وعناية وتربية أفضل مخلوقاته، وصفوة عباده المنتجبين، حبيبه محمّد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فقد خصه الله بذلك اللطف، مكفولاً في بيت عمّه أبي طالب، فكان قرينه ومعلّمه في حلّه وترحاله، وثناه كافلاً له في بيت الزوجية، بيت خديجة سيدة نساء العالمين عليها السلام، وبينهما نشأ عليٌّ عليه السلام نشأة عظيمة، لا أعتقد أنَّ أحداً غيره أنعم الله عليه، بمثل ما ترعرع فيه صالح المؤمنين، فبلغ في ذلك منتهى الفلاح.

من هذا المعين، أردت أنْ أوشّح مؤلفي هذا، بما قاله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، في سيد أهل بيت العصمة صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو الأعلم به، والأقدر على وصفه، وأقرب الناس منه وإليه، من بقية الناس، مهما تزلّفوا بالقرب، وتظاهروا بالصحب، فعند المحك تعرف الحقائق.

«اَللَّهُمَّ دَاحِيَ اَلْمَدْحُوَّاتِ، وَدَاعِمَ اَلْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلَ اَلْقُلُوبِ عَلَى فِطَرَاتِهَا،

شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا، اِجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَاَلْفَاتِحِ لِمَا اِنْغَلَقَ، والَمُعْلِنِ اَلْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَاَلدَّافِعِ جَيْشَاتِ اَلْأَبَاطِيلِ، وَاَلدَّامِغِ صَوْلاَتِ اَلْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ اَلْقَابِسِ، وَأَضَاءَ اَلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ اَلْقُلُوبُ، بَعْدَ خَوْضَاتِ اَلْفِتَنِ وَاَلآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ اَلْأَعْلاَمِ وَنَيِّرَاتِ اَلْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ اَلْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ اَلْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ اَلدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إلى اَلْخَلْقِ، اَللَّهُمَّ اِفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاِجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ اَلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اَللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ اَلْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاِجْزِهِ مِنِ اِبْتِعَاثِكَ لَهُ، مَقْبُولَ اَلشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ اَلْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ، اَللَّهُمَّ اِجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ اَلْعَيْشِ، وَقَرَارِ اَلنِّعْمَةِ، وَمُنَى اَلشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اَللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ اَلدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى اَلطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ اَلْكَرَامَةِ»(٩).

دعوات الإمام عليٍّ عليه السلام للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، في هذا المقطع من خطبته، تأخذنا إلى خصائصه التي أقام بها عرى الدعوة إلى الإسلام، وحقق بها نشأة مجتمعه ونظامه، في عالم شذَّ في الجهالة وعمي عن مضمون الرسالة،

(٩): نهج البلاغة الإمام عليّ، شرح صبحي الصالح ص ١٠٧ خ٧١.

وكان بحق ذلك الإنسان الكامل الذي ليّن بحكمته الصعبة، وأوشج القربة، وجمع المفترق، وعلى تباعد من القرون وفصل من الدهور، هب له في هذا الزمن من أعطاه حقه كـ(برنارد شو) الذي قال: (أرى واجبًا أنْ يُدْعَى محمدٌ -صلَّى الله عليه واله وسلم- مُنقذَ الإنسانية، وإنَّ رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث؛ فسوف ينجح في حَلِّ مشكلاته)(١٠).

«حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ الله سُبْحَانَه وتَعَالَى إلى مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ (الأُصول) مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه، عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ»(١١).

وفي هذه الفقرة، تحدث الإمام عليٌّ عليه السلام عن الاصطفاء الذي خص الله به النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم، كما خص من قبله سلسلة أنبيائه وأصفيائه، ليكونوا خير وفادته إلى خلقه، ودعاته إلى حقه، وهو لعمري اصطفاء ماضٍ في عترته مفضلة على عتر الأنبياء عليهم السلام بتفضيله صلَّى الله عليه وآله وسلم، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾(١٢).

---

(١٠): كتب الفيلسوف كتاباً سماه محمد أحرقه الإنكليز بعد موته.

(١١): نهج البلاغة، الإمام عليّ ج١ ص١٨٥.

(١٢): سورة البقرة الآية ٢٥٣.

«تَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وعَزَاءً لِمَنْ تعَزَّى، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إلى الله الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً... ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، مَا يَدُلُّكُ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعقْلِهِ، أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ، فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ - واللهِ الْعَظِيمِ - بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ، وإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ، حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، واقْتَصَّ أَثَرَهُ، ووَلَجَ مَوْلِجَهُ، وإِلَّا فَلا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ الله جَعَلَ مُحَمَّداً صلَّى الله عليه وآله وسلم عَلَماً لِلسَّاعَةِ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ منَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا، حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ»(١٣).

وفي هذه الخطبة دعوة إلى التأسّي بالنبيِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، واتخاذه قدوة في مختلف مجالات الحياة، إذ لا عبرة من دون اتباعه، والاقتداء به، والعمل بمقتضى سيرته العطرة، المليئة بالتضحية ومكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ

(١٣): نهج البلاغة الإمام عليّ ص٥٨ – ٦٠.

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١٤) وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾(١٥)، ولا يمكن أنْ يأمرنا الله سبحانه بالاقتداء إلَّا بمن علمه وربّاه وزكاه ورفعه وأعطاه، وعصمه من الخطأ والزلل، وهو سيدنا المصطفى أبو القاسم محمّد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وسلم.

وهذا حفيده الإمام السجّاد عليهما السلام، يلهج بدعائه الثاني في الصحيفة السجادية، معبّراً عن عقيدة نقيّة صافية، في النبوة وجدّه النبيّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم، أعطى فيه صورة واضحة الدلالة على نقاء معدنه وطيب منبته، وسلامة سيرته من كلِّ عيب، وغزارة عطائه لله بلا كلل، ومجزيّ رحمته بالناس جميعاً، فلم يبخل على أحد بشيء قادر عليه، ولا أساء الظن بمن حوله على تنمّرهم عليه واجترائهم على مقامه، وكيف لا يكون كذلك وهو الرحمة المهداة.

وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّد نَبِيِّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ

---

(١٤): سورة آل عمران الآية ٣١.

(١٥): سورة الأحزاب الآية ٢١.

وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لاَ تَعْجِزُ عَنْ شَيْء وَإِنْ عَظُمَ، وَلا يَفُوتُهَا شَيءٌ وَإِنْ لَطُفَ، فَخَتَمَ بِنا عَلَى جَمِيع مَنْ ذَرَأَ وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَكَثَّرَنا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ. اللّهمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ صَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ، إمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَبَ لأمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِيْكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إلَيْكَ حَامَّتَهُ وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ وَقَطَعَ فِي إحْياءِ دِينِكَ رَحِمَهُ وَأقصَى الأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ وَ والَى فِيكَ الأبْعَدِينَ، وَعَادى فِيكَ الأَقْرَبِينَ، وَأدْأبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعاءِ إلَى مِلَّتِكَ وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لأهْلِ دَعْوَتِكَ، وَهَاجَرَ إلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ وَمحَلِّ النَّأيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ إرَادَةً مِنْهُ لإعْزَازِ دِيْنِكَ، واسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ، حَتّى اسْتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ، وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيائِكَ، فَنَهَدَ إلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ وَمُتَقَوِّياً عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيارِهِمْ وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ حَتّى ظَهَر أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. اللَهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ، حَتَّى لاَ يُسَاوَى فِي مَنْزِلَة وَلا يُكَافَأَ فِي مَرْتَبَة وَلاَ يُوازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نبيٌّ مُرْسَلٌ، وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِي الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السّيِّئَات بِأضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ

إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»(١٦).

وتستغرب من هؤلاء الذين يرمون أتباع الأئمة الأطهار بباطل التّهم وزائف الاعتقادات، منها إهمال ذكر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في مقابل ذكر الأئمة من أهل بيته عليهم السلام، وما هي سوى شقشقات ألسنة، لم تجد لدفع الحق بغير باطل اللغو، وعاطل الكلام، فمن غير هؤلاء وشيعتهم أكثر التصاقاً بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وعترته قولاً وفعلاً وإحياءً لتراثهم وإحلالهم محلَّهم الذي ارتضاه الله لهم، فلهؤلاء قصدت هذا البيان والتوضيح، ليتبين فصيح القول من الفحيح.

وقد عثرت أثناء تأليفي لهذا الكتاب على رواية مطوّلة لخصال وسجايا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، جمعت شمائله ولم تقصّر، استودعت فيها كلَّ وصف كامل، وحركة موزونة، وسلوك عظم الله أخلاقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ومجّد ذاته فأحلّه محلّ العبد من ربِّه، وهو لعمري أعظم ما يرجوه في نفسه، وقد ناله بتمام الاستقامة والخضوع لربِّه، فطوبى لمن قرأه، ونال من أخلاقه العالية شيئاً يدفع عنه سوء العاقبة والمصير.

---

(١٦): الدعاء الثاني من الصحيفة السجادية للإمام عليِّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام ص٤٤.

فرأيت أنْ أضمنها كتابي وأُوشّح بها مطلبي، رادّاً على كلِّ من يدّعي حبَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو يأوي إلى شفا جرف هار من أعدائه والمسيئين له، محذّراً إياه من مغبّة السكوت، على هؤلاء الذين رفعوا شعار اتباع سنته وتلقبوا بها، وفي كتبهم سيئات ما مكروا ومكر أعداؤهم بحقه، فإنْ كانت لهم غيرة فليستفيقوا من سبات غفلتهم، قبل أنْ يأكل انصراف الزمن أعمارهم، وهم على تلك الحال من الإساءة والجفاء، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١٧).

عن عليٍّ بن الحسين قال: «**قال الحسن بن عليٍّ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ عَنْ حِلْيَةِ رَسُولِ اللهَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وَكَانَ وَصَّافًا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ، قَالَ: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة رجل الشعر، إنْ انفرقت عقيقته فرق وإلَّا فلا، يجاوز شعره شحمة أُذنيه، إذا هو وفرة، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما له عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأنَّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً متماسكاً، سواء البطن والصدر، بعيد**

(١٧): سورة آل عمران الآية ١٣٨.

ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن ممّا سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعاً، يخطو تكفؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنَّما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام.

قال: قلت: فصف لي منطقه، فقال: كان صلَّى الله عليه وآله وسلم مواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلم فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإنْ دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنَّه كان لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، إذا أشار أشار بكفه كلِّها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جلّ ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً، ثمَّ حدثته فوجدته قد سبقني إليه، وسأله عمّا سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ومخرجه، ومجلسه وشكله، فلم يدع منه شيئاً. قال الحسين عليه السلام سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا آوى إلى منزله، جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثمّ جزأ جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم منه شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأُمَّة، إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم والأُمَّة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنَّه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة» لا يذكر عنده إلَّا ذلك، ولا يقيد من أحد عثرة يدخلون رواداً، ولا يفترقون إلَّا عن ذواق، ويخرجون أدلة.

فسألته عن مخرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان صلَّى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلَّا عمّا يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كلِّ قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أنْ

يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أنْ يغفلوا أو يميلوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس، خيارهم أفضلهم عنده، أعمّهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة.

قال: وسألته عن مجلسه، فقال: كان صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يجلس ولا يقوم إلَّا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم، جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كلَّ جلسائه نصيبه، ولا يحسب أحد من جلسائه أنَّ أحداً عليه منه، من جالسه صابره، حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلَّا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه، وصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: فكيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظّ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عمّا

لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته ولا عثراته، ولا يتكلم إلَّا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنَّما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك ممّا يضحكون منه، ويتعجب ممّا يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه، حتى إنْ كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلَّا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه، حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته عن سكوت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فقال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير، فأمَّا التقدير، ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأمَّا تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخذه الحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أُمَّته، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة)[١٨].

(١٨): بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٦ ص ١٤٩/ ١٥٣.

الفصل الثاني

دفاعاً عن النبيِّ الأعظم

صلى اللّه عليه وآله وسلم

لم تسلم النبوّة لا النبيُّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم، من الدسِّ والتشويه سيراً على خطى اليهود، واقتفاءً لآثارهم في تسقيط أنبيائهم عليهم السلام، بنسبة ما لا يجوز عليهم من الذنوب، ومن قبل كلِّ من كانت له مصلحة في تضليل الناس، ودفعهم عن الاعتقاد الصحيح لمقام النبوة وعصمة أصحابها، ويظهر أنَّ الأنظمة التي كانت تحكم رقاب المسلمين في العصور الأُولى، هي التي أسست لعقيدة الضلال تلك، وحالت بين المسلمين وبين الاعتقاد الصحيح بالنبوّة والنبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم، فقد كانت ترى أنَّ كلَّ أساس سليم للدين يهدد سلطانها، ويشكل خطراً مهدداً لبنيانها، فنجحت من خلال استمالتها لعدد من المتفيقهين في إرساء عقيدة مشوهة بين المسلمين، حثتهم على اعتناقها عنوة، وفسحت المجال لها وحدها لتدرس للناس، ويتخرج بها طلاب متاع الدنيا.

وبعد عقيدة التوحيد كان للنبوة نصيب من ذلك الدّس، حيث استهدف هذا الركن بحملات عديدة، أراد أصحابها الحطَّ من مقام النبوة العالي، ونزع القداسة عنه تمهيداً لضرب غيره من المقامات الإلهية. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[١٩] ولم تكن أنظمة الجبت والطاغوت منطلقة في عملها من فراغ، وهي التي كانت مقتفية في ذلك أثر حزب النفاق، الذي كان سباقاً إلى زرع بذور الشك والريبة لإبطال دور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، بما روج عليه من أكاذيب، حتى قام خطيباً في جموع المسلمين (الصحابة) فقال: «**من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار**»[٢٠].

حتى هذا الحديث أيضاً لم يسلم من التحريف، فقد ألصقوا به لفظ (متعمداً) لتتواصل سلسلة الكذب وقد وجدت ست روايات خالية من ذلك اللفظ وهي كالآتي:

١ : حديث عن عليٍّ عليه السلام: «**من كذب عليَّ فإنَّه يلج النار**»[٢١].

٢ : حديث عن سلمة بن الأكوع: «**من قال عليَّ ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار**».

٣: حديث عن أبي قتادة: «**من تقوَّل عليَّ ما لم أقل...**»[٢٢].

٤ : حديث عن جندرة: «**من كذب عليَّ أو قال عليَّ غير ما قلت، بُني له بيت في جهنم**»[٢٣].

---

(١٩): سورة التوبة الآية ٣٢.

(٢٠): مسلم ج١ص٧ - أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٢١): رواه البخاري - لقط اللآلي المتناثرة للزبيدي ص٢٦١-٢٨١.

(٢٢): المصدر نفسه.

(٢٣): المصدر نفسه.

٥: حديث عن أوس: «**من كذب علَى نبيه لم يرح رائحة الجنة**»(٢٤).

٦: حديث عن رافع بن خديج: «**وليتبوأ من كذب عليَّ مقعده من جهنم**»(٢٥).

وفي هذه الروايات الست دليل على أنَّ زيادة (متعمداً) لم يقلها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وإنَّما وضعت لغاية تخفيف خطورة الكذب عليه، فمن كذب غير متعمد، أو روى كذباً عن كاذب، فهو غير متعمد، والتهديد لا يشمله، فكانت الإضافة معذرة وملاذاً للمتعصبين، من أصحاب البدع والأهواء، المتنكبين عن صراط الصفوة الطاهرة من أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ومطيّة سهلة الركوب، لنصرة مذاهبهم وتأييد حكامهم، وبين الضغوطات السلطوية والمذهبية، خرج الاجتراء على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وظهرت أعلام التشويه والانحراف؛ لذلك وجب علينا أنْ لا نسلِّم بكلِّ ما أُلقي إلينا من عقيدة، حتى نستصفي منها الصالح والسليم، ونردَّ كلَّ ما وقع فيها من لئيم وسقيم على أعقابه مخذولاً مقهوراً، لأنَّه من عمل الشيطان وحزبه.

---

(٢٤): المصدر نفسه.

(٢٥): المصدر نفسه.

أسباب الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم

تعدد دافع الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم بتعدد مصادره، حسب مصالحهم وأهوائهم وغاياتهم، فالمنافقون وحزبهم الذي ألّفوه كان نشطاً على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، قد حقق بعض النجاح في بثِّ الشك والريبة في كلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، كما في الرواية التي نقلها مسلم عن عبد الله بن عمرو حيث قال: كنت أكتب كلَّ شيء أسمعه من رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أُريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا أتكتب كلَّ شيء تسمعه، ورسول الله صلَّى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وسلم، فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: «**اكتب فو الذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلَّا حق**»(٢٦).

لذلك لم تنته حملة التشكيك، وتقوَّت بعد وفاته بأنْ مُنع تدوين السنة النبوية، بل وأقدم أبو بكر وعمر على حرق ما طالته أيديهما من أحاديث، كانت مدونة عند عدد من الصحابة الذين خدعوا بالدعوة التي أُطلقت من طرفهما: (فناشد الناس

(٢٦): سنن أبي داود كتاب العلم ح:٣٦٤٦ الدارمي في سننه ج١ ص ١٢٥و الحاكم في المستدرك ج١ص١٠٥/١٠٦ أحمد في المسند ج٢ص١٦٢و١٩٢.

أنْ يأتوه بها، فلمّا أتوه بها، أمر بتحريقها)(٢٧). ولا يخفى عن كلِّ ذي لبٍّ وبصيرة، أنَّ السبب الأول الذي دعا هؤلاء القوم إلى اتخاذ ذلك الموقف المناوئ والمعادي للسنة، هو فصل الناس عن المعاني الواضحة، والتفاسير الدقيقة لعدد من الآيات القرآنية، التي تحدثت عن الولاية والحكومة الإسلامية، كيفيتها وطريقة نصبها، فكلامه في حقيقة الأمر قرآن مفسر، لما نزل عليه من قرآن مجمل، لذلك فإنَّ الله تعالى عدَّ كلامه صلَّى الله عليه وآله وسلم قرآناً بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢٨).

واستمر أمر حرق ومنع السنة النبوية من أنْ تكون قريبة من الناس من طرف الحكام الذين تسلطوا على رقاب المسلمين بدءاً من السقيفة حتى جاء الطلقاء من

---

(٢٧): قالت عائشة: (جمع أبي الحديث عن رسول الله، فكانت خمسمائة حديث فبات ليله يتقلب، فلمّا أصبح قال أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فأحرقها).
المتقي الهندي – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج ١ ص٢٨٥/ ٢٨٦.
الذهبي – تذكرة الحفاظ / طبقات الحفاظ للذهبي/ الطبقة الأُولى ج ١ ص٩/ ١١.
قال زيد بن يحيى: حدثنا عبد الله بن العلاء، قال: سألت القاسم أنْ يملي عليَّ أحاديث فمنعني، وقال: إنَّ الأحاديث كثرت على عهد عمر، فناشد الناس أنْ يأتوه بها، فلمّا أتوه بها، أمر بتحريقها، ثمَّ قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب.
(الذهبي–سير أعلام النبلاء – الطبقة الثانية – القاسم بن محمد – الجزء ٥ الصفحة ٥٩)، ابن سعد – الطبقات الكبرى – الطبقة الثانية من أهل المدينة من التابعين ٧٣٧ – القاسم بن محمد ج ٥ ص ١٤٣.
(٢٨): سورة طه الآية ١١٤.

بني أُمية الذين ما كان لهم أنْ يحلموا بتسنّم مقاليد أمر المسلمين وهم من أَسس أساس الحرب عليهم وعلى نبيّهم صلَّى الله عليه وآله وسلم، لولا جماعة السقيفة، الذين كانوا في حقيقة الأمر الوطاء الذي مهّد لهم اعتلاء سدة الحكم.

كما كان لبني أُمية موقف آخر من السنة، أشدّ خطراً وأكثر ضرراً، فمعاوية هو من شجع الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأعطى ما أعطى من أموال ومناصب، من أجل وضع الروايات ونسبتها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فبثَّ فيها سموماً كثيرة، وهي التي لم تكن مدونة عند الكثيرين، كما لا يخفى على الدارس للتاريخ بما حواه من نقائص، وكتب الحديث والسيرة وطبقات الرجال، يرى جلياً، بصمات اليهود على الروايات التي تتعلق بالتوحيد والنبوة، فقد أمكن لكعب الأحبار أنْ يجد له مكاناً مقدماً بين الصحابة، بفضل عمر بن الخطاب الذي أتاح له أنْ يقصَّ في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، ويفرغ سمومه في عقول من كان يستمع إليه من الصحابة، فنجح في تلويث العقيدة الصافية التي ترك عليها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم الكثيرين منهم، ومن ثمَّ نشأ الاعتقاد اليهودي للتوحيد والنبوة، تحت غطاء وبعنوان إسلاميين.

وكانت معاناة أهل البيت عليهم السلام في تلك الحقبة من الزمن كبيرة، وكان عليهم أنْ يستميتوا في حفظ تراث جدّهم، والدفاع عن مقامهم في الأُمَّة،

والخروج بين هذين المطلبين بأخف الأضرار، عليهم وعلى الثلة المؤمنة التي والتهم، واتبعت وصية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فيهم، وكان لهم أنْ نجحوا في أداء مهمتهم للأُمَّة، فبينوا حقيقة التوحيد، ووضحوا معاني النبوة وذبوا عنهما ما ألصقه الظالمون والجهلة من ترهات لا تليق بهما، ولمّا كنّا قد ذكرنا في بحث منفصل أُسس التوحيد الصحيح لأهل البيت عليهم السلام، أشرنا إلى عقيدة غيرهم ممّن تنكب عن نهجهم، في مقارنة تقطع على الصادق وجهته، فإنَّنا في هذا المقام، نتعرض لمعاني النبوة وحقيقتها في عقيدة أهل البيت عليهم السلام، مشيرين في الوقت نفسه إلى ما يعتقده غيرهم من بقية الفرق الإسلامية بخصوص نبوّة النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، تاركين أمر اختيار الاعتقاد الصحيح إلى من في قلبه بصيص من نور وبقية من رجاء، فنقول بعونه تعالى:

النبوة هي مركز الاجتباء ومقام الولاية الثاني، جعله المولى سبحانه وتعالى سبباً بينه وبين خلقه، وطريقاً إليه، فهي بابه الذي يؤتى منه تعبداً وطاعة، وهي نوره ووجهه ولطفه ورحمته، وهي حجته على خلقه وينبوع علمه ومعرفته. والأنبياء اختارهم المولى سبحانه وتعالى ليكونوا وسائط بينه وبين خلقه، واختصهم برسالاته وشريعته لما ظهر من صفاء معادنهم وجلاء أرواحهم، سبقوا بقية الخلق إلى معرفته تعالى، فكافاهم بأنِ اختارهم واصطفاهم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾(٢٩).

ولَمَّا كان خالق الخلق غير متناهٍ في الكمال وفي الجلال، وفي غيرهما من الصفات التي لا حصر لها ولا عدَّ، فقد عسر على غير الصفوة معرفته حق المعرفة والدلالة عليه، لأنَّ تجلياته تعالى، تتطلب وعاءً خاصاً، مستعداً لانعكاس الفيض الإلهي عليه، فدلّ ذلك على أنَّ منتهى النقص، لا يمكن له إدراك منتهى الكمال، إلَّا بواسطة تكون خالية من النقص، قابلة لإشراقات البارئ تبارك وتعالى.

لقد دأب الأئمة الأطهار من آل محمّد صلَّى الله عليه وعليهم، على توضيح معالم الدين وأحكام الشريعة، لكلِّ من قصد بيوتهم التي أذن الله أنْ ترفع، رغم عداء الظالمين لهم، ومحاولة فصلهم عن دورهم الإلهي، استطاعوا أنْ يحفظوا المعالم الحقيقية التي جاء بها جدّهم صلَّى الله عليه وآله وسلم، ويبثوها صافية من أدران الطغاة نقية من شوائب أئمة الضلال عارية عن كلِّ شبهة، جلية المعاني واضحة المعالم، ولولا ألطافهم الإلهية، لاندرست معالم الدين، ولن أكون مغالياً في قولي هذا، لأنَّ كلَّ من تجرد من عصبية التمذهب العمياء، سيقف على محجة الصادقين والسابقين، وسيكون بإذنه تعالى في زمرة أصحاب اليمين.

---

(٢٩): سورة الحج الآية ٧٥.

جاء عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، في جوابه للزنديق الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء والرسل؟ قال: «**إنَّا لما أثبتنا أنَّ لنا خالقاً صانعاً، متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أنْ يشاهد خلقه ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أنَّ له سفراء من خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، المعبرون عنه عزَّ وجلَّ، وهم الأنبياء صفوته في خلقه، حكماء مؤيدون بالحكمة، مبعوثون بها، غير مشاركين للناس، على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك بكلِّ دهر وزمان، ممّا أتت به الرسل والأنبياء عليهم السلام من الدلائل والبراهين، لكي لا تخلو أرض الله من حجة، يكون معه علم، يدلّ على صدق مقالته، وجواز عدالته**»[٣٠].

(٣٠): حق اليقين للسيد شبر ج١ ص٢٠٩.

الاختلاف في عصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم

انقسم المسلمون في فهمهم وإدراكهم لحقيقة النبوّة وجوهرها إلى قسمين:

القسم الأول:

يقول بعصمة الأنبياء قبل النبوّة وبعدها، لما معناه عدم جواز صدور الذنوب عنهم صغيرها وكبيرها، عمدها وسهوها، واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية، وهم أتباع الأئمة الطاهرين من آل محمّد الميامين صلَّى الله عليه وآله وسلم.

القسم الثاني:

يقول بعدم عصمتهم قبل النبوّة، أمّا بعدها ففي التبليغ عن الله تعالى فقط، وجوزوا عليهم الأخطاء عمداً وسهواً، ونسبوا لهم ما لا يجوز حتى على أهون المسلمين، وهم أتباع ما يسمى بالسنة والجماعة.

وحتى يتبين الرشد من الغي، وتظهر أعلام الحق عالية، لابُدَّ من موازنة بين الرأيين، فماذا يقول أصحاب الرأي الأول شيعة الأئمة الاثني عشر، خلفاء الله في أرضه، والمستحفظين على شريعته بعد الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم؟

اقتضت ألطاف المولى سبحانه وتعالى، أنْ تكون الواسطة بينه وبين خلقه معصوماً، لما لا يخفى من حكمته، واصطفائه لوسائطه من خلقه، مبنيٌّ على ذلك

الأساس، وليست العصمة بالمعنى الذي انغرس خطأً في بعض العقول، والذي مفاده أنَّ المعصوم مجبور على عدم فعل المعصية، وإنَّما هي ملكة عقلية وحسية، بلغت من المعرفة للخالق تعالى والإدراك له، بحيث يكون صاحبها ممتنعاً عن المعاصي مع قدرته عليها، ثمَّ يكون مسدداً من قبل المولى بعد ذلك، لما يظهر له من تجليات آياته تعالى.

وبناءً على ذلك نقول: إنَّه لما كان المولى سبحانه وتعالى مطلعاً على استعدادات خلقه، وإمكاناتهم الباطنة، فضلاً عن الظاهرة، فإنَّ اختياره كان متجهاً إلى الأصلح، والأكثر استعداداً للقيام بوظيفة التبليغ عنه، فيفعل به ألطافاً، ويهيأ له ما يؤهله إلى الأداء عنه، فلابُدَّ إذن من أنْ يكون الواسطة بين الله تعالى وخلقه، أفضل وأحسن عقلاء عصره، معصوماً من كلِّ ذنب، مبرأً من كلِّ تهمة، خالياً من كلِّ نقيصة وعاهة، متكاملاً خَلقاً وخُلقاً، منزهاً عن وضاعة الأصل، ككفر الآباء والأُمَّهات، معلوماً عند الخالق تعالى قبل الخلق، غير مستدرك بعده، وإذا كانت هذه الصفات غاية يسعى الفرد المؤمن للحصول عليها، وهو في طريقه المعرفي والعملي، فكيف لا تكون محصلة عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ والعصمة هي قوة باطنة للعقل والفؤاد، موجودة في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، متنامية مع نمو جسده الشريف، ملبية لمتطلبات أدواره الحياتية، واجبة لاستكمال وثوق

الناس به، والتسليم له دون أدنى شك أو ريب في ما يصدر عنه، أهو من المولى تعالى أم منه؟ فلو جاز صدور الذنب عنه، لسقط مقامه في الناس ولكان موضع ردٍّ ولوم، بحسب الذنب الصادر عنه، وقد يقتضي ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعزيره وإيذاءه، وذلك ممّا لا يليق بالمقام العالي للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، والذي هو نيابة عن المولى سبحانه وتعالى.

والمصطفى سبقت العناية الإلهية إليه إعداداً وتهيئة، لحصول التكامل مع الوظيفة المناطة به، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**أدبني ربِّي فأحسن تأديبي**»(٣١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: «**وقد قرن به صلَّى الله عليه وآله وسلم من لدن أنْ كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره**»(٣٢).

فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مبرأ من كلِّ العيوب، منزه عن كلِّ النقائص، حتى السهو والنسيان والغفلة لا تجوز عليه، لمعارضتها للدور المناط به، ويؤيد ذلك

---

(٣١): بحار الأنوار للمجلسي ج١١ص ٢١٠ .

(٣٢): بحار الأنوار العلامة المجلسي- ج ٣٨ص٣٢٠ / / نهج البلاغة الإمام عليّ ج٢ ص١٥٧ آخر خطبته المعروفة بالقاصعة.

ما ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿... وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (*) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٣٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٣٤). وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٣٥). حتى وإنْ سلمنا بانقسام حياة النبيِّ إلى محطتين، الأُولى فترة ما قبل النبوة والثانية فترة النبوة، فإنَّ ذلك التقسيم، لا يتعدى كونه بياناً وفصلاً تاريخياً لفترتين.

أمّا الحقيقة فقد جاءت على لسان سيد الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلم إذ يقول: «**نبئت وآدم بين الماء والطين**»(٣٦)، بمعنى أنَّ خلقه ونبوته كانا قبل خلق آدم عليه السلام، ولولا محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله تعالى أرضاً ولا سماءً، ومن أجل محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم خلق الله تبارك وتعلى الخلق، وبمحمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم تقرب الأنبياء والمرسلون، وبه وبرسالته بشروا

(٣٣): سورة النجم الآية ٣.
(٣٤): سورة الحشر الآية ٧.
(٣٥): سورة الأحزاب الآية ٣٣ .
(٣٦): حق اليقين للسيد عبد الله شبر ج١ ص٢٠٩.

أُممهم، فلا مجال للقول بعد ذلك بفترة ما قبل النبوة، لأنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلم كان نبياً في عالم الملكوت، عارفاً عالماً بنفسه متيقناً من ذاته، غير أنَّه لم يكن مأموراً بالإفصاح عن مكنونه، وإظهار نبوته وشريعته طيلة أربعين سنة من ولادته. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٣٧).

أجمع المسلمون المتشيعون لمحمّد وآله الأطهار صلَّى الله عليهم، على طهارة آباء وأُمَّهات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وتنزههم عن الشرك والكفر، وما يضع من مقامه الشريف كالزنا ووضاعة الأصل. قال تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾(٣٨).

وجاء تفسيرهم للآية بما وجدوه مروياً عندهم، عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ بن الحسين، وأبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام قولهما: «**تقلب النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في أصلاب الموحدين والنبيين نبيّ بعد نبيّ، وموحد بعد موحد حتى أخرجه من صلب أبيه عبد الله، وأُمِّه آمنة عليهما السلام**»(٣٩).

فآباء الأنبياء كلُّهم موحدون مؤمنون، كذلك آباء النبيِّ وأُمَّهاته. فعبد

---

(٣٧): سورة طه الآية ١١٤.

(٣٨): سورة الشعراء الآية ٢١٩.

(٣٩): بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ١٥ ص٣.

المطلب عليه السلام كان موحداً، كذلك الحال بالنسبة لعمِّه سيدنا أبي طالب عليه السلام، ولم يكن كافراً كما يعتقده السواد الأعظم من المسلمين، وكما استطاع بنو أُميّة أنْ يغرسوه في اعتقادهم لكي يظلموا سيد قريش. ولم يؤثَر عنه أنَّه سجد لصنم أو قرب قرباناً لآلهة قريش طوال حياته الشريفة، بل جاءنا ما يفيد عكس ذلك تماماً، فقد كان عبد المطلب يتعبد في غار حراء، ومن بعده أبو طالب قبل أنْ يسلك النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مسلكهما. من أشعار أبي طالب عليه السلام والتي تثبت اعتناقه للإسلام:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم — حتى أوسّد في التراب دفينا
فانفذ لأمرك ما عليك مخافة — وأبشر وقرَّ بذاك منه عيونا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمّد — من خير أديان البرية دينا (١)

وهو الذي آوى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ونصره، وردّ عنه أذى المشركين، وتحمل من أجله تبعات ذلك، فنفي إلى شعاب مكة، وقد سمي المنفى بشعب أبي طالب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾(٢).

---

(١): أعيان الشيعة السيد محسن الأمين ج٨ ص ١١٥.

(٢): سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

فمصلحة تعامله مع وجهاء ورؤوس قريش كانت تقتضي بأنْ يكتم أبو طالب إيمانه، وكان حرياً بأنْ يلقب بمؤمن قريش كما لقب حزقيل عليه السلام مؤمن آل فرعون.

لكنَّ بني أُميّة ومن حذا حذوهم، كبر عليهم أنْ يكون محمّد وآله صلوات الله عليهم بلا عيب ولا مغمزة، وسلالاتهم غارقة في الشرك وخباثة الموالد، فوضعوا أحاديث تكفر آباء وأُمَّهات وأولياء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

تعبد النبي قبل البعثة بدين الاسلام

أمَّا تعبده قبل الإذن له بالدعوة، فقد كان على دينه، وليس على دين أيٍّ من الأنبياء الذين سبقوه، لثلاثة أسباب هي:

السبب الأول: لأنَّه كان نبياً وآدم بين الماء والطين.

السبب الثاني: لأنَّ كلَّ الأنبياء جاؤوا ليبشروا بنبوته وبدينه. قال تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

(١): سورة البقرة الآية ١٣٢.

السبب الثالث: لأنَّه إمام الأنبياء والمرسلين وأفضلهم، وكان متبوعاً ولم يكن تابعاً.

معنى النبيّ الأُمِّيّ

جاء عن الصولي عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ الباقر عليه السلام، قلت له: يابن رسول الله، لِمَ سمي النبيُّ الأُمِّيّ؟ قال «**ما يقول الناس؟**» **قلت: يقولون إنَّما سمي الأُمّيّ لأنَّه لم يكتب. قال: «كذبوا أنَّى يكون ذلك والله تعالى يقول في محكم كتابه:** ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ **فكيف يعلمهم ما لم يحسن؟ والله لقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لساناً، وإنَّما سمي الأُمِّي لأنَّه كان من مكة، ومكة من أُمَّهات القرى، ذلك قول الله في كتابه:** ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾»[1]. وفي موضع آخر جاء تفسير الأُمِّي بالذي لم ينزل في قومه كتاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾[2].

عجيب أنْ تنقلب المفاهيم الصحيحة عند الناس، لتتحول معكوسة في

---

(١): حق اليقين السيد عبد الله شبر ج١ص٢٤٦.

(٢): سورة الشعراء الآية ٢٠.

أذهانهم، فكيف يصح أنْ نصف المتعلم من أفواه الناس عالماً، والمتعلم من الله تعالى جاهلاً لا يحسن القراءة والكتابة.. فتبصر..

أرسل المولى سبحانه وتعالى مائة وأربعة وعشرين ألف نبيٍّ ورسول، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً، وأولو العزم منهم خمسة.

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ فقال: «**نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم**». **قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ فقال: «لأنَّ نوحاً بُعث بكتاب وشريعة، وكلُّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتى جاء إبراهيم بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرانه، فكلُّ نبيٍّ جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه، وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وبشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، وكلُّ نبيٍّ جاء بعد موسى أخذ بتوراته وبشريعته ومنهاجه حتى جاء عيسى بالإنجيل، وكلُّ نبيٍّ جاء بعد عيسى أخذ بإنجيله وبشريعته ومنهاجه، حتى جاء محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل**»(١).

---

(١): حق اليقين ج١ ص٢٤٦.

عن زرارة قال: (سالت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبيُّ؟ قال: «**النبيُّ الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك**»[(١)].

ونبينا محمّد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء والرسل، بل أفضل المخلوقات إطلاقاً، فهو الذي بدأ الله تعالى به الخلق وجعله بشارة الأنبياء، وإيذاناً بقرب خروجه، وكلُّهم بُعِثُوا لأقوامهم خاصة، وسيد المرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلم بعثه الله تعالى للعالمين، من لدن بعثته حتى قيام الساعة.

لم يقف الأئمة الأطهار من ذرية خير الأخيار صلَّى الله عليه وعليهم من حملات الدسِّ والتشويه والتحريف التي شُنت على السنة النبوية المطهرة موقف المتفرج، بل كانوا يتصدون في كلِّ مرّة وكلَّما وجدوا فرصة لإنارة عقول المسلمين بعلومهم الإلهية التي لم تطلها أيدي العابثين، لأنَّ دين الله تعالى لا يترك سدى للناس يفعلون به الأفاعيل، إنَّما وقع حفظه بأهل البيت الأطهار عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[(٢)].

والدارس لأحاديثهم ورواياتهم في شتى مجالات الدين من عقيدة وشريعة،

---

(١): حق اليقين ج١ ص١٨٤.

(٢): حق اليقين ج١ ص١٨٥.

يقف على معنى الحفظ والمستحفظين. إنَّ ذلك الدور لم يتركه المولى سبحانه وتعالى للناس، فيكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مقصراً في وظيفته، بترك القرآن بلا جمع والأحاديث النبوية بلا تدوين، بل ما جاءنا عنهم عليهم السلام أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم غادر الدنيا متمماً دوره واضعاً كلَّ شيء موضعه. قرآنه مجموع وسنته محفوظة عند أصحابه الموكلين بهما، والذين أذهب الله سبحانه وتعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين قال عنهم جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١).

من مناظرات الإمام عليٍّ بن موسى الرضا عليه السلام في عصمة الأنبياء

وللإمام عليٍّ بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، مناظرات في عصمة الأنبياء جرت له مع أصحاب المقالات، تصدى فيها مدافعاً عن مبدأ طهارة الأنبياء وعصمتهم، فجلى بكلامه وبيانه عن المسلمين غمّة الإشكال والشك، ودفع عنهم ما ارتابوه في تلك المسألة، أنقلها كما هي عن كتاب عيون أخبار الرضا عليه وعلى آله أفضل صلاة وأزكى تسليم:

حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدثني أبي عن حمدان بن سليمان

(١): سورة التوبة الآية ١١٩.

النيسابوري، عن عليِّ بن محمّد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليُّ بن موسى عليهما السلام، فقال له المأمون: يابن رسول الله أليس من قولك: إنَّ الأنبياء معصومون؟ قال: نعم قال: فما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، فقال عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا ممّا كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها، وإنَّما أكلا من غيرها، لَّما وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ وإنَّما ينهاكما أنْ تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (*) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ولم يكن آدم وحواء شاهدين من قبل ذلك على من يحلف بالله كذباً ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنَّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (*) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

فقال له المأمون: فما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ

شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ فقال له الرضا عليه السلام: إنَّ حواء ولدت لآدم خمسمائة بطن ذكراً وأُنثى، وأنَّ آدم عليه السلام وحواء عاهدا الله عزَّ وجلَّ ودعواه، وقالا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (*) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾. من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة وكان ما آتاهما صنفين، صنفاً ذكراناً وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزَّ وجلَّ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فقال المأمون: أشهد أنَّك ابن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حقاً، فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فقال الرضا عليه السلام: إنَّ إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف، صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أُخفي فيه، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ فرأى الزهرة، قال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على الإنكار والاستخبار، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ الكوكب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ لأنَّ الأُفول من صفات المحدث، لا من صفات القدم ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ على الإنكار والاستخبار ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار، لا على الإخبار والإقرار ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ قال للأصناف

الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (*) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وإنَّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أنْ يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أنَّ العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنَّما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض، وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ فقال المأمون: لله درك يابن رسول الله، فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

قال الرضا عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: «**إنِّي متخذ من عبادي خليلاً، إنْ سألني إحياء الموتى أجبته**».

فوقع في نفس إبراهيم أنَّه ذلك الخليل، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. على الخلة، قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وطاووساً وبطاً وديكاً فقطعهن وخلطهن،

ثمّ جعل على كلِّ جبل من الجبال التي حوله، وكانت عشرة، منهن جزءاً، وجعل مناقيرهن بين أصابعه، ثمّ دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كلُّ بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه، فخلَّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطرن، ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحب، وقلن يا نبيَّ الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم بل الله يحيي ويميت وهو على كلِّ شيء قدير.

قال: المأمون بارك الله فيك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

قال الرضا عليه السلام: إنَّ موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب العشاء، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه.

فقضى موسى على العدو وبحكم الله تعالى ذكره، فوكزه فمات، قال: هذا من عمل الشيطان يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله، إنَّه يعني الشيطان ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ فقال المأمون: فما معنى قول موسى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ قال: يقول: إنِّي وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي

فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قال موسى عليه السلام: ربِّ بما أنعمت عليَّ من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة.

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ بل أُجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى ﴿فأصبح﴾ موسى عليه السلام في المدينة ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ على آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم، لأوذينك، وأراد أنْ يبطش به ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ وهو من شيعته ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ قال موسى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك، ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وقد قال الله عزَّ وجلَّ لنبيّه محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ يعني عند قومك ﴿فَهَدَى﴾ أي هداهم إلى معرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ يقول: أغناك بأنْ جعل دعاءك مستجاباً، قال المأمون: بارك الله فيك يابن رسول الله، فما يعني قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ

﴿لَنْ تَرَانِي﴾ كيف يجوز أنْ يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أنَّ الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ فقال الرضا عليه السلام: إنَّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أنَّ الله تعالى أعزّ من أنْ يرى بالأبصار، ولكنّه لما كلمه الله عزَّ وجلَّ وقربه نجياً، رجع إلى قومه فأخبرهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ كلَّمه وقربه وناجاه، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ حتى نستمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمَّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربِّهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى: أنْ يكلمه، ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى ذكره، وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه ومن جميع الوجوه فقالوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ بأنَّ هذا الذي سمعناه كلام الله: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عزَّ وجلَّ عليهم صاعقة، فأخذتهم بظلمهم، فماتوا، فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم، وقالوا إنَّك ذهبت بهم فقتلتهم لأنَّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله عزَّ وجلَّ إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنَّك لو سألت الله أنْ يريك ننظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو،

فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم إنَّ الله تعالى لا يُرى بالأبصار ولا كيفية له، إنَّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ حتى تسأله، فقال موسى: يا ربّ إنَّك قد سمعت بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله عزَّ وجلَّ: يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنَّك لا ترى.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

فقال الرضا عليه السلام: إنَّها همّت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إنْ أجبرته لعظم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾. يعني القتل والزنا.

قال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

فقال الرضا عليه السلام: ذلك يونس بن متى عليه السلام: ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استيقن ﴿أَن لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لن نضيق عليه رزقه، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، أي ضيّق وقتر ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت، فاستجاب الله له، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (*) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾.

قال الرضا عليه السلام: يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ من قومهم وظن قومهم أنَّ الرسل قد كذبوا، جاء الرسلَ نصرُنا، فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، لأنَّهم كانوا يعبدون من دون الله ٣٦٠ صنماً،

فلمّا جاءهم صلَّى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص، كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (*) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (*) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

فلمّا فتح الله عزَّ وجلَّ على نبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلم مكة، قال له يا محمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مكة ﴿فَتْحًا مُبِينًا (*) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾. عند مشركي أهل مكة، بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأنَّ مشركي مكة أسلم بعضهم، وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذ دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ قال الرضا عليه السلام: هذا ممّا نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله عزَّ وجلَّ بذلك نبيّه وأراد به أُمَّته، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾...

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يابن رسول الله وأوضحت لي ما كان

ملتبساً عليَّ، فجازاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

قال عليُّ بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمّد بن جعفر بن محمّد عليهما السلام وكان حاضراً في المجلس وتبعتهما فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم، فقال المأمون: إنَّ ابن أخيك من أهل بيت النبيِّ الذين قال فيهم: «**ألا إنَّ أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، فلا تعلموهم فإنَّهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى، ولا يدخلونكم في باب ضلالة**».

وانصرف الرضا عليه السلام إلى منزله، فلمّا كان الغد غدوت إليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمِّه محمّد بن جعفر له فضحك عليه السلام ثمّ قال: «**يابن الجهم لا يغرنّك ما سمعته منه سيغتالني والله تعالى ينتقم لي منه**»(١).

ولو أمكنك تصفح جميع كتب الإمامية الاثني عشرية - وهي الفرقة التي تمثل الإسلام المحمّدي النقي تسمت بذلك الاسم لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**سيكون عليكم اثنا عشر إماماً**».

فإنَّك لا تجد حديثاً أو رواية واحدة تمسّ من شخص الرسول الأعظم صلَّى

(١): عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ المفيد ج٢ص١٧٤/ ١٨٢.

الله عليه وآله وسلم، أو تحطّ من مقامه، فلا الوضاعون من يهود ومنافقين استطاعوا أنْ يخرقوا طوق الإمامة، ولا أنصارهم من الظالمين والجبابرة، وفقوا إلى دسِّ شيء يمكنه أنْ يفل في كيان العقيدة القوي الذي يعتنقه أتباع هذا الخط.

ولا يتم البحث، وتنجلي حقائقه وتقطف ثماره، إلَّا بعرض ما وصلت إليه يدي من روايات عند من ينتسبون إلى سنة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عنها فنقول:

عندما نتناول الكتب الروائية لما اصطلح عليه بأهل السنة والجماعة، وخصوصاً ما أسموه بالصحاح الستة، وهي الجامع (الصحيح) للبخاري، ومسلم، والمعبر عنهما بالشيخين، وسنن الترمذي، والنسائي، وسنن أبي داود، وابن ماجة، والتأكيد خصوصاً على ما يلقبونهما بالصحيحين، لأنَّهما الكتابان اللذان لا يتطرق إليهما شك، في ما حوته دفتاهما من روايات منسوبة إلى النبيِّ صلَّى اله عليه وآله وسلم، عند معتنقي ذلك الخط، غير أنَّ الحقيقة تقول إنَّ في كثير منها مساساً بعقيدة التوحيد، من تجسيم للمولى تعالى، وإظهاره بمظهر لا يليق بذاته المقدسة، وطعن في النبوّة بما نسبوه لها من ترهات، وحط من شخص النبيِّ الأعظم بنسبة عدد من الأفعال التي لا تصدر حتى عن إنسان عاقل بسيط. ولقائل أنْ يقول: لماذا سميت تلك الكتب دون غيرها من الكتب الروائية عند من عرفوا بأهل السنة

والجماعة بالصحاح، والحال أنَّ هناك غيرها من المذهب نفسه تفوقها قيمة، كمسند أحمد بن حنبل والذي يعتبر أقدمها، هذا إذا غضضنا الطرف عن الكتب الروائية الأُخرى التي تتواجد في الساحة الإسلامية ولا يأبه لها أحد من هؤلاء؟

والجواب أنَّ تسمية تلك الكتب بالصحاح جاء بعد وفاة أصحابها، من قبل أنظمة يشهد لها بالطغيان والظلم، والبعد عن الدين الحق والعداء له ولمعتنقيه. لقد نظرت تلك الأنظمة في كتب الحديث لاعتمادها رسمياً في مدارسها، ومرجعاً لفقهائها وعلمائها لتكون النواة للدين الرسمي في بلادها، فلم تجد كتباً مغيبة لروايات أئمة أهل بيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وطامسة لمقاماتهم غير تلك الكتب فاعتمدتها وزكتها وباركتها، وأضفت عليها مسحة الصحة والقداسة، وتسالمت الأجيال عليها جيلاً بعد جيل، حتى أصبح مجرد الوقوف عند حديث ممّا رواه الشيخان مدعاة للتفسيق والتكفير، فانغرس ذلك الاعتقاد عند العامة، والناس على دين ملوكهم، إلى أنْ اكتسبت صفة القداسة، واستمرت الأجيال على تلك الوتيرة حتى أصبح جامع أحاديث البخاري مقدماً في أُسطول الدولة العثمانية، خصص له قارئ يتلوه في كلِّ سفينة تيمناً وتبركاً بمحتواه، وترسخت تلك القداسة عند الناس إلى أنْ أصبحوا يحلفون بها، ففي تونس التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية بقيت آثار تلك الثقافة حتى أواخر القرن العشرين عند كبار

السن الذين كانوا يحلفون، عندما يريدون التأكيد على صحة كلامهم بقولهم: (والجاه والبخاري)، (والشفا والبخاري) والجاه هنا القصد منه السلطان العثماني والباي الذي يمثله بتونس، والشفا هنا القصد منه كتاب الشفاء للقاضي عياض، قاضي قضاة السلطة.

وعلى ذلك فإنَّنا اليوم نجاة بأنفسنا من الأُتون الذي وضعنا فيها رغماً عنا، مطالبون بالنظر في ما حوته تلك الكتب من ترهات لا تليق بالإسلام عقيدة وشريعة، نظر المبصر الواعي بما آل إليه حال الأُمَّة من تردٍّ وانحطاط وتخلف وضياع، سببه الإصرار على التعبد بالوراثة، ومواصلة تحمل تبعات من أسسوا أساس هذا الضياع الذي نتخبط فيه.

لقد بذلت ما في وسعي للدلالة على فساد كثير من الروايات المخرجة في تلك الكتب، واضعاً الإصبع على نقطة من موضع الداء، ومشيراً إلى أنَّ بيت العلم الذي هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم له باب، فقد قال: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»[1]. وجرت العادة أنَّ البيوت تؤتى من أبوابها، ومن جاءها من غير مدخلها

(١): ذخائر العقبى محب الدين الطبري ص ٧٧ / / تهذيب التهذيب ابن حجر ج ٦ ص٢٨٥؛ تهذيب الكمال المزي ج ١٨ ص٧٦/ / كنز العمال المتقي الهندي ج ١١ ص ٦٠٠ .

«**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب**»، المتقي الهندي كنز العمال – فضائل الإمام عليٍّ

سمي سارقاً أو جاهلاً. وتجاهل الإمام عليٍّ عليه السلام والانصراف عنه وعن ذرية النبيِّ الطاهرة عليهم جميعاً أفضل صلاة وأزكى تسليم، إلى مجهولي الحال ومتعاوني الضلال، للنكارة أقرب منهم إلى المعرفة، عافهم التاريخ فلم يحتفظ منهم بغير كنايات جوفاء، مدعاة للتساؤل لماذا رضينا لأنفسنا أنْ نسلك خطوطاً بعيدة كلَّ البعد عن أهل البيت عليهم السلام، في حين أنَّنا مطالبون بأنْ نكون أكثر قرباً ومودةً وحباً وارتباطاً بهم، لأنَّهم شكلوا على مرِّ التاريخ قاعدة الدين الصافي، والعلم الوافي، والثورة المتأججة ضدَّ الظلم أبداً، لم يسجل عليهم التاريخ زلة، ولا أظهر عنهم إلَّا ما يثلج الفؤاد ويفيد العباد.

عيّنات من دسائس البخاري وبقية كتب الصحاح

١ – الحديث الاول

أخرج البخاري في باب التعبير، عن عائشة قالت في حديث طويل:

الجزء ١١ ح ٦١٤ و٣٢٩٧٨/ ٣٢٨٩٠ أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها/ ٣٢٩٧٩ **«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها»**/ ٣٢٩٨١ **«عليٌّ باب علمي ومبين لأُمَّتي ما أرســلت به من بعدي حبه إيمان وبغضه نفاق»** تاريخ دمشق ابن عساكر ج ٩ ص٢٠ و ج ٤٢ ص٣٧٨ و ٣٧٩ تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ج ٣ ص ١٨١ و ج ٥ ص١١٠ وج ١١ ص٤٩ و ٥٠ و٥١.

(... فكان صلَّى الله عليه وآله وسلم يأتي حراء فيتحنث فيه (يتعبد) الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثمَّ يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه –وآله– وسلم فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فغطني ثانية فقلت: ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ باسم ربِّك الذي خلق، حتى بلغ ما لم يعلم، فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر، وقال قد خشيت على نفسي، فقالت له، كلا أبشر والله لا يخزيك الله أبداً إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثمَّ انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمِّ خديجة أخي أبيها، وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أنْ يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عمّي اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم لم يأتِ رجل قط بما جئت

به إلَّا عودي وإنْ يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثمّ لم ينشب ورقة أنْ توفي وفتر الوحي، فترة حتى حزن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى رؤوس شواهق الجبال، فكلّما أوفى بذروة جبل كي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمّد إنَّك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك[1].

هذا الحديث أخرجه جلُّ حفاظ ما يسمى بأهل السنة والجماعة، غير أنَّ البخاري تفرد بخاتمته، وأيّ خاتمة؟

قبل أنْ نتناول الحديث بالدراسة متناً، لا بُدَّ لنا من تقييمه سنداً، وإنْ كان ذلك ممتنعاً عند المتيمين بحبِّ البخاري، إلَّا أنَّه لما نجد أنَّ المسَّ والقدح والتهمة وصلت إلى معتقدنا في تنزيه البارئ تعالى وعظمته، وكيل التهم والأفعال الشنيعة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فإنَّه من واجب كلِّ من في قلبه ذرة من إيمان أنْ يتصدى لهذه الظاهرة الغريبة عن الدين والبعيدة عن العلم والمنطق والواقع.

---

(١): جامع أحاديث البخاري ج٤ ص٢٠٨ كتاب التعبير باب أول ما بدأ به رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسلم من الوحي والرؤيا الصالحة، حديث: ٦٤٦٧.

نظرة في سند ومتن الحديث:

- الليث بن سعد: قال ابن معين: كان يتساهل في الشيوخ والسماع(٢).

- عقيل بن خالد الأيلي: قال أبو حاتم: لم يكن بالحافظ، قال أبو الوليد: قال لي الماجشون: كان عقيل جلوازاً. والجلواز هو الشرطي. قال أحمد بن حنبل: ذكر عند يحيى القطان إبراهيم بن سعد وعقيل فجلَّ كأنَّه يضعفهما(٣).

- يحيى بن عبد الله بن بكير: قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ضعيف، وقال مرة: ليس بثقة(٤) .

- ابن شهاب الزهري: كان داعية الأُمويين، المقرب عندهم، وضع لهم أحاديث عندما كان عبد الله بن الزبير مستولياً على مكة(٥).

- أمَّا بخصوص عائشة بنت ابن أبي قحافة فإنَّها ولدت بعد نزول الوحي ولم

---

(٢): ميزان الاعتدال للذهبي ج٣ص٨٩.

(٣): ميزان الاعتدال للذهبي ج٣ص٣٩١.

(٤): ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ٣٩١.

(٥): ابن شهاب الزهري: وفد على عبد الملك بن مروان بدمشق كما تقدم فأكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال، ثمّ كان بعد من أصحابه وجلسائه، ثمّ كان كذلك عند أولاده من بعده، الوليد وسليمان، وكذا عند عمر بن عبد العزيز، وعند يزيد بن عبد الملك، واستقضاه يزيد مع سليمان بن حبيب، ثم كان حظياً عند هشام، وحج معه وجعله معلم أولاده إلى أنْ توفي في هذه السنة، قبل هشام بسنة. البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ج ص١٣٤.

تذكر عمَّن أخذت الرواية من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإنَّ كلَّ طامة وبلية فيها مساس بالرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم إلَّا وهي طرف فيها، سواء كان ذلك في حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، أو بعد وفاته، وهذه إحدى طاماتها، وحريٌّ بمن له دين أنْ لا يأخذ عنها شيئاً، لفرط غيرتها وبغضها لبيت فاطمة وعليٍّ عليهما السلام، حتى السيدة خديجة لم تسلم من أذاها ميتة لما رأت بأُمِّ عينيها عناية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بصاحبات خديجة واهتمامه بهن، ممّا دفعها إلى وصف سيدة النساء بالعجوز الحمراء الشدقين، واجترائها على رسول الله بقولها أكثر من مرة (أتزعم أنَّك رسول الله) فأراد أبوها أنْ يضربها فمنعه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**دعها فإنَّها امرأة غيراء لا تعرف أسفل الوادي من أعلاه**»(٦).

فكيف يعتمد الناس في دينهم على امرأة غيراء بهذا الوصف الفظيع الذي وصفها به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وخروجها من بيتها على جمل وقد أمرها المولى تعالى أنْ تقرَّ في بيتها، طلباً لحكومة ابن أُختها عبد الله بن الزبير، وقيادتها لفلول الفتنة من أعراب الجزيرة، ومنازعتها لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في إمامته الشرعية، وقتل آلاف من المسلمين بسببها من أجل أطماعها، دليل آخر على ما كانت تنطوي عليه نفسيتها، ولعلَّ المثل الذي ضربه المولى لها في زوجة

(٦): السيرة الحلبية ج١ص١٢٥.

نوح ولوط عليهما السلام كافٍ لمن أدرك معنى الأمثلة التي ضربها لنساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

إنَّ كلَّ من يتدبر ما يقع بين يديه، وله قلب واعٍ، يستهجن كثيراً من الروايات الموضوعة والمدونة في تلك الكتب، ولا يستسيغ مواقف وضعوا فيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لا تشرف أبسط بسطاء الأُمَّة، يدرك جيداً بُعد وخطر المؤامرة التي حِيكت للدين وأصحابه.

ولست أدري إنْ كانت العلّة صادرة عن عائشة، أم عن من روى عنها من أبناء أُختها، أو ممّن كان يدور في فلكها من عباد الدنيا ومتسنمي السلطة والمناصب، من أشباه الفقهاء والقصاصين الذين طالت أعناقهم عند العامة بعائشة ومن كان في شاكلتها. إلَّا أنَّني أقول جازماً إنَّ التي تجرأت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام، ومن بعده على ابنيه الحسنين عليهما السلام، عندما خرجت على بغلة مع مروان بن الحكم الخبيث وبني أُميّة تحرّض على منع الإمام الحسين عليه السلام من دفن أخيه الإمام الحسن عليه السلام، بجانب جده رسول الله، وللحادثة فائدة في ذكرها بعد أنْ دوّنها التاريخ، وليقل قائل إنَّنا نقع في أُمَّة:

روي أنَّ الصادق عليه السلام قال: «**لما حضرت الحسن بن عليٍّ عليهما السلام الوفاة، بكى بكاءً شديداً وقال: إنِّي أُقدم على أمر عظيم وهول، لم أُقدم على مثله قط، ثمَّ أوصى أنْ يدفنوه بالبقيع، فقال: يا أخي احملني على سريري، إلى قبر جدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأُجدد به عهدي: ثمَّ ردّني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني، فستعلم يابن أُمّ، أنَّ القوم يظنون أنَّكم تريدون دفني عند رسول الله، فيجلبون في منعكم، وبالله أُقسم عليك أنْ تهرق في أمري محجمة دم. فلمَّا غسله وكفنه الحسين عليه السلام، وحمله على سريره، وتوجه إلى قبر جده رسول الله صلَّى الله عليه وآله ليجدد به عهداً، أتى مروان بن الحكم ومن معه من بني أُميّة، فقال: أيدفن عثمان في أقصى المدينة، ويدفن الحسن مع النبيِّ؟ لا يكون ذلك أبداً، ولحقت عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم؟ تريدون أنْ تدخلوا بيتي من لا أحب. فقال ابن عباس لمروان بن الحكم: لا نريد دفن صاحبنا، فإنَّه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله من أنْ يطرق عليه هجماً، كما طرق ذلك غيره، ودخل بيته بغير إذنه، انصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصى، ثمّ قال لعائشة: وا سوأتاه يوماً على بغل، ويوماً على جمل، وفي رواية: يوماً تجملتِ ويوماً تبغّلتِ، وإنْ عشتَ تفيّلتَ**»، فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادي فقال:

يا بنت أبي بــــــــــــــــكر	لا كـــــان ولا كـــــــــــنت
لــــــك الـــــتسع من الـــــثمن	وبالـــــــــكلِّ تـــــــــملّكت
تــــــجمّلت تــــــــبغّلت	وإنْ عـــــــشتِ تـــــــفيّلت

بيان: قوله لك التسع من الثمن، إنَّما كان في مناظرة، فضال بن الحسن بن فضال الكوفي، مع أبي حنيفة، قال له الفضال: قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ منسوخ أو غير منسوخ؟ قال: هذه الآية غير منسوخة، قال: ما تقول في خير الناس بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله أبو بكر وعمر؟ أم عليُّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: أما علمت أنَّهما ضجيعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله في قبره، فأيّ حجة تريد في فضلهما أفضل من هذه؟ فقال له الفضال: لقد ظلما إذ أوصيا بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإنْ كان الموضع لهما، فوهباه لرسول الله صلَّى الله عليه وآله، لقد أساءا إذا رجعا في هبتهما، ونكثا عهدهما، وقد أقررت أنَّ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ غير منسوخة. فأطرق أبو حنيفة، ثمّ قال: لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنّهما نظرا في حق عائشة وحفصة، فاستحقها الدفن في ذلك الموضع، لحقوق ابنتيهما، فقال له فضال: أنت تعلم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله مات عن تسع حشايا، وكان لهن الثمن، لمكان ولد فاطمة، فإذا لكلِّ واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع

الثمن، فإذا هو شبر، والحجرة كذا وكذا طولاً، وعرضاً، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد، فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله، وفاطمة بنته منعت الميراث، فالمناقضة في ذلك ظاهرة من وجوه كثيرة[(٧)].

ولكنْ طالما أنَّها هي التي فتحت على نفسها منفذ الرواية عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، لتظهر بمظهر العالمة الفقيهة، مقابل باب مدينة علم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم الأَولى بالأخذ عنه، وتلقف منها المتلقفون يمنة ويسرة، فهي المسؤولة عما آلت إليه رواياتها. لقد جاءت كتب التاريخ والسيرة لتحدث أنَّها قد اتخذت لنفسها ذلك المقام فكان الحكام الثلاثة الأوائل يطلبون منها الإفتاء وإبداء رأيها في كثير من المسائل التي يقدمون بها عليها، ولم تتخلَ عن عثمان إلَّا عندما خذلها وأهمل جانبها، فكانت من المحرضين على قتله بل لقد صرحت بذلك على الملأ عندما قالت اقتلوا نعثلاً فقد كفر. ومن ذلك قول الشاعر:

منك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر

فأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلتِ لنا إنَّه قد كفر

إلَّا أنَّ الأُمويين وظفوا بعد ذلك دور عائشة، فكان مروان بن الحكم يقول:

---

(٧): بحار الأنوار ج ٤٤ص١٥٤/ ١٥٥.

(كيف يسأل أحد وفينا أزواج نبينا وأُمَّهاتنا). دون أنْ يكون القصد من حديثه شاملاً لبقية نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لأنَّ بقية النساء امتنعن عن القيام بدور ليس لهن.

رواية بسند منقطع كهذا، حيث لم تذكر عائشة من أخبرها، لأنَّها لم تكن مولودة في ذلك الوقت، وإنْ كانت قد ولدت فهي صغيرة جداً، لا تعي شيئاً ممّا يدور حولها، ورواة تشكل منهم السند، كعقيل الجلواز، وابن شهاب داعية الظلم الأُموي، والليث بن سعد المتساهل في الرواة والرواية، لا تقوم بهم حجة.

أمّا من حيث المتن، فتحدثت الرواية عن بدء نزول الوحي على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، بأُسلوب لا يمكن للعاقل أنْ يقبله، فإرسال الرسل في حقيقته، هو لطف من البارئ تعالى، وهو شامل لكلِّ مخلوقاته، وأول ما نزل به جبريل عليه السلام هو سورة (اقرأ) والتي بدأت ببسم الله الرحمن الرحيم، فكيف يمكننا أنْ نسلم بالطريقة الفظة التي تعامل بها المولى تعالى مع أفضل مخلوقاته، وهو الرحمن الرحيم، يأمر جبريل عليه السلام بأنْ يغطه ثلاث مرات، في كلِّ مرّة تكاد تزهق فيها روحه، فهل عند نبيِّ الله شيء يراد إخراجه منه، فمورست عليه تلك الطريقة من الشدة؟ أم أنَّ جبريل عليه السلام أراد إعطاء شيء للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ أم أنَّ الوحي لا يتم إلا بالغط والخنق الشديدين؟

وكيف يمكننا أنْ نقنع بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يدري أنَّه مرسل حتى نزول جبريل عليه؟ فيكون يحيى وعيسى عالمين بنبوتهما ناطقين بها، وهما صبيان في المهد ولم يبلغا الحلم، بقوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(٨). وقال أيضاً: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾(٩). وأمن من الخوف موسى بقوله: ﴿لا تخف إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾(١٠). فكيف يصل الخوف بالرسول الأعظم والنبيِّ الخاتم إلى ذلك الحدِّ الذي صوّرته الرواية، والله تعالى لا يخاف لديه المرسلون؟

ولم تقف الرواية عند ذلك الحدِّ من الدسِّ والتشويه، لتتواصل إلى حدِّ استبلاه وتقزيم مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بالادعاء عليه فوق ذلك كلِّه أنَّه لا يدري ما يُفعل به، ولا هو واعٍ بما يجري له، فأخذه إلى ورقة بن نوفل، وتفسير ورقة لما حدث له بأنَّه الوحي الذي نزل على موسى، لكن لماذا قال ورقة موسى ولم يقل عيسى وهو الذي ذكرت الرواية أنَّه كان رجلاً يتنصر ويكتب الإنجيل وعيسى هو آخر الأنبياء، وهو الذي من المفترض أنْ يستشهد به قبل موسى؟ ليس هناك

(٨): سورة مريم الآية ١٢ .

(٩): سورة مريم الآية ٣٠.

(١٠): سورة النمل الآية ١٠.

من تفسير سوى القول، بأنَّ واضع الرواية يعتقد أنَّ الإنجيل نزل على موسى، فتأمل.

ثمَّ تأتي الرواية بمزيد من التجاهل لمقام النبوة، فتفسح المجال لورقة في نبوءاته مقابل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فيعلمه بأنَّ قومه سيعادونه وسيخرجونه، وهو لا يدري، ومع موت ورقه يفتر الوحي، ولست أدري هنا، إنْ كانت فترة الوحي حزناً على ورقة، أم تردداً في بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ ممّا دفع الأمر بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى تخير شواهق الجبال، لتسلقها ليس للنزهة، إنَّما ليلقي بنفسه منها، انتحاراً وأسفاً وحزناً، تماماً كما يفعل اليائسون من الحياة، والمنقطع رجاؤهم منه تعالى، ويتكرر المشهد في كرٍّ وفرٍّ، بين النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وبين فتور الوحي.

هكذا إذن يضعون رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، ويحطون من شخصه ونبوته، ويتباهون بالرواية، دون التعمق في ما تحويه من دسائس وأمراض، من استخفاف بالله وملائكته ورسوله الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم، وإذا لفت أحد نظرهم لخطأ ما، يخص هذه الرواية أو غيرها، خرجوا إليك بتبريرات وتأويلات واهية، كما هو شأن النووي على سبيل المثال في هامش مسلم النيسابوري، في باب فضائل موسى، والذي سنأتي عليه في خاتمة الروايات، إتماماً للحجة على قوم

عششت الخرافة والأكاذيب في كتبهم، بحيث أصبحت مطية أعداء الإسلام، والباب الذي دخلوا منه ليطعنوه من الخلف، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

٢ – الحديث الثاني

أخرج السيوطي والبزار والطبراني وابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد بن حميد بطرق مختلفة عن السدي قال: خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد ليصلِّي فبينما هو يقرأ إذ قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (*) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ ألقى الشيطان على لسانه، فقال: تلك الغرانيق العلى وإنَّ شفاعتهن لترتجى، حتى إذا بلغ آخر السورة سجد، وسجد المشركون لذكر آلهتهم، فلمّا رفع رأسه، حملوه واشتدوا به بين طرق مكة يقولون: نبيُّ بني عبد مناف، حتى إذا جاءه جبريل عرض عليه، فقرأ ذينك الحرفين، فقال جبريل: معاذ الله أنْ أكون أقرأتك هذا واشتد عليه، فأنزل الله يطيب نفسه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...﴾[١١].

---

(١١): الطبري في تفسيره ج١٨ص٦٦٢// السمعاني في تفسيره ج٣ ص٤٤٧-٤٤٨// البغوي في تفسيره ج٥ص٣٩٣// معاني القرآن الزجاج ج٣ص٤٣٤// الطبراني في المعجم الكبير ج٨/ ص٣٤-٣٦// محمد بن عبد الوهاب النجدي في السيرة ص٣٥-٣٦// السعدي في تفسيره ج١/ ص٥٤٢// تفسير ابن كثير سورة الحج الآية: ٥٢ .

نظرة في سند ومتن الحديث

إنَّ ما أخرجه الحفاظ المذكورون من روايات، ونسجوا خيوط متونها وأسانيدها، بحيث تصلح من وجهة نظرهم، أنْ تكون تفسيراً لظاهر الآية ٥١ من سورة الحج لهي من التهافت والإسفاف بمكان، للأسباب التالية:

أولاً: تناقض الروايات مع القرآن الكريم

فقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (*) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(١٢) دليل على أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يقول إلَّا حقاً ولا ينطق إلَّا صدقاً.

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾(١٣)، وقوله أيضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾(١٤)، والرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم أول المؤمنين وأول المثبتين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾(١٥).

---

(١٢): سورة النجم الآية ٣.

(١٣): سورة إبراهيم الآية ٢٧.

(١٤): سورة الفرقان الآية ٣٢.

(١٥): سورة الحجر الآية ٤٢.

فأيُّ سلطان للشيطان على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية، حتى يتمكن من ذلك الفعل الشنيع الذي تتضرر به الرسالة بأكملها إنْ أمكن وقوعه.

ثانياً: تضارب الروايات مع المبدأ العام لعصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم

والذي يتلخص في عدم صدور الذنب عنه، كبيراً كان أو صغيراً، عمداً أو سهواً، وفي الرواية كما ترى، ما هو أشنع من صدور الذنب، وهو الكفر بالله تعالى، وتعظيم آلهة قريش بالسجود لها.

ثالثاً: امتناع اجتماع الدور الرباني والشيطاني في النبي

امتناع التمازج بين الدور الرباني، والدور الشيطاني في وظيفة النبوة، كامتناع صدور الذنب عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لما لا يخفى من مصلحة الصدق والاستقامة، ومفسدة الكذب والانحراف، في التبليغ عن المولى سبحانه وتعالى.

رابعاً: الاضطراب في الروايات

اضطراب الروايات، من حيث وضعية الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، عند نطق كلمات تمجيد آلهة قريش، فقد ذكرت إحداها، أنَّه حين قرأها كان يصلِّي، وفي أُخرى، أنَّه كان جالساً في نادي قومه، وفي الثالثة أنَّه حدث بها نفسه، فجرت

على لسانه، وفي الرابعة، أنَّه كان يصلِّي عند المقام فنعس.

خامساً: اختلاف الروايات فيما نطق به النبي بالتحديد

اختلاف الروايات في محصل الكلمات التي نطق بها، إلى أحد عشر قولاً منها: (إنَّهن لفي الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى). و(إنّ تلك الغرانيق العلى) و(إنَّهن لهن الغرانيق العلى) و(تلك الغرانقة العلى)...

سادساً: اختلاف السياق القراني مع الرواية

معارضة سياق نزول القرآن لما أوردوه في الرواية أنَّ آية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ نزلت لتطييب نفس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لأنَّ الحادثة ونزول سورة النجم كانا بمكة، بينما الآية المشار إليها في سورة الحج، مدنية من دون استثناء، كما هو مروي عن ابن عباس وابن الزبير.

أمَّا من حيث أسانيد الروايات، فإنَّه ربحاً للوقت صرفنا النظر عنها، بعدما تبين اضطراب الروايات متناً، وتعارضها من حيث المحتوى، وطبيعة إرسال الرسل من الله تعالى، ومخالفتها الصريحة للنصوص القرآنية.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: في تفسير الآية: التمني: تقدير الإنسان وجود ما يحبه، سواء كان ممكناً أو ممتنعاً كتمني الفقير أنْ يكون غنياً، ومن لا ولد له

أنْ يكون ذا ولد، وتمني الإنسان أنْ يكون له بقاء لا فناء معه، وربما جاء بمعنى القراءة والتلاوة يقال: تمنيت الكتاب أي قرأته، والإلقاء في الأمنية: المداخلة فيها، بما يخرجها عن صرفتها، ويفسد أمرها. ومعنى الآية على أول المعنيين: وهو كون التمني هو تمني القلب: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾، وقدر بعض ما يتمناه من توافق الأسباب على تقدم دينه، وإقبال الناس عليه، وإيمانهم به، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، ودخل فيها بوسوسة الناس، وتهييج الظالمين، وإغراء المفسدين، لإفساد الأمر على ذلك الرسول أو النبيِّ، وأبطال سعيهم ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ﴾ يزيل ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ﴾ بإنجاح سعي الرسول أو النبيِّ، وإظهار الحق، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

والمعنى الثاني: هو كون التمني بمعنى القراءة والتلاوة: إلّا إذا تلا وقرأ آيات الله، ألقى الشيطان شبهاً مضلة على الناس بالوسوسة، ليجادلوه بها، ويفسدوا على المؤمنين إيمانهم، فيبطل الله ما يلقيه الشيطان من الشبه، ويذهب به بتوفيق النبيِّ لردِّه، أو بإنزال ما يردّه[١٦].

ويضيف في بحثه الروائي، تعقيباً على رواية الغرانيق: الرواية مروية بطرق

(١٦): الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي، الآيتان ٥٢و٥٣ من سورة الحج.

عديدة عن ابن عباس وجمع من التابعين، وقد صححها جماعة منهم الحافظ ابن حجر، لكنَّ الأدلة القطعية على عصمته صلَّى الله عليه وآله وسلم تكذب متنها، وإنْ فرضت صحة سندها، فمن الواجب تنزيه ساحته المقدسة عن مثل هذه الخطيئة، مضافاً إلى أنَّ الرواية تنسب إليه صلَّى الله عليه وآله وسلم أشنع الجهل وأقبحه، فقد تلا (تلك الغرانيق العلى وإنَّ شفاعتهن لترتجى) وجهل أنَّه ليس من كلام الله، ولا نزل به جبريل، وجهل أنَّه كفر صريح يوجب الارتداد، ودام على جهله، حتى سجد وسجدوا في آخر السورة، ولم ينتبه ثمّ دام على جهله، حتى نزل عليه جبريل، وأمره أنْ يعرض عليه السورة، فقرأها عليه وأعاد الجملتين، وهو مصرٌّ على جهله، حتى أنكر عليه جبريل...

على أنَّه لو جاز مثل هذا التصرف من الشيطان، على لسان الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، بإلقاء آية أو آيتين من القرآن الكريم، لارتفع الأمن من الكلام الإلهي، فكان من الجائز حينئذٍ، أنْ يكون بعض الآيات القرآنية من إلقاء الشيطان.

... وبذلك يرتفع الاعتماد والوثوق بكتاب الله من كلِّ جهة، وتلغى الرسالة والدعوة النبوية بالكلية، جلّت ساحة الحق من ذلك(١٧).

---

(١٧): الميزان في تفسير القرآن ج ١٤ ص ٣٩٦.

٣ – الحديث الثالث:

أخرج ابن جرير عن السدي قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ قال: كان على أمر قومه أربعين عاماً[١٨].

٤ – الحديث الرابع:

أخرج الحلبي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم، فسمع ملكين خلفه، واحد يقول لصاحبه: اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فقال الآخر: كيف نقوم خلفه؟ وإنَّما عهده باستلام الأصنام قبل، فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم.

وتستمر الحرب المعلنة على النبوة عموماً والنبي الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم خصوصاً، بلا هوادة، ولولا أنَّني وجدت هذه الروايات في كتب محسوبة على الإسلام، لقلت إنَّ أصحابها لا ينتمون إلى الدين بصلة، وأكون محقاً في ذلك لأنَّ ما أخرجوه في كتبهم يجعلهم للتهمة والشك أقرب، فمن يرضى بالنقيصة والطعن في سيد الكونين صلَّى الله عليه وآله وسلم، ويثبت في كتبه كلَّ الترهات

---

(١٨): تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٤٨٨ سورة الضحى.

التي نحن بصدد الردِّ عليها لا يمكن أنْ يحسب من المسلمين فضلاً عن كونه من العلماء.

فهل يعقل أنْ يكون رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، صفوة الخلق خاتم الأنبياء والمرسلين وإمامهم، حبيب ربِّ العالمين، نور الله المبين، على ما جاء في الروايتين ضالاً منحرفاً قبل البعثة عابداً للأصنام، مشركاً مثل قومه؟ فيكون في قومه من هو أفضل منه، ممّن كانوا يتألهون ويوحدون كقس بن ساعدة، وعبد المطلب عليه السلام.

وقد زاد ابن هشام في سيرته، أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلم أهدى للعزى شاة عفراء، وهو على دين قومه(١٩). ولو كان كذلك لعدّ في قومه مرتداً عن آلهتهم، متنكراً لها بعد سنين الاعتقاد بها والطاعة لها، فلا تستقيم دعوته ولا يؤخذ منه شيء.

ومبدأ الاصطفاء الإلهي في خصوصياته، يتعارض ولا يتفق مع الروايتين إطلاقاً، لأنَّ اختيار المولى سبحانه وتعالى لأنبيائه ورسله عليهم السلام، مبدئي لا استدراك فيه، تماماً كالوعاء الذي خصصه أهله لاحتواء الزيت، فلا يمكن أنْ يكون قد حوى نفطاً، أو سائلاً محاكياً له في اصطباغ الوعاء بلونه ورائحته.

---

(١٩): السيرة الحلبية ج١ ص١٢٧.

٥ – الحديث الخامس:

أخرج ابن جرير عن قتادة قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (*) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (*) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ كانت للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له(٢٠).

٦ – الحديث السادس:

روى ابن سعد وابن إسحاق والواقدي والحلبي، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وذكر الفجار فقال: قد حضرت مع عمومتي ورميت فيه بأسهم، وما أحب أنِّي لم أكن فعلت(٢١).

تضمنت هاتان الروايتان إشارة إلى عدم عصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، بحيث تحدثت الرواية الخامسة عن ذنوب أثقلت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فغفرها الله له، وفي السادسة تعبيره عن الندم على مشاركته في حرب الفجار وهو صغير، في حين أنَّ الواقع يقول غير ذلك، ففي سورة ﴿ألم نشرح﴾ لم يكن معنى الآية ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (*) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ منصرفاً إلى الذنب كما

---

(٢٠): تفسير القرآن عبد الرزاق الصنعاني ج٣ ص ٣٨٠ سورة الضحى.

(٢١): الذهبي في تاريخ الإسلام ج٢ص٢٨٩ / الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ص١٢٨/ السيرة الحلبية باب حضوره حرب الفجار.

نقله رواة وعلماء الضلالة، وإنَّما تفسيره كما جاء عن الطاهرين من أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، نقله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره حيث قال: (الحمل الثقيل وإنقاض الظهر كسره، والمراد به ظهور ثقل الوزر عليه ظهوراً بالغاً، والمراد بوضع وزره صلَّى الله عليه وآله وسلم، على ما يفيد السياق إنفاذ دعوته، وإمضاء مجاهدته في الله بتوفيق الأسباب، فإنَّ الرسالة والدعوة، وما يتفرع على ذلك، هي الثقل الذي حمله إثر شرح صدره)(٢٢).

أما مشاركته في حرب الفجار فالرواية من الأكاذيب التي وقع تلفيقها لتشويه صورة النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، ووضعه على صعيد واحد مع الصحابة الذين كانوا قبل إسلامهم منغمسين في تلك الحرب.

لذلك، فقد جرت العادة عندهم، أنْ لا يتم إعلاء مقام صحابي، إلَّا بوضع مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وسنأتي على ذلك في روايات أكثر وضوحاً من هذه الرواية.

٧ – الحديث السابع:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: استب رجلان، رجل من اليهود ورجل من

---

(٢٢): الميزان في تفسير القرآن العلامة الطباطبائي ج٢٠ ص ٣١٤ تفسير سورة (ألم نشرح).

المسلمين، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً صلَّى الله عليه وآله وسلم على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. قال فرفع المسلم يده عند ذلك، فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: لا تخيروني على موسى، فإنَّ الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أم كان ممّن استثنى الله(٢٣).

٨ – الحديث الثامن:

أخرج مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: كلُّ بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أُمُّه إلَّا مريم وابنها(٢٤).

٩ – الحديث التاسع:

أخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال **يعني الله تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبدي، أنْ يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام**(٢٥).

---

(٢٣): صحيح مسلم ج٧ص١٠٢ كتاب الفضائل.

(٢٤): البخاري ج٢ص٢٤٩ – مسلم ج٧ص١٠١.

(٢٥): صحيح مسلم ج٧ص١٠٢.

روايات مفاضلة الأنبياء على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، سوف لن تقف عند ذلك الحد، بل ستتجه إلى مفاضلة الصحابة على رسول الله، وسنأتي بكلٍّ على حدة لنميز الخبيث من الطيب.

في هذا الباب من مفاضلة الأنبياء على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم نقول: بناءً على أنَّ مصدر هذه الروايات هو أبو هريرة الدوسي، فإنَّ مصدر هذه الأكاذيب هم اليهود من جهة، الذين اتخذوا من جهل الراوي مطيّة لركوبه، وتمرير سمومهم إلى المسلمين بواسطته.

والمتأمل في سيرة أبي هريرة، يجد أنَّ الرجل كان كثير التردد، والانكفاء على كعب الأحبار، ومن شدّة ملازمته له زمن معاوية بن أبي سفيان اختلط عليه الأمر، فلم يعد يدري وهو يحدث عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، أأصاب حديث كعب، أم أصاب حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، أمّا إذا نحن اقتنعنا بأنَّ انخراط أبي هريرة في طابور عباد الدنيا، واللاهثين وراء متاعها القليل، الذي كان بنو أُمية يخلعونه عليهم، فإنَّنا سنجزم حتماً بأنَّ الرجل استعمل ورقة لتضليل العامة، المفتونة بثقافة تقديس الصحابة بطم طميمهم، وإلَّا فمن يشكك أنَّ محمّد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلم أفضل من أُرسل وخير من خُلِقَ، فقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**أنا سيد ولد آدم وأول من**

تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع»(٢٦).

كما أنَّ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(٢٧) دليل على تفاوت مراتب الأنبياء.

و قوله صلَّى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**»(٢٨).

وقوله أيضاً: «**أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً**»(٢٩) أدلة أُخرى على أفضلية نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلم على غيره من الأنبياء والمرسلين.

هذا من حيث الرواية الثامنة والتاسعة أمّا ما جاء في السابعة من أنَّ الشيطان يستثني في مسه مريم بنت عمران وابنها فالرواية مردودة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(٣٠).

وقوله أيضاً: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (*) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(٣١).

---

(٢٦): حق اليقين السيد عبد الله شبّر ج١ ص٢٠٩.

(٢٧): سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(٢٨): كشف الخفاء للعجلوني ج١ ص ١٧.

(٢٩): جامع البيان للطبري ج٣٠ص٣٢/ ٣٣.

(٣٠): سورة الحجر الآية ٤٢.

(٣١): سورة ص الآية ٨٠.

فكلُّ من اصطفاه المولى واختاره للتبليغ عنه يمتلك من الخصائص والاستعدادات ما يحول دون وصول الشيطان إليه، ووسيلة الشيطان لمساس البشر والسيطرة عليهم هي الجهل وجنوده، وهي غير موجودة في من اصطفاهم الله تعالى، لأنَّ المصطفى له من الخصائص والمؤهلات ما يحول بينه وبين الشيطان فلا يستطيع الاقتراب منه أبداً.

ليس هناك من تفسير للغاية التي دفعت إلى وضع هذه الروايات، سوى التشكيك في أفضلية الإسلام، ورفعة مقام نبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلم على غيره من الأنبياء، والطعن عليه بكلِّ وسيلة، حتى وإنْ كانت تافهة ومستهجنة لا يقبلها العقل السليم، وبمزيد تقدمنا في سرد روايات الطعن المحسوبة سنة، والمتقيد بكتبها ما يقارب المليار مسلم، تزداد صورة التحريف والتلفيق لتظهر من خلالها بصمات اليهود المتسترين وراء زمرة الصحابة، ممّن أتى النفاق على البقية الباقية من دينهم، فأعمتهم عن الوصول إلى المعاني السامية للدين الحنيف، فوقفوا على أعتاب أمجاد جاهليتهم، وتربصوا على مشارف طغيان أنفسهم المستكبرة، فلم تنفذ كلمات الله تعالى، ولا بيانات رسوله الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى عقولهم وقلوبهم، فضلت معلقة تذروها رياح شكوكهم ووسوستهم.

١٠- الحديث العاشر:

أخرج مسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: ما من مولود يولد إلَّا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلّا ابن مريم وأُمّه. ثمّ قال أبو هريرة: اقرؤوا إنْ شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٣٢).

منذ متى كان أبو هريرة مفسراً للقرآن، وهو الذي لم يمسك في حياته قلماً ولا قرأ صحيفة، ولم يكن معدوداً في حياة النبيِّ من قرّاء القرآن ولا من مفسريه. وإلّا كيف تفوته آية التطهير التي تقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٣٣).

أفلا تدلُّ هذه الآية على عصمة أهل البيت عليهم السلام من الشيطان وشروره، ثمّ شتان بين إرادة المولى، الذي إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كن فيكون، وبين دعاء زوجة عمران أُمِّ مريم، وكذلك بقية آيات الاصطفاء، التي تشمل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، بل هو المقدم دائماً فيها جميعاً.

---

(٣٢): صحيح مسلم باب فضائل عيسى ج٧ ص ١٠٢ ح٢٣٦٦.

(٣٣): سورة الأحزاب الآية ٣٣.

١١ – الحديث الحادي عشر:

عن عائشة قالت: نزلت في ابن أُمِّ مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله أرشدني - وعند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين - فجعل النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - يُعرض عنه ويُقبل على الآخر فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فنزلت عبس وتولى(٣٤).

أخرج ابن جرير الطبري عشر روايات بخصوص (عبس) واهية الأسانيد فيكفي أنْ نقول إنَّ الروايات جاءت من طريق عائشة وأنس وابن عباس، والذين إنْ ولد واحد منهم في تلك الفترة، فلا يعدو أنْ يكون صغيراً لا يعي شيئاً ممّا يدور حوله، إضافة إلى غياب أنس عن حادثة نزول الآية والتي وقعت في مكة، لأنَّه من أهل المدينة. لذلك فإنَّ انقطاع سند الرواية يسقطها من مقام الروايات الصحيحة.

أمَّا متون الروايات المتحدثة عن عبوس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فلم

---

(٣٤): سورة عبس: صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة عبس حديث ٤٦٥٣/ سنن الترمذي كتاب التفسير ج١ ص ٤٣٢ / تفسير الطبري ج ٣٠ ص ٦٤ / تفسير ابن كثير ج٤ ص ٦٢٩ / تفسير ابن أبي حاتم ج١٢ ص٣٦٥/ التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ج٣٠ص٩١/ تفسير الكشاف الزمخشري ج٤ ص٧٠١ / روح المعاني للألوسي ج٣٠ ص٣٨/ جامع أحكام القرآن للقرطبي ج ١٩ص٢١٣/ محاسن التأويل للقاسمي ج ٩ص٣٢٤/ التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي ج٣ص٢٨٢/ فتح القدير الشوكاني ج٥ ص٣٨٦.

تكن متفقة بخصوص من تصدى له رسول الله، ففي واحدة يقولون: وعند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم عظماء قريش، وفي ثانية يقولون: كان يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل والعباس بن عبد المطلب، وفي ثالثة، أنَّه كان يناجي أُمية بن خلف رجلاً من علية قريش، وفي رابعة أنَّه كان يناجي أُبي بن خلف، وفي خامسة تصدى لرجل من مشركي قريش كثير المال رجاء أنْ يؤمن(٣٥).

وباضطراب الروايات تسقط بعضها البعض من ناحية ولعدم استقامة توجه النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم للأغنياء من مشركي قريش، وهم الذين حاربوه وصدوا عن دينه صدوداً منذ اليوم الأول من دعوته، ولم يكن لديهم استعداد لسماعه ومجالسته، فضلاً عن مناجاته، خصوصاً أشدّ أعدائه وألدّ خصومه، عتبة بن ربيعة وأبا جهل، وأُمية بن خلف، بدليل أنَّ دعوته لم تجد آذاناً صاغية، لدى هؤلاء ووجدت لها من المستضعفين من يتقبلها ويحملها، كما جرت العادة في سابق دعوات الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾(٣٦).

---

(٣٥): الميزان في تفسير القرآن ج٢٠ص٣٠٩.

(٣٦): سورة هود الآية ٢٧.

وقال أيضاً: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾(٣٧).

فكان توجه الأنبياء عليهم السلام في دعواتهم دون استثناء، والرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم خصوصاً، إلى الفقراء والمستضعفين، كأولوية لا حياد عنها، من أجل إنقاذهم ممّا هم فيه من شظف العيش، وضنك سوء المعاملة، لأنَّ الدين جاء أساساً ليخلص هؤلاء، من تبعية وسلطة وغطرسة وظلم واستعباد الأغنياء لهم، إلى عبادة البارئ تعالى ربِّ الأرباب وإله الآلهة، ليرشدهم إليه وإلى عدله وولايته ورحمته.

ولم يؤثر عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولا كان من عادته، الحرص والتهافت على أغنياء قريش وأشرافهم وصناديدهم، كما جاءت به الروايات التي نحن بصددها، لأنَّ الدين جاء لاغياً لتلك المفاضلة الزائفة، والتي لم تكن مستندة إلى مقياس عادل، وإنَّما هي جاهلية انغرست في قريش دهراً طويلاً، جاء الإسلام ليلغيها بكلِّ بساطة، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلَّا بالتقوى، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٣٨). ولم يقل أغناكم، لقد جاء الدين كلُّه ليؤكد على أنَّ متاع الدنيا قليل وزائل، وأنَّ علاقة الناس ببعضهم يجب لا أنْ تأخذ بعين الاعتبار

(٣٧): سورة الشعراء الآية ١١١.

(٣٨): سورة الحجرات الآية ١٣.

في المفاضلة ذلك المتاع. كما أنَّ الغنى مادة للشرِّ إذا لم يكن صاحبه مؤمناً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(٣٩).

وبعودتنا إلى الآيتين في سورة عبس، نكتشف الحقيقة بيسر، وهي أنَّ الخطاب في الآيتين جاء مبنياً للمجهول، ولم يؤثر عن البارئ تعالى أنَّه خاطب نبيّه بضمير الغائب، وكان من الأَولى بالنسبة لمن يعتقد في نبوة أشرف وأكرم الخلق عند الله تعالى، أنْ ينزه ساحته عن هذه الفرية الأُموية، لأنَّ العبوس من مساوئ الأخلاق، لا تجوز على المؤمن البسيط، فضلاً عن من عظم البارئ تعالى خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وقال عنه كذلك: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

فكيف يعقل أنْ يذهب حرص النبيِّ على المؤمنين، والذي صرّح به المولى تعالى وينصرف إلى المشركين، فيكون عاملاً بخلاف الأوامر الإلهية، وساعياً عكس إرادة البارئ تعالى.

فكان من باب الإيمان صرف هذه النقيصة، وإلصاقها بصاحبها فهو أَولى بها،

(٣٩): سورة الإسراء الآية ١٦.

والآية أشارت إلى أنَّ العبوس حصل بمجرد مجيء الأعمى لقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (*) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وهو عبوس لا مبرر له، لأنَّه جاء بدون مقدمات عكس ما حكته الروايات.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الآية: وليست الآية ظاهرة الدلالة على أنَّ المراد بها هو النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، بل خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، بل فيها ما يدلُّ على أنَّ المعني بها غيره، لأنَّ العبوس ليس من صفات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مع الأعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين، ثمّ الوصف بأنَّه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (*) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فأمره بخفض الجناح للمؤمنين، والسورة من السور المكية النازلة في أوائل الدعوة.

وكذا قوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي سياق الآية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ النازلة في أول الدعوة العلنية، فكيف يتصور منه العبوس والإعراض عن المؤمنين وقد أمر باحترام إيمانهم وخفض الجناح لهم، وأنْ لا يمدنّ عينيه لأهل الدنيا(٤٠).

(٤٠): الميزان في تفسير القرآن ج٢٠ ص٣٠٩.

وقد ذهب نظام الدين النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن، إلى الإسراف في إلصاق الآية بالرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم فقال: قال أهل المعنى في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، دلالة على مزيد الإنكار، كمن يشكو جانياً بطريق الغيبة وهو حاضر، ثمّ على الجاني موجهاً التوبيخ، وفي ذكر الأعمى نحو من الإنكار أيضاً، لأنَّ الأعمى يوجب العطف والرأفة عند ذوي الآداب غالباً، لا التولي والعبوس، ولا يخفى أنَّ نظر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كان على أمر كلّيٍّ، وهو رجاء إسلام قريش، فإنَّه في الظاهر أهم من إجابة رجل أعمى على الفور، إلَّا أنَّه سبحانه عدَّ هذا الجزئي، كلياً من ناحية أُخرى، هي تطييب قلوب الفقراء والضعفاء، وإهمال جانب أهل الغنى والثراء، فإنَّ هذا أدخال في الإخلاص، وابتغاء رضوان الله وذلك مضنة للتهمة والرياء. يحكى عن سفيان الثوري، أنَّ الفقراء كانوا في مجلسه أُمراء، وأيضاً فائدة الإرشاد والتعليم، بالنسبة إلى هذا الأعمى أمر معلوم(٤١).

انظر هداك الله إلى الحق، وبصرك بمسلك الصدق، كيف يوغل هؤلاء وعلماؤهم في اتباع الظن، وإلصاق كلِّ نقيصة ومذمة بالنبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، حتى وإنْ كانت بعيدة الاحتمال، متعارضة مع شخص النبيِّ صلَّى الله

(٤١): نظام الدين النيسابوري هامش الطبري سورة عبس.

عليه وآله وسلم ودوره، ويضربون أمثلة الاستقامة بسفيان الثوري وغيره، في خفض جناحه للفقراء، ولا غرابة فيما صدر عنهم، لاعتمادهم عدم عصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ففي أحسن الحالات عندهم، يقولون بعصمته في التبليغ فقط.

أمّا ما جاء بعد الآيتين في سورة عبس، من خطاب مباشر يتصور أنَّه موجه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وما هو في حقيقته، غير محاكاة لخطاب العرب في الكنايات والاستعارات، من قبيل (إياك أعني واسمعي يا جارة) وفي الكتاب العزيز أمثلة كثيرة على ذلك. قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. والخطاب هنا موجه للمسلمين وليس للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لأنَّه يتيم الأبوين.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾. والخطاب كما ترى موجه لعموم المسلمين، لأنَّه لا يمكن للصفوة أنْ تنحرف وتجعل مع الله شريكاً.

١٢ – الحديث الثاني عشر:

أخرج مسلم عن عائشة، وعن أنس أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مرَّ

بقوم يأبرون النخل فقال: لو لم يفعلوا لصلح، قال فخرج شيصاً، فمرّ بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال أنتم أعلم بأمر دنياكم(٤٢).

هذه الرواية هي من أعظم البلايا التي ابتلي بها فكر جانب مهم من الأُمَّة الإسلامية، إنْ لم نقل أغلبهم باعتقادهم صحتها واعتمادهم على مضمونها، فما يسمى بأهل السنة والجماعة يرون أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم غير معصوم فيما يصدر عنه عدا الوحي، وطالما أنَّه كذلك في معتقدهم، فلماذا أطلقوا على أنفسهم تسمية أهل السنة؟ والسنة هي مجموع أفعال وأقوال وتقارير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فكيف يصح اعتماد سنته مع ما وصفوه بعدم عصمته؟ فيكونون بذلك قد أخذوا الجانب الذي يحتمل فيه الخطأ.

بعد أنْ استعرضت الدكتورة نادية شريف العمري أقوال القرطبي والنووي المتطابقة مع ابن خلدون في (أنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام يقول في أُمور المعايش من طبٍّ وزراعة بما يقول به الناس حوله ناتجاً عن تجارب وعادة وهذا فيما لا يوحى إليه طبعاً). قالت: (وتتجلى صحة هذا الرأي بالمقارنة بين ما غاب عنه من شؤون

(٤٢): أخرجه مسلم في صحيحه ح٢٣٦١/ وأحمد في المسند ج٣ص١٥ح ٢٤٩٦٤ وعبد بن حميد في المنتخب ص٦٤ – وأبو داود الطيالسي في سننه ج١ص١٨٦ / الطحاوي في شرح معاني الآثار ج٣ص٤٨ / وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ١٦٥) وأبو يعلى في المسند (٢/ ١٢) وأبو نعيم في حلية الأولياء ج٤ص ٣٧٢/ ابن ماجة في سننه ح ٢٤٧١.

النخل التي تعتبر بدهية لدى أهل المدينة لأنَّه نشأ في بلد غير ذي زرع- مكة- ولم يكن لأهلها علم بحال النخل وما يصلحه وما يفسده)(٤٣).

لا شك أنَّ الرواية التي ملأت طباق كتبهم من وضع أولياء الشيطان من منافقين وطغاة، تمهيداً لإفراغ الدين من محتواه، وبتر دوره وانتهاءً إلى سلب كلِّ بارقة عنه. وبذلك أصبحت هذه الرواية مقصد كلِّ طاعن، ومرجع كلِّ قائل بفصل الدين عن الحياة، حتى الذين رفعوا شعار إحياء الدين، وتجديد مظاهره في المجتمع السني، من رموز حركات التجديد، لم يكونوا بمنأى عن اعتماد الرواية، دون أبسط نظر في ما تحتويه، وما هي في حقيقتها غير أُكذوبة مفضوحة، عارية من كلِّ قرينة تقوي جانب الاعتماد عليها، وبقطع النظر عما عليه أسانيد روايات تأبير النخل، ومهما ارتقت صعوداً في صحة رجالها، فإنَّ لمتونها مناقشات تتداعى بها أركانها وهي:

أولاً: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لم يكن جاهلاً بشيء من الأشياء يخص محيطه ويحتاجه الناس طالما أنَّه متصل بمنبع المعارف والعلوم -الوحي- ومسألة تأبير النخل هي من أبسط المعارف، التي لا تتطلب تفكيراً أو تفلسفاً

(٤٣): اجتهاد الرسول الدكتورة نادية شريف العمري ص ٨٦.

للإحاطة بها، وترك النخل بدون تأبير، يعني تشيّص أو تصيّص ثماره وعدم نضجه على طبيعته.

ثانياً: إذا سلمنا جدلاً بجهل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم للتأبير فكيف نسلم بغفلة جبريل عليه السلام، والمولى سبحانه وتعالى عن ذلك، خاصة إذا علمنا أنَّ التمر عند سكان تلك الربوع، هو من أهم الموارد الغذائية والحياتية لسكانه، علماً وأنَّ فترة التأبير تستمر أكثر من شهر ونصف، فلا يعقل أنْ يستمر تجاهل الخطأ طيلة تلك المدة، ولا يتدارك الوحي أمره بشيء، وهذا دليل قاطع، على أنَّ الرواية ملفقة، لغاية فصل الدين عن الحياة.

ثالثاً: خروج الدلاء من النخلة لا يكون دفعة واحدة وتشققها لخروج العراجين الصغيرة يتم تباعاً وقد ينتهي الفلاح من تأبير نخيله وتبقى بعض الدلاء متخلفة، فتشيص، بمعنى أنَّ التجربة سبقت، ودلَّت على أنَّ عدم التأبير مفسدة للتمر، فكيف قنع أهل المدينة بمقالة الترك، وهم متيقنون من عدمه دون نقاش، وقد جاءنا في السيرة أنَّهم كانوا لا يتحرجون في الردِّ عليه صلَّى الله عليه وآله وسلم ومناقشته، كقولهم في بدر على لسان الحباب بن المنذر: أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ على سبيل الاحتجاج على القائلين بصحة رواية التأبير، لأنَّ هذه الرواية التي استدللت بها على هؤلاء، لا تصح عند من يدرك حقيقة مقام النبيِّ

صلَّى الله عليه وآله وسلم ودور النبوة، نعم قد تكون الرواية أقل حدّة وأخف وطأة على مقام الوحي، لو أنَّ الناس ردوا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في حينه، بأنَّ كلامه من الله أم منه، وأنَّ تجربتهم في التأبير دلّت على عدم صحة قوله، عندها، يمكننا أنْ ندرج الرواية ضمن الروايات التي طعنت في معرفته وعلمه، أما والحال بهذا الشكل فإنَّها تتجاوز النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى مقامات الوحي.

رابعاً: تهافت الرواية بنسبة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى الجهل المركب، فهو في نظر هؤلاء المعتقدين بصحة الرواية، لا يعلم صلاح التأبير من فساده، ويرشد الناس إلى فساده ثمّ يمرّ بهم بعد فترة، وهو ناسٍ أمره الأول معهم، فيعتذر بعذر هو أقبح من ذنب، لا يستقيم مع رسالته، والعلة التي من أجلها بُعث للناس، وهي صلاح الدنيا، وإقامة كلِّ اعوجاج فيها.

خامساً: تعارض الرواية مع القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(٤٤) ولو كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يعلم مسألة التأبير لكان خالف معنى هذه الآية، ولم يؤثر عنه أنَّه خالف ما أمر به إطلاقاً، بل إنَّ العلة من إرساله صلَّى الله عليه وآله وسلم، هي أنْ يكون

---

(٤٤): سورة الإسراء الآية ٣٦.

المثال الحي للكتاب العزيز وتشريعاته.

وقال أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٤٥).

وفي الآية إطلاق لكلِّ أمر ونهي قام به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فكيف يتفق ذلك مع نهيه الخاطئ في الرواية؟

وقال أيضاً: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(٤٦)، وقال أيضاً: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٤٧) وقال كذلك: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٤٨) ومسألة التأبير من مشمولات الوحي، بدليل الآيات الثلاث المذكورة، وعليه فإنَّ الرواية لا تستقيم لهذا السبب.

سادساً: لقد جاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بخير الدنيا والآخرة، والمتدبر للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة - ولا أقصد بها هنا في ما يسمى بالصحاح بل ما ورد عن الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً - يقف على حقيقة أنَّ ما جاء به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إنَّما هو

---

(٤٥): سورة الحشر الآية ٧.

(٤٦): سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٤٧): سورة النحل الآية ٨٩.

(٤٨): سورة الأنعام الآية ٥٩.

لصلاح الدنيا، والقوانين التي جاء بها هي لتصحيح ما حرفه الناس، وليس العكس، فكلُّ ما يتعلق بأوجه الحياة من عمل وزواج وتعليم وسياسة وتعامل هي من الدين وإلى الدين، لم يفرط الكتاب ولا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في شيءٍ من ذلك، فكيف يحسن أنْ يكون المخلوق أعلم من الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

سابعاً: خلق الله تعالى الخلق أزواجاً، وللنخيل نصيب في ذلك التقدير والخلق، بأنْ جعل منها الذكر والأُنثى وخصَّ الذكر بالتأبير، ومنه تؤخذ شماريخه، لتوضع وسط العرجون المراد تأبيره.

ثامناً: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾(٤٩) وفي الآية ما يدلّ على أنَّ المولى سبحانه وتعالى قد حدث نبيّه عن اللقاح وأنواعه.

لقد جاءت هذه الأُكذوبة عارية عن كلِّ حقيقة، لتكرس مبدأ فصل الدين عن الحياة، تحييداً لشريعة الله تعالى، وقطعاً لجسور التواصل، بينها وبين أوجه الحياة كافة، وتحرراً من الأحكام والقوانين، التي وضعها البارئ تعالى للمجتمعات البشرية، بدءاً بالمعاملات البسيطة، وانتهاءً بأحكام الولاية والحكومة.

---

(٤٩): سورة الحجر الآية ٢٢ .

إنَّ الامتثال الكلي للأحكام الإلهية، لا يترك المجال لذوي الأطماع في القيادة، الأمر الذي دفعهم إلى وضع جملة من الروايات، المشككة في قدرات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ناسبة له الجهل والخطأ، إيهاماً للناس أنَّ الدين لا يتعدى كونه شعائر تعبدية، لا تتجاوز العلاقة بين الفرد وخالقه، وما عدا ذلك، فالناس موكولون إلى أنفسهم، يفعلون ما يحلو لهم، وفي هذه الرواية ما فيها، من فسحة للعبث والتسلط على رقاب الناس.

وحتى تنطلي المؤامرة على عقول المسلمين، وتدخل في أعماق قناعاتهم، ويتقبلوها بالرضى والتسليم، أوجد أتباع هذه الخطوط مسألة اجتهاد النبيِّ، وكونه قد يخطئ وقد يصيب، في الأشياء التي لم ينزل فيها وحي، ولا أخال عاقلاً يعتقد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يجتهد، في وجود أسباب تمنعه من ذلك، وهي اتصاله الدائم، وارتباطه المتواصل بالله تعالى وبروحه الأمين، فمن أين جاء اجتهاده إذن؟

لم تأتِ هذه البلية من طريق سليم، فمحصل أدلة القوم التي أدلوا بها، هي الأحاديث الموضوعة التي نحن بصدد تفنيدها، كتأبير النخل، ومسألة أسرى بدر، وغيرها من المفتريات، التي لا يقبل عقل سليم أنْ يصدر مثلها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

١٣ – الحديث الثالث عشر:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: صلَّى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم إحدى صلاة العشي، إمّا الظهر وإمّا العصر، في ركعتين ثمَّ أتى جذعاً في قبلة المسجد فاستند إليه مغضباً، وخرج سرعان الناس: قصرت الصلاة، فقام ذو اليدين فقال: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يميناً وشمالاً: ما يقول ذو اليدين، قالوا صدق، لم تصلِّ إلَّا ركعتين. فصلَّى ركعتين وسلم(٥٠).

تحدثت الرواية عن حالة قد تكون طبيعية عند الناس، ولكنَّها غير ذلك عند الأنبياء والمرسلين، قد يسهو الإنسان عن فعلٍ ما، وقد ينسى أمراً ما، والسهو والنسيان من جنود الجهل، والجهل من الشيطان، والشيطان ليس له سلطان على صفوة الله تعالى. أنْ ينسى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ركعتين من صلاة رباعية، وتتابعت الأحداث ليسهو عن نسيانه، ويخرج الناس دون فعل شيء، حتى يتقدم ذو اليدين لينبه النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أنَّه نسي نصف صلاته، ثمّ لا يقنع بذلك حتى يؤكد آخرون وقوع السهو منه، فذلك من قبيل التحامل على النبيِّ صلَّى

(٥٠): مسلم ج٣ص١٣٨.

الله عليه وآله وسلم، قد نعتبر المسألة من باب تعليم الناس كيف يفعلون في صلاتهم عند السهو، كما تعذر لي بعض من أُشرب حبّ الشيخين في قلوبهم، ولكنَّ الطريقة التي بنيت عليها الركعتان المضافتان لا تصح لما تخلل ذلك من حركة وكلام، كافيان لإبطال الصلاة كلِّها وإعادتها من جديد.

أيكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم عندهم بتلك الحال من الضياع والتيه بحيث لا يدري ما يفعل وهو متوجه إلى خالقه، محتاج إلى تعدد من يرشده حتى يعي بحاله؟ ثمّ متى كان صلَّى الله عليه وآله وسلم يصلِّي مغضباً، أو يصدر عنه غضب حال الصلاة؟ وهو الذي علمنا الخضوع والخشوع والسكينة والخوف والبكاء والرجاء وحضور القلب، وحسن التوجه إلى الله، بالخضوع والتذلل والاستكانة، وليس بالغضب والسهو المركب.

هذا من حيث المتن أمّا من حيث السند فيكفي الرواية سقوطاً استشهاد ذي اليدين في غزوة بدر، وقدوم أبي هريرة هذا وإسلامه، بعد انتهاء المسلمين من فتح خيبر، مع أشعريي اليمن، فكيف يتفق حضور ذي اليدين زمن أبي هريرة، وما بين السنة الأُولى للهجرة، والسنة السابعة – وهي التي فتحت فيها حصون خيبر– ست سنوات، اللهم إلَّا إذا كانت الرواية كلُّها بتفاصيلها، حلماً أو رؤيا رآها أبو هريرة، فاختلط عليه الأمر فنسي أنَّها رؤيا، وحدَّث بها الناس، على أنَّها رواية عن رسول

الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، أو لعلَّ واضع هذه الرواية بغبائه، فاته أنَّ ذا اليدين لم يعد موجوداً، زمن التحاق أبي هريرة بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

ذهب جماعة من العلماء العارفين العاملين، إلى أنَّ العالم بالفقه لا يسهو في صلاته، ولا ينسى منها ركناً، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، أعلم الناس وأعبدهم، وأقربهم إلى ربِّه أَولى بذلك، فلا تصح نسبة السهو والنسيان له، لأنَّه مسدد من قبل الوحي، بعد حضوره الذهني والروحي بين يدي خالقه تعالى.

١٤ – الحديث الرابع عشر:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: عرسنا مع نبيِّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ليأخذ كلُّ رجل رأس راحلته، فإنَّ هذا منزل حضرنا فيه الشيطان. ففعلنا ثمّ دعا بالماء فتوضأ ثمّ سجد سجدتين، ثمّ أُقيمت الصلاة فصلَّى الغداة(٥١).

ويطل علينا أبو هريرة من خلال الكثير من رواياته العجيبة والغريبة، إطلالة أُخرى لا تقل عن سابقاتها، ففي هذه الرواية التي تفتقت بها قريحته، وذلك شأنه

(٥١): البخاري ج٣ص٢٣٨/ صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة ح١١٤٥.

منذ أنْ التزم معاوية وقصر الخضراء بالشام، يتلذذ من موائد بني أُمية ما جعله يستغني عن خدمة الناس على ملء بطنه، كما كان دأبه سابقاً.

بطلان هذه الرواية جاء من وجهين:

الوجه الأول: قوله: (فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس).

حتى إذا استثنينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم من تلك السفرة أو الغزوة، فإنَّ الرواية لا تصح، لاستحالة انخراط مئات من المسلمين في نوم عميق، وقد دأبوا من قبل على أداء الصلوات في أوقاتها، وتربوا على التهجّد آناء الليل، والتنفّل في انتظار حلول وقت الصلاة، وبقاؤهم بلا حرس ولا عسس في مكان، يحتمل أنْ يكون عدو ما متربصاً بهم، فكيف يستقيم ذلك؟ أمَّا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، حاشا أنْ يكون أمره كذلك، وهو الذي تنام عيناه ولا ينام قلبه.

الوجه الثاني: قوله: (ليأخذ كلُّ رجل رأس راحلته فإنَّ هذا منزل حضرنا فيه الشيطان).

وإذا سلمنا بحضور الشيطان، لكلِّ من صحب النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فكيف يحضر عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وقد سبق أنْ علمنا أنَّ الشيطان لا سلطان له على عباد الله المخلصين، وهم الصفوة المختارة من أنبياء

ومرسلين وأوصياء عليهم السلام. وما علاقة المنزل بذلك الحضور، حتى يلقى باللائمة عليه، وينتقل منه إلى مكان آخر؟ أ لسيطرة الشيطان على ذلك المكان؟ أم لعدم طهارته؟ وفي كلتا الحالتين فإنَّ الوحي كفيل بكشفها، وعليه فلا مجال لصحة الرواية، لعدم استقامة أركانها، وتهافت موضوعها على استنقاص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

١٥ – الحديث الخامس عشر:

أخرج مسلم عن حذيفة قال: كنت مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فانتهى إلى سباطة قوم فبال قائماً(٥٢).

لا أعتقد أنَّ كلَّ مسلم فيه بقية غيرة ودين على النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، يقبل بأنْ يصل الطعن إلى أفضل المخلوقات بهذا الشكل السافر، نبيّ عظم الله تعالى خلقه، جاء بآداب فيها الخير للبشرية كلِّها، يأتي بأشياء كثر نهيه عنها، وعندما ينهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم عن أمر يكون أول المتقيدين به والممتثلين له، فيضرب مع قوله مثلاً من فعله، وعندما ينهى عن التبول قائماً، فإنَّه حتماً لا يأتي بذلك العمل، وكلُّ ما روي من أنَّه أتى بخلاف قوله، أو جاء بأمر

(٥٢): صحيح مسلم ج٣ص١٣٥/ صحيح البخاري كتاب الوضوء باب البول قائماً وقاعداً، ح ٢٢٢.

تعارض مع الآيات القرآنية فهو كذب عليه، افتراه كلُّ من له مصلحة في تشويه صورة النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم، للدس في دين الله ما ليس منه، وحُشِر اسم من أسماء الصحابة الكبار الموالين لأهل البيت عليهم السلام وهو حذيفة بن اليمان صاحب أسماء المنافقين الذين حاولوا قتل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في العقبة وهو راجع من غزوة تبوك، تلك الأسماء التي لم نجد لها أثراً في كتب إخواننا ممّن تسموا بالسنة والجماعة

١٦ – الحديث السادس عشر:

أخرج البخاري عن عائشة، أنَّ رجلاً جاء النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يستفتيه، وهي تسمع من وراء الباب، فقال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم، فقال له النبيُّ: وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم(٥٣).

أمَّا أنْ تدركه صلَّى الله عليه وآله وسلم الصلاة وهو جنب فيصوم، فذلك ممّا لا يقف على بينة، والمعروف خلافه، حتى في حال مرضه الذي توفي فيه، فقد كان يفرغ على بدنه الماء ليس لأنَّه جنب على غير طهر، وإنَّما لينشط على النهوض، وكان من عهده صلَّى الله عليه وآله وسلم تربية المؤمنين على الاستدامة في طهارة البدن والثوب.

---

(٥٣): صحيح مسلم ج١ص١٦٦/ صحيح البخاري كتاب الصوم باب الصائم يصبح مجنباً، ح١٨٢٥.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الوضوء على الوضوء نور على نور**» فكيف يتبدل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم الحال، إلى أنْ تدركه الصلاة والصوم وهو جنب؟ وكيف يصلِّي صلاته حتى نقنع بصومه وهو جنب؟ أليس من شرائط الصوم، أنْ يكون الصائم على طهارة طوال يومه؟ أليس من مستلزمات النبوة، أنْ يكون صاحبها دائماً على طهارة، لتلقي الوحي في أيِّ وقت؟ كما أنَّ من مستلزمات الإيمان، وأثر تربية النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم أنْ يكون المؤمن على طهارة دائماً، ألم يجرب أحدكم عندما يكون جنباً، ثقل تلك الحال على نفسه؟ وكيف تراه لا يهدأ ولا يهنأ، حتى يتخلص منها سريعاً، ذلك حال المؤمن البسيط، فما ظنك برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فاتقوا الله فيه أيها المسلمون.

يستمر عبث العابثين في تشويه النبيِّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم، بأنْ صوروه يقف للصلاة بالناس في المسجد، فيتذكر أنَّه جنب فيشير إليهم أنْ يقفوا مكانهم حتى يعود، فيذهب ليغتسل ثمّ يرجع إليهم يقطر ماءً.

يدونون مثل هذه الافتراءات دون أدنى شعور بالغيرة على نبيِّ الإسلام ولا احترام لشخصه صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولا خوف من غضب الله على هؤلاء الذين تطاولوا على حبيبه، بتشويه شخصه والتقليل من قيمته، والحط من مقامه، بالكذب والبهتان عليه. وستأتي الرواية تحت رقم ٤٢.

١٧ - الحديث السابع عشر:

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم يدور على نسائه، في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة. قال قلت لأنس: أو كان يطيقه قال: كنا نتحدث أنَّه أُعطي قوة ثلاثين(٥٤).

١٨ – الحديث الثامن عشر:

أخرج مسلم عن عائشة قالت: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كان يُقبِّل وهو صائم ويباشر وهو صائم لكنَّه أملككم لإربه(٥٥).

١٩ – الحديث التاسع عشر:

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كلُّ امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال الملك: قل إنْ شاء الله، فلم يقل ونسي، فطاف بهن ولم تلد منهن إلَّا امرأة نصف إنسان، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: لو قال إنْ شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته(٥٦).

---

(٥٤): صحيح البخاري كتاب النكاح باب من طاف على نسائه بغسل واحد ح ٤٩١٧ وكتاب الغسل ح ٢٦٥.

(٥٥): صحيح مسلم ج٣ص٦٥.

(٥٦): صحيح البخاري كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي ح ٤٩٤٤ .

٢٠ – الحديث العشرون:

عن عائشة قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً، فأراد رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أنْ يباشرها، أمرها أنْ تتزر في فور حيضتها ثمّ يباشرها، قالت: وأيكم يملك إربه، كما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم يملك إربه(٥٧) .

لم يترك المناوئون للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأعداء دينه السوي وخصماء بارئهم باباً من أبواب النيل من ثوابت الدين وركائزه إلَّا دخلوه، ولم يستنكفوا عن إلصاق كلِّ مغمزة وشائنة تحط من شخصه صلَّى الله عليه وآله وسلم، وتضعه موضع التهمة، ومثار الشك والريبة، ففي هذه الروايات التي وسوس بها الشيطان لأوليائه، فنطقوا بها كأنَّها من العلم الضروري الذي لابُدَّ منه لاستقامة الدين، غير متحرجين ولا متأثمين، وتلقاها عنهم أشباه العلماء، ومدونو الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وحفاظ البدع، فأثبتوها في كتبهم، إثبات المسلَّمات، دون التفات إلى محتواها، ولا انتباه إلى معناها.

فقد جاءت رواية أنس، لتخبرنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم طاف على نسائه التسع في ليلة واحدة، ولم يتحر البخاري فيها رشده، كما حكي عنه، وصوروه

---

(٥٧): صحيح البخاري كتاب الحيض باب مباشرة الحائض ح ٢٩٦ .

لنا عقلاً وقاداً نادر الوجود، في الفطنة والذكاء، ودقة الحفظ إلى درجة تفوق الخيال، كما حكي عنه أنَّه وقعت مناظرته في الحديث، فجاء عشرة رجال، كلُّ واحد بعشرة أحاديث مقلوبة المتون والأسانيد فعرضها عليه كلُّ واحد، فكان يقول في كلِّ مرّة لا أعلم، حتى إذا انتهوا، ابتدر الأول منهم فقال: له قلت كذا وكذا، والصحيح أنْ تقول كذا وكذا. إلى أنْ أتى على العشرة، يعني المائة حديث المقلوبة.

رجل يحفظ مائة حديث على غير وجهها، ومن سماع ثمّ يردّ عليها بشكل ملزم، كما في خرافة مناقبه، كيف يدّعي أنَّه يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ولا يوجد في كتابه (الصحيح) غير أربعة آلاف على أقصى تقدير، أين ذهبت بقية الصحاح؟ وإذا ما كنا بصدد تعريته وإظهاره من صحاح البخاري، وكشف تلبّسه بالصحيح، فكيف هو المكذوب عند البخاري ومن تبعه عليه يا ترى؟

ولا أكون متحاملاً على البخاري إنْ قلت: إنَّه سعى لجمع كلِّ بخار وسراب في كتابه، بلا حياء من الله تعالى ورسوله، ولا خشية من المؤمنين الذين سيكتشفون زيف كتابه ويفضحونه.

لقد قدم البخاري ومن شاكله بهذه المرويات الفاسدة، خدمة مجانية للمتربصين بالنبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم وبدينه القويم، أمثال سلمان

رشدي لعنهم الله، فانبروا يكتبون تعليقاتهم عليها، ويظهرون سخرياتهم، ويتفننون في الحطِّ من مقام سيد الكونين صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولولا تلك الكتب المفرطة في نقل الدسائس، لما وجدوا طريقاً للقدح والمسِّ والسخرية.

أترى البخاري مدركاً لمعنى النبوة، وعارفاً بمقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم حتى يقبل فيه خرافات النكاح فتصوّره إلى ذلك الحدّ من الهوس، بحيث لا تنطفئ غريزته، إلَّا بطوافه في الليلة الواحدة على نسائه التسع؟

أتبلغ الغريزة عند البشر من القوة ذلك الحدّ، حتى تتفوق على البهائم؟

أمَّا ما رواه أبو هريرة من أنَّ سليمان بن داود عليهما السلام طاف في ليلة واحدة بمائة امرأة، فخيال الخيال، وتهيئات من أخذت الخمرة بعقله، أو الأفيون بوعيه، فانبرى يخلط ويهذي، لأنَّه لا طاقه لبشر على القيام بذلك، والأنبياء كلُّهم روحانيون أبعد ما يكونون عن الشهوات والتلذذ بغريزة الجنس، مبرؤون من سفه الناس، متحكمون في غرائزهم، ومسيطرون على شهواتهم.

ولقد نظم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أوقاته مع أزواجه، فجعل لكلِّ واحدة منهن ليلة وجعل لنفسه ليلة، وفي كلِّ الليالي كان أكثر وقته متجهاً إلى خالقه، يعبده ويقوم بين يديه، وليس كما يعتقد أصحاب هذه المرويات المتهالكة،

محتضناً زوجته من أول الليل حتى طلوع النهار. كما أنَّ زواجه المتعدد لم يكن لشهوة يريد قضاءها، وإنَّما كان القصد منه تأليف القبائل وجمعها حوله، فكان زواجه في أغلبه تأليفياً، فلا يبقى لذلك الطواف بعد أدلتنا هذه معنى.

أمَّا ما جاء عن عائشة من قولها إنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم كان يقبّل ويباشر وهو صائم، فذلك من سقط القول، ومكذوب الادعاء، لأنَّ الصوم ما هو إلَّا إمساك عن كلِّ المباحات، من أكل وتلذذ بالجنس، حتى أنَّ نية قطع الصوم تفسده، وإذا ما تخلل الصوم شيء من ذلك فقد فسد، فإنَّ كان سهواً، فحكمه القضاء، وإنْ كان عمداً فعليه القضاء والكفارة، والمؤمن أرفع من أنْ ينساق إلى شهواته، فتنسب إليه مثل تلك الممارسات، فكيف بالنبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ وهو الذي كان يردد دائماً: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**».

أمَّا الرواية الأخيرة عن عائشة نفسها، فهي أعظم من سابقاتها، إذ نسبت للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مباشرة أزواجه وهن حيّض، عصياناً لأمر الله تعالى إذ يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾(٥٨). والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أول المكلفين باعتزال نسائه في المحيض، وعدم الاقتراب منهن، قبل أنْ يكون أول المبلغين، وتعارض الرواية مع

---

(٥٨): سورة البقرة الآية ٢٢٢.

الآية تسقط الرواية، فهل أسقطها أصحاب (الصحاح) كالبخاري ومن شاكله من كتبهم؟

٢١- الحديث الحادي والعشرون:

عن أبي هريرة قال: زار النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم قبر أُمِّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربِّي في أنْ أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أنْ أزور قبرها، فأذن لي، فزوروا القبور، فإنَّها تذكر الموت(٥٩).

لقائل أنْ يقول عندما يقرأ هذه الرواية عن الفائدة التي يمكن أنْ تحصل لواضعها؟ لكنِّي أقول: إنَّ رائحة طغاة بني أُمية فائحة منها، ومن مثيلاتها التي سعت جاهدة لتشويه آباء النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم وما كيدهم إلَّا في تباب.

تحدثت الرواية على مسألتين:

الأُولى: قوله استأذنت ربِّي أنْ أستغفر لأُمِّي فلم يؤذن لي.

استوقفني استئذان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ربَّه كي يستغفر لأُمِّه، وهو طلب لا يخلو من غرابة، لأنَّه لو كانت أُمُّه آمنة كافرة كما تحاول الرواية إلصاق ذلك

---

(٥٩): صحيح مسلم كتاب الجنائز باب استئذان النبيِّ صلَّى الله عليه و سلم ح٩٧٦، مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح للقاري ح ١٧٦٣ / مستدرك الحاكم كتاب الجنائز ج ١ ح١٣٩١.

لما كان جائزاً للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أنْ يقدم على طلب المحال الذي لا يغفر بالنص القرآني، ولو كانت عليها السلام مؤمنة، فكيف يستأذن فيما هو مباح له؟ بل من ضرورات الدين وواجباته لأنَّ صلة الرحم غير مخصوصة بالحياة، وهي بعد الوفاة أوكد وأشد، واحتياج الميت للحي ممّا لا يسأل عنه خاصة إذا كانت رابطة القربى متصلة به مباشرة كالأُمِّ والأب، وحديثه الذي يقول: «**يكون المرء باراً بوالديه في حياتهما فيكتب عاقاً لهما بعد وفاتهما ويكون المرء عاقاً لوالديه في حياتهما فيكتب باراً لهما بعد وفاتهما**» وفيه ما فيه من الحثِّ والتحريض والتشديد على زيارة الوالدين والاستغفار والدعاء لهما والتصدق عليهما وتلاوة القرآن والصلاة والحج عنهما، كلُّ ذلك ممّا أجازه الشرع وتناوله الفقهاء في كتبهم وعُدَّ جملته براً وصلة وطاعة.

وحتى أكون أكثر وضوحاً في كلامي أقول إنَّ المؤمنين من شيعة محمّد وآله الكرام صلَّى الله عليه وآله وسلم يعتقدون بما توفر لديهم من نصوص قرآنية وروائية أنَّ والدي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وأُصوله النسبية من المؤمنين الموحدين من لدن آدم حتى ظهوره عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم. قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[٦٠]، وفي تفسير الآية قال صاحب مجمع البيان: تقلبك في

(٦٠): سورة الشعراء الآية ٢١٩.

أصلاب الموحدين من نبيٍّ إلى نبيٍّ حتى أخرجك نبياً وهو المروي عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ الباقر عليهما السلام(٦١).

أمّا بقية المسلمين ممّن لقبوا بالسنة قولاً وخرجوا منها فعلاً، فيعتقدون بكفر آباء وأُمَّهات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم استناداً إلى روايات واهية، وتأويلات لا تقوم بها حجة تناقلوها جيلاً عن جيل، وخلفاً عن سلف، حتى أصبحت من سمات مذاهبهم وعنواناً من عناوين بغضهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ونصبهم لأهل بيته عليهم السلام من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، وإلَّا كيف يركنون إلى ركام غطى به أعداء الإسلام طريق الولاية ومسلك الهداية، يراد به وأد الإحساس الحقيقي بقيمة هذا الدين ومدى أهمية كلِّ شعيرة من شعائره التي كان من الواجب على الذين سعوا للحط منها أنْ يعظموها امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(٦٢)، فلا يظهر للناس من الدين ما يخبثه ويعكر صفو الشريعة ويدنسها.

النقطة الثانية: واستأذنته أنْ أزور قبرها فأذن لي.

لماذا يؤذن له في زيارة القبر وقد منع من الاستغفار لها؟ وما الفائدة من ذلك؟

---

(٦١): مجمع البيان الطبرسي ج٧ص٢٠٧.

(٦٢): سورة الحج الآية ٣٢.

خاصة إذا علمنا -كما جاءت به الرواية- أنَّ المنع صادر في الأصل أي محتوى القبر فلا تبقى فائدة من زيارة قبرها، طالما أنَّ الأعمال التي سيقوم بها الزائر للقبر من قبيل الاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن والتصدق والبكاء طلباً للرحمة وصلة للرحم، وتربية على تليين القلب، وتثبيتاً لمعاني الحزن في الوجدان، ومن فقد تلك العلامات صار كالحجارة أو أشدّ قسوة.

وبناءً على ذلك نقول: برجوعنا إلى القرآن الكريم، نرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (*) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٦٣).

وبعودتنا إلى السنة المطهرة من شوائب المتنطعين على منابر الدين، الناطقين بها صدقاً وعدلاً، من زكاهم المولى تعالى واصطفاهم على بقية الخلق، نرى في حديثه الذي قال فيه: «**لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية**»(٦٤).

إنَّ آباء وأُمَّهات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مؤمنون موحدون حقاً، لا

---

(٦٣): سورة آل عمران الآية ٣٤ .

(٦٤): بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ١٥ص ١١٧.

يرتاب فيهم غير الجاهل أو المنحرف عن الجادة والصواب، استناداً إلى النصوص المذكورة، وعملاً بمبدأ الاصطفاء والعصمة.

وتراهم أحياناً يخرجون روايات كاشفة للحقيقة التي يفرون منها، فلا يهتدون إليها سبيلاً، فقد أخرج الحليبي في سيرته قوله: كان أول من تحنث فيه (أي غار حراء) من قريش جده عبد المطلب، فقد قال ابن الأثير: أول من تحنث بحراء عبد المطلب، كان إذا دخل شهر رمضان، طلع حراء وأطعم المساكين(٦٥).

٢٢ – الحديث الثاني والعشرون:

أخرج ابن كثير عن مسلم وأبي داود وأحمد عن أنس: إنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار. فلمّا قفى دعاه فقال: إنَّ أباك وأبي في النار(٦٦).

هذه الرواية كسابقتها، تحاول أنْ تقنعنا بأنَّ عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام ذلك المؤمن الفذ، الذي خرج من صلبه أعظم الأنبياء، كافر بالله تعالى، مشرك أيما إشراك، مصيره إلى النار، مخالفين بذلك مبدأ الاصطفاء الإلهي وهو قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ وقوله أيضاً: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.

---

(٦٥): السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٧.

(٦٦): تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٤٧.

إلَّا أنَّنا عندما نرى أنَّ آباء وأجداد حكام بني أُمية مضوا على الكفر والشرك ومحاربة الدين وأهله، فإنَّهم لم يستسيغوا أنْ ينقل أنَّ آباءهم في النار وحدهم فوضعوا هذه الرواية ومثيلاتها ليساووا بينهم وبين الصفوة الطاهرة عليهم السلام، ومن هنا جاء ابتعاد الناس عن معاني الاصطفاء، ومفاهيم الولاية الحقيقية، فتمسكوا بخليط، اعتقدوه صادراً عن الله تعالى ونبيه الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، فتعبدوا به دونما ريبة أو شك، ومضى على ذلك الناس إلى يومهم هذا.

ونقل هؤلاء الرواة لمثل هذه الترهات، يكشف عن سطحية في معتقداتهم، بأصل مهم من الأُصول الاعتقادية في الإسلام، وقلة إدراك بالقرآن ومعانيه، إلى درجة أنَّنا نجد من يحفظ القرآن، ولكن لا يفقه أبسط معانيه، جرياً على سنة الجاهل بالأبّ ما هو؟ والذي كان يقول كلَّما عجز عن فهم شيء، ولا أراه فهم شيئاً: (هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم قال: مه نهينا عن التكلف. وفي لفظ: ثمّ قال إنَّ هذا لهو التكلف يا عمر، فما عليك ألا تدري ما الأبّ، اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب، واعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى عالمه)[٦٧].

وعدم تمييز بين رواية سليمة وأُخرى سقيمة، وكلَّما أمعنت في الاطلاع على هذا الصنف من الروايات، تبين لك حرص هؤلاء الرواة الشديد على نقل كلِّ شاذ،

---

(٦٧): كنز العمال المتقي الهندي ح ٤١٥٤ .

والتمسك بكلِّ غريب، عاملين بالمثل القائل خالف تعرف.

٢٣- الحديث الثالث والعشرون:

أخرج البخاري عن عائشة قالت: سمع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال: يرحمه الله لقد ذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا[١].

وتتواصل سلسلة الكذب والافتراء، على نبيِّ الرحمة والهدى صلَّى الله عليه وآله وسلم، من قبل أدعياء سنته، فمن مختلق للرواية، إلى المتصل به سنداً، إلى من لقف عنهما سماعاً، إلى الحافظ الذي دوّن الأكذوبة في كتبه، كأنِّي أراهم يعقلون شيئاً ولا يهتدون، ولا أعتقدهم سوى عبيد دنيا، وليسوا بأهل قرآن، وإنْ قرأوه فهم صمّ بكم عمي لا يعقلون، وإلَّا كيف يتجاسر أحد أنَّ ينسب لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم إسقاط آيات من القرآن بعامل النسيان، ويذكّره بها قارئ يقرأ من الليل بالمسجد؟ أليس هذا طعن على المولى تعالى الذي قال له: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[٢]، وفي الروح القدس: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[٣] وفي النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، ونسبة التهاون

(١): صحيح مسلم ج٧ص١١٦ صحيح البخاري كتاب الشهادات ح٢٥١٢.
(٢): سورة الأعلى الآية ٦.
(٣): سورة البقرة الآية ٨٧.

التقصير إليه، في حفظ تعاليم ربِّه، تعالوا كلّهم عن ذلك علواً كبيراً.

ألم يقرأ البخاري القرآن؟ ألم تعترضه آيات كثيرة تعارض هذه الرواية، وتفضح سخافة واضعها، أم أنَّه أعجمي لا يفهم المعاني العربية؟ وإذا كان كذلك وحاله أقرب، فكيف يرضى لنفسه أنْ يكون خصيماً لله تعالى ولرسوله ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾(١).

يجمعون بين طيات كتبهم المعتبرة، مثل هذه الأكاذيب المفضوحة، والتي تحمل على القول بالنقيصة في كتاب الله، تماماً كقول عائشة: (لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها)(٢). وفي روايات أُخرى عن السور والآيات التي قالوا بضياعها، لا يلتفتون البتة إلى هول ما هم فيه، ويرمون غيرهم بأباطيل ودعاوى واهية تقول بتحريف القرآن، وهم من أسس أساس تلك الدعوى، ومع ذلك يرمون بها الأبرياء.

هذا من حيث المتن، أمَّا من حيث السند ففي الرواية: بشر بن آدم الضرير: قال

---

(١): سورة النبأ الآية ٤٠.

(٢): سنن ابن ماجة، كتاب النكاح ح١٩٤٤ / سنن الدارقطني، كتاب الرضاع/ مسند أحمد بن حنبل، مسند الأنصار ج٦ ص٢٦٩ / الطبراني في الأوسط ج٨ص١٢.

ابن سعد: سمع الكثير ورأيت أصحابنا يتقونه. قال الدارقطني: ليس بالقوي[1].

٢٤- الحديث الرابع والعشرون:

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: ما بعث الله نبياً إلَّا رعى الغنم. قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله، قال: وأنا رعيتها لأهل مكة على قراريط (وهي أجزاء من الدراهم والدنانير)[2] .

للمتن مناقشات تقول: إنَّ الإشكال الواقع في الرواية، ليس في رعي الغنم لأنَّه عمل شريف، وإنَّما في دعوى إلصاق رعي الغنم بكلِّ الأنبياء عليهم السلام، وفيما أعلم أنَّه ليس هناك نبيٌّ رعى الغنم غير موسى بن عمران عليه السلام، أو صاحب الغنم النبيُّ شعيب عليه السلام، والذي رعاها شرطاً، مقابل زواجه من ابنته، واستحكاماً لاستتاره، واستخفائه عن أعين أعدائه، أمَّا لماذا لم يرع الأنبياء الأغنام؟ فلأنَّهم بعثوا إلى أقوامهم وهم من أشرفهم وأوجههم وأعلاهم مكانة، فكيف يتفق رعي الغنم مع مكانتهم بين أقوامهم، ورعي الغنم فيما هو متعارف بين

---

(١): ميزان الاعتدال للذهبي ج١ حرف الباء: بشر.

(٢): صحيح البخاري كتاب الإجارة باب رعي الغنم على قراريط ح٢١٤٣/ السيرة الحلبية ج١ ص ١٢٥ باب رعيته للغنم/ موطأ مالك شرح الزرقاني ج١ ص٤٨٣ ح ١٨٧٩.

الناس قديماً وحديثاً، لا يلجأ إليه إلَّا من انقطعت به السبل، ولم يجد طريقاً أفضل في الحصول على الرزق، فأُنيط ذلك العمل قديماً بالعبيد، وحديثاً بمن لا اختصاص ولا خبرة ولا علم له، ولم يعرف عن وجيه قوم رعى الغنم، خصوصاً إذا كان المجتمع يتخذ من الرقّ أداة للتكسب، وإناطة الأعمال الشاقة بهم، والرعي في حقبة من الزمن كان مقصوراً على العبيد دون الأحرار، وعلى الفقراء المدقعين دون غيرهم، هم أصحاب الحاجة، والنبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم لم يكن محتاجاً إلى هذا الحدّ، ليرعى الغنم على ذلك المقابل المزري (على قراريط)، لم يفعلها عند جدّه عبد المطلب عليه السلام، ولا عند عمّه أبي طالب عليه السلام، ولا كانا مستعدين لتركه يفعلها، لشدّة حرصهما على رعايته واستيفاء حاجاته، ولم يكونا مقصرين في حقه يوماً، حتى يلتجئ إلى رعي الغنم، على سدِّ الرمق المذكور، وكما يستشف من الرواية.

ولما كان راوية الحديث أبا هريرة، فإنَّ الدافع الذي ألجأه إلى ذلك القول، لا يخرج عن احتمالين:

الأول: مقاربته لكعب الأحبار من اليهود المتأسلمين، لقف عنه ما كان يقصه على البله والسذج، الذين كانوا على شاكلته، مدعياً على النبيِّ الأكرم رعي الغنم، كما رعى موسى عليه السلام، دونما التفات إلى السبب الذي دفع موسى إلى رعي

الغنم، والذي هو ركن أساسي غير متوفر في نبينا الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم، سيد بني هاشم، وهو محاط بأشرافهم، كجدّه وعمّه، لذلك فإنَّه يستحيل عليه رعي الغنم، في وجود هاذين الرجلين العظيمين، اللذين بذلا ما في وسعهما للإشراف عليه، حتى كبر واشتد عوده، وجاءه الوحي، ولم يمت عمُّه أبو طالب إلَّا بعد نزول الوحي بسنين عديدة، قاربت مدّة إقامته في مكة، فلم يؤثر عنه أنَّه رعى الغنم صغيراً، لأنَّه كان في حماية أهله وأمام أعينهم، وحرصهم عليه، كان ناشئاً من الظواهر الملفتة التي كانت تحيط به، ومن ظهور بعض الدلائل على أنَّه سيكون له شأن في قادم الأيام.

الثاني: رعي أبي هريرة نفسه الغنم لابنة غزوان، ليس على قراريط كما في روايته عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وإنَّما على ملء بطنه، وكلا الأجرين من الزهادة والدون سواء، فيكون أبو هريرة باختلاقه هذه الرواية، قد نال شرف عمل قام به الأنبياء جميعهم، ولمّا كان راوية خط التحريف الأول، كان لا بُدَّ من أنْ يجد صفة يشترك فيها مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ترفع من وضاعته، وتقيم اندراس معالم شخصه.

ولم يتبين لنا من خلال مراجعة حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أنَّه رعى الغنم، إلَّا إذا استثنينا فترة بقائه في بني سعد، قوم حليمة السعدية مرضعته، وهو

صبي صغير، فقد يكون اقتفى أثر إخوته من الرضاع، أو أثر الرعاة معهم، لأنَّ الصغار عادة ما ينجذبون إلى الحيوانات الأهلية ليلاعبوها، وبالتالي لا يمكن اعتبار اقتفاء أثر الرعاة، أو ملاعبة صغار الغنم، عملاً يدر على صاحبه قراريط، فمتى رعى نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم الغنم إذن؟

أمَّا من حيث السند، فإنَّ أبا هريرة الدوسي قد عُرف كما جاءنا من أخباره، بأنَّه كان يكذب على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، حتى أنَّ بعض الصحابة، كانوا يعملون عكس ما كان يقوله، كما كان يفعل الإمام عليٌّ عليه السلام، وضيّق عليه بعضهم، باللفظ حيناً، وبالضرب حيناً آخر، كما كان يفعل به عمر بن الخطاب، أمَّا عائشة فلم تكن لترضاه أبداً، ومع ذلك فإنَّ علماء الجرح والتعديل عند هؤلاء، أبوا إلَّا أنْ يعدلوه رغم ما صدر عنه أيام معاوية، إرضاءً له ولبني أُميّة، فلا تجريح عندهم لجميع الصحابة، حتى من ظهر كذبه وفسقه وبهتانه، حتى من سماه الله تعالى فاسقاً في كتابه العزيز، كالوليد بن عقبة، والمغيرة بن شعبة، وطليقاً كمعاوية، وداهية أفاكاً كعمرو، فهم عدول عندهم، ينقلون عنهم، ويترضون عليهم.

وأبو هريرة كما ذكر، اختلف في اسمه إلى أكثر من أربعين قولاً، وإذا كان حال شخص مجهول لم يستقر الناس على اسم له، فكيف ستكون بقية أحواله؟

أسلم بعد فتح خيبر، عندما قدم مع أشعريي اليمن، لم يتحرج من طلب نصيب من غنائم الفتح، مع أنَّه لم يشارك في القتال، بل لعلّ يده لم تلامس سيفاً أو رمحاً أو نبلاً طوال حياته، إلَّا أنْ تكون زينة فترة توليته أميراً على المدينة، بعدما وضع الأحاديث التي تحط من مقام الإمام عليٍّ عليه السلام إرضاءً لمعاوية، بقي بعد إسلامه في المدينة سنة ونصف السنة، إذا استثنينا مدة خروجه إلى البحرين تحت قيادة العلاء الحضرمي، لا يعرف القراءة والكتابة، وكان كما قلت قبل أنْ يسلم، يرعى الغنم في اليمن لابنة غزوان، على ملء بطنه[1].

ولم يكن له أيُّ دور في الفترة التي عاشها في حياة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وكذلك الحال في حكومة أبي بكر وعثمان، أمَّا دعوى توليته على عهد عمر، فلا أعتقد صحتها لأنَّ موقف ابن الخطاب منه كان واضحاً، وقد تكون المسألة من تلفيقات بني أُمية، وعند اختيار الإمام عليٍّ عليه السلام اختياراً عاماً، لم نجد له أثراً في الحروب التي خاضها الإمام عليه السلام، ولم يؤثر عنه غير قوله: الصلاة وراء عليٍّ أتمّ، والأكل مع معاوية أدسم، والجلوس على الرابية أسلم[2]. ولا أخاله صلَّى وراء عليٍّ أبداً ولا كانت لديه الجرأة ليجلس على الرابية قبالة حرب

(١): حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني/ ترجمة أبي هريرة ج١ ص٣٧٩.

(٢): شيخ المضيرة أبو هريرة؛ محمود أبو رية ص ٥٦.

طاحنة قد يصله منها رمح أو نبل أو سيف طامع أو حاقد.

وكان من دعائه: (اللهم هب لي ضرساً طحوناً ومعدة هضوماً ودبراً نثوراً)(٣). تحسراً على فوت لذيذ الطعام، بعد ملء جعبته منه، وقد كان يُعرف بشيخ المضيرة، وهي صنف يسيل منه لعاب أبي هريرة ومن شاكله.

شخص بمثل تلك الانتهازية، ماذا يمكنه أنْ يقدم للمسلمين؟ وجد فيه معاوية ضالته في الدسِّ والكذب فقربوه إليهم وأدنوه من مجالسهم وموائدهم، وقربوا له كعباً ليكون له معلماً وملهماً، فخرجت من بين شدقيه عفونة التلفيق، ورداءة التأليف، يعلو مكانه وترتفع أسهمه بين الصحابة الأفذاذ، فيحسب راوية حديث رسول الله لا محيص عنه، ومن هم أهل الذكر والدراية والعلم والمكانة ينكرون وينسون.

٢٥ – الحديث الخامس والعشرون:

أخرج مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم مضطجعاً في بيتي كاشفاً فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثمّ استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث، ثمّ استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وسوّى ثيابه. قالت عائشة:

(٣): الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي في أحوال أبي هريرة نقلاً عن ربيع الأبرار للزمخشري.

دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تباله، ثمّ دخل عمر فلم تهش له ولم تباله، ثمّ دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة[٤].

عندما يبلغ الإفلاس بمن باعوا دينهم بدنيا زائلة، يصيبون بعض لذاتها من بني أُمية، يقدمون على وضع أحاديث واهية، تبعث على الأسى والأسف، لما آلت إليه عقول الوضاعين والرواة، والحافظين لمثل هذه السخافات، التي سودوا بها صفحات كتبهم.

وكيف يمكن لمسلم أنْ يقبل عن نبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلم أنْ تلصق به مثل هذه الترّهة؟

لكنَّك عندما تقرأ في كتب التاريخ، كتاريخ الطبري وغيره، تقف على أنَّ معاوية بن أبي سفيان هو الذي دفع وحرض، وأغرى وأنفق، من أجل وضع روايات المفاضلة لبعض الصحابة، تلبيساً على المسلمين، وطمساً للأحاديث

(٤): صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عثمان ح ٢٤٠١ / المستدرك على الصحيحين الحاكم ج٣ص١١١ ح٤٥٥٦/ الأدب المفرد ج١ص٢١١/ مسند أحمد مسند الشاميين ج٢ص٢٥٨ح ١٢٩٧ وج٦ ص٢٨٨ ح ٢٦٥١٠/ المعجم الكبير الطبراني ج٢٣ ص٢١٧ ح ٤٠٠/ المعجم الأوسط الطبراني ج٨ص٢٦٨ ح٨٦٠١/ السنن الكبرى البيهقي ج٢ص ٢٣١ ح٣٠٦١/ مسند أبي يعلى ج١٢ ص٣٧٩ ح٦٩٤٧ / مسند عبد حميد ج١ص٤٤٦ ج١٥٤٧/ صحيح ابن حبان ج١٥ص٣٣٦ ح٦٩٠٧ / السيرة الحلبية ج٢ص١٧١ ...

الصحيحة التي توجب على المسلمين اتباعها والعمل بمقتضاها، والامتثال لما جاء فيها.

وإذا تعددت الدعوات، وتكاثرت المفاضلات، أشكلت الوجهة وتساوت عناصر التفضيل، واختلط الحابل بالنابل، عند ذلك يصبح الحليم حيراناً، بأيِّ الأسباب يأخذ؟ ومن أيِّ جانب يأتي؟

لقد نجح معاوية في سعيه، واستطاع أنْ يحيّد أغلبية من عاصره، عن صراع باطله الذي تشبث به، في مواجهة حق أهل البيت والإمام عليٍّ عليه السلام في أحقيتهم في الحكومة الإسلامية، وما كان لهذا الرجل قيمة لولا مؤامرة السقيفة.

ولكنْ مع ذلك كلِّه تبقى منارة حق، وقبس هدى فوق اللبس والشبهة، لكلِّ من ألقى السمع وهو شهيد، وتبقى كذلك أراجيف المحرفين وافتعالات المنافقين، دالة على وضاعة أصحابها وانحطاطهم الفكري، وككلِّ رواية تكون عائشة أو أبو هريرة من مصادرها، تنبعث منها رائحة التكلّف وقلة العلم، ورداءة المعنى، ويكتنفها الكذب، وتطغى عليها الجرأة على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه الرواية، التي حاول واضعها أنْ يجد مكاناً لعثمان بن عفان، بين شوامخ رواسي أهل البيت عليهم السلام، غير متفطن أنَّ دهاءه قد خانه في هذا

التكلّف، وحيلته أردت به إلى غير المعقول، الذي لا يمكنه أنْ ينطلي إلَّا على من عميت بصيرته، وإلَّا كيف يمكن لعاقل أنْ يقبل رواية يصور فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مضطجعاً، وكاشفاً عن فخذيه، وبين يديه واحد من الناس كائناً من كان، لا يأبه له ولا يبالي به، وهو الذي يهش للصغير والكبير، والغني والفقير، على حدٍّ سواء، وكان من أخلاقه أنْ يجلس عندما يتحدث، أو يستمع إلى أحد، وما تعظيم المولى لخلقه، إلَّا دليل على أنَّه لا يميز في تعامله مع الناس، بل الناس كلُّهم سواسية، في استقباله واهتمامه.

وكيف يستحي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بالواسطة؟ ألم يكن حيياً بطبعه، بحيث لا يفارقه ذلك الحياء، فيكون حياؤه من خالقه قبل حيائه من الملائكة، أو ممّن تستحي منه الملائكة.

إنَّ الوضع الذي صوروا فيه النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يليق بالمسلم الملتزم، ناهيك عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، المدرك لحدود العورة، وقد ورد أنَّه وجد رجلاً كاشفاً فخذه، فأمره بسترها لأنَّها عورة، أمَّا حياؤه فقد قال عنه أبو سعيد الخدري: لقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها[1]. لم يكن من السهل على بني أُميّة قبول نزول الآيتين في صاحبهم عثمان

(١): صحيح البخاري كتاب المناقب ح ٣٣٦٩ كتاب الرقاق ٦١٠٢.

بن عفان، خاصة بعد ما ادّعوا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قال فيه إنَّه رجل تستحي منه الملائكة، فلم يستسيغوا أنْ تتناقض الآراء فيه، فنسبوا نزول الآية في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم هروباً من انكشاف شخصية عثمان، ولأنَّ دأب المقدسين للصحابة على وجه العموم، كان مبدؤهم دائماً عدم ذكر جرائم الصحابة، والتستر عليهم، خصوصاً إذا نزل فيهم ذمٌّ من المولى تعالى أو من قبل نبيه الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم فما هو مدون بين أيدينا من تراث، لا يكاد يعيب فيهم واحد، رغم أنَّ القرآن الكريم والسنة المطهرة، نسبت أكثرهم إلى الانحراف وقلة العلم، وما جاء من أحداث تاريخية ثابتة كشفت الوجه الحقيقي لأكثرهم.

استنتاجات بخصوص الرواية:

أولاً: أوردت الرواية ترتيباً وتتابعاً لدخول أبي بكر وعمر وعثمان، تكرر في عدد من الروايات الأُخرى، كأنَّما هناك جاذبية تستقطب هؤلاء دون غيرهم، وكأنَّما يريد واضع الرواية تثبيت ترتيب الخلافة، أو إعطاءها المزيد من الشرعية، والترسيخ في أذهان الناس، للاستدامة على الاعتقاد بصحتها، وكانوا في أغلب الأحيان يتجاهلون اسم عليٍّ عليه السلام، فيركنوه بعيداً، كأنَّما هو رجل مبعد عن دائرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً:ذكرت الرواية احتجاج عائشة، وتساؤلها عن سبب عدم اهتمام النبيِّ بأبيها وصاحبه، وهو أمر لم يكن من عاداته على الإطلاق، حتى مع أعدائه، والحال أنَّ تصرفه كان مغايراً تماماً مع عثمان، حيث سوى ثيابه وحسَّن من مظهره، وفي كلِّ الحالات التي تخللت سيرته كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم عادلاً حتى في استقباله للناس، يعطي لكلِّ أحد مكانته وقيمته، كمخلوق لله تعالى قبل أيِّ شيء آخر.

ثالثاً: لعلَّ الأَولى بالتساؤل هنا، هما أبو بكر وعمر، اللذان من المفترض أنْ يستغربا سلوك النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، إنْ صحّ افتراضاً صدوره حيالهما، بل إنَّ في الرواية ما يدعو إلى القول بأنَّ الرجلين متطفلان عليه، وهو يريد صرفهما والتخلص منهما.

رابعاً: أراد واضع الرواية أنْ يرفع من مكانة عثمان، فوضع من مكانة أبي بكر وعمر، بل جعلهما لا يساويان شيئاً بإهمال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لهما، وكان حرياً بأتباع مذاهب هذه الرواية أنْ يتساءلوا، لماذا لم يكن حيي الملائكة وحيي النبيِّ الله عليه وآله وسلم بالواسطة، مقدّماً أول خليفة للمسلمين بدلاً عن اللذين أهملهما النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم؟

٢٦ – الحديث السادس والعشرون:

أخرج أحمد في مسنده: استشار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في الأسرى يوم بدر فقال: إنَّ الله قد مكنكم منهم. قال فقال عمر: يا رسول الله اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ثمّ عاد فقال: يا أيها الناس إنَّ الله قد مكنكم منهم، وإنَّما هم إخوانكم بالأمس. فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ثمّ عاد فقال: للناس مثل ذلك، فقال أبو بكر: يا رسول الله نرى أنْ تعفو عنهم، وأنْ تقبل منهم الفداء. قال فذهب عن وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم، وقبل منهم الفداء، فلمّا كان الغد، غدا عمر إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال ما يبكيكما؟ وفي لفظ ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإنْ وجدت بكاءً بكيت، وإلَّا تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: إنْ كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، لو نزل عذاب ما أفلت منه إلَّا ابن الخطاب(١).

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر قال: اختلف الناس

---

(١): البداية والنهاية الجزء الثالث باب اختلاف الصحابة في الأسرى/ الدر المنثور السيوطي ج٤ سورة الأنفال/ المبسوط السرخسي ج٥ كتاب السير آخر باب الغنيمة/ تفسير ابن كثير ج٢ص٣٢٥و٣٢٦.

في أسرى بدر، فاستشار النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كبار الصحابة، فأخذ بقول أبي بكر ففداهم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقال صلَّى الله عليه وآله وسلم: إنْ كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل العذاب ما أفلت إلَّا عمر. وأخرج ابن جرير عن أبي زيد قال: لم يكن من المؤمنين أحد ممّن نصر إلَّا أحب الغنائم إلَّا عمر بن الخطاب جعل لا يلقى أسيراً إلَّا ضرب عنقه، وقال يا رسول الله: ما لنا والغنائم؟ نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلم: لو عُذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك(٢).

تحدثت الرواية عن اختلاف المسلمين، في أسرى بدر من المشركين، أيقتلونهم أم يفادونهم؟ والذي عليه الرواية، أنَّ عمر كان مصرّاً وحده دون غيره على قتل الأسرى، وتكرر موقفه في الرواية، وتكرر إعراض النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم عنه كأنَّما كان يريد رأياً آخر لم يفصح عنه، إلى أنْ قام أبو بكر واقترح الفداء، فطابت نفس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وذهب عنه الغمّ وقبل الفداء، غير أنَّ المتفحص للرواية، يرى فيها تفككاً واستدراكاً وتناقضاً من جهة المعنى، فقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الله قد مكنكم منهم. لا يرجح ميله إلى

(٢): اجتهاد الرسول، الدكتورة نادية شريف العمري ص٩٢.

الفداء، وقول الراوي لما تكلم أبو بكر: فذهب عن وجه رسول الله ما كان فيه من الغم، يناقض قوله الأول، ويوحي بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كان يخفي رغبة، كان يبحث بين الناس عمّن يظهرها بدلاً عنه، وهي طريقة في التعامل لم يعرف بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته.

والرواية مردودة من وجهين:

الأول: معارضتها للآية التي نزلت بخصوص الحادثة والتي تقول: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣] ومعناها كما أورده الطبرسي: المعنى: (ما كان لنبيٍّ) أي: ليس له ولا في عهد الله إليه، (أنْ يكون له أسرى)، من المشركين ليفديهم، أو يمنّ عليهم (حتى يثخن في الأرض) أي: حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم، ليرتدع بهم من وراؤهم. وقال أبو مسلم: الإثخان: الغلبة على البلدان، والتذليل لأهلها، يعني حتى يتمكن في الأرض (تريدون عرض الدنيا)، هذا خطاب لمن دون النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم من المؤمنين، الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسرى، في أول وقته، ورغبوا في الحرب للغنيمة، قال الحسن، وابن عباس: يريد يوم بدر،

(٣): سورة الأنفال الآية ٦٧.

ويقول أخذتم الفداء من الأسرى، في أول وقعة كانت لكم، من قبل أنْ تثخنوا في الأرض، وعرض الدنيا: مال الدنيا، لأنَّه بمعرض الزوال، (والله يريد الآخرة) أي: تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا، والله يريد لكم ثواب الآخرة (والله عزيز) لا يغلب أنصاره، فاعملوا ما يريده منكم لينصركم (حكيم) يجري أفعاله على ما توجبه الحكمة.

فصل سبحانه بين إرادة نفسه، وإرادة عباده، ولو كان ما أرادوه على ما قاله المجبرة، لم يصح هذا التفصيل.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِّ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قيل في معناه أقوال، أحدها: لولا ما مضى من حكم الله أنْ لا يعذب قوماً، حتى يبين لهم ما يتقون، وأنَّه لم يبين لكم، أنْ لا تأخذوا الفداء، لعذبكم بأخذ الفداء، عن ابن جريج، وثانيها: لولا أنَّ الله حكم لكم إباحة الغنائم والفداء في أُمِّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، لمسّكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم، فإنَّ الغنائم لم تحل لأحد قبلكم، عن ابن عباس، وثالثها: لولا كتاب من الله سبق، وهو القرآن، فآمنتم به، واستوجبتم بالإيمان به الغفران، لمسّكم العذاب، عن الجبائي، قال: والمراد به الصغائر، ورابعها: إنَّ الكتاب الذي سبق قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

لولا ما كتب الله في القرآن، أو في اللوح المحفوظ، أنَّه لا يعذبكم، والنبيُّ بين أظهركم لعذبكم. ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ هذه إباحة منه سبحانه للمؤمنين، أنْ يأكلوا ممّا غنموه من أموال المشركين، (واتقوا الله) باتقاء معاصيه (إنَّ الله غفور رحيم)(٤).

ويؤيد ذلك ما نقله محمد بن جرير بن رستم الطبري عن كتاب عليٍّ بن إبراهيم قوله: لما قتل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، خافت الأنصار أنْ يقتل الأسرى، فقالوا: يا رسول الله قتلنا سبعين من قومك وأُسرتك، أتجد أصلهم؟ (قطعه مستأصلاً) فخذ يا رسول الله منهم الفداء، وفي أُخرى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كره أخذ الفداء، وإنَّما نزل عند رغبة المسلمين، فكيف والحال هذه يكون صلَّى الله عليه وآله وسلم محباً لأخذ الفداء؟

الوجه الثاني: معارضة الرواية للآية الثانية والتي تقول: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ولا يعتقد عاقل أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كاد يمسّه العذاب،

---

(٤): مجمع البيان الطبرسي ج٤ ص ٤٩٣/ ٤٩٤.

وعمر الخطاب هو الناجي الوحيد منه، وهل هذا إلَّا الباطل بعينه، وهو ما يزيد الرواية افتضاحاً، وليت شعري من هو ابن الخطاب هذا حتى ينجو من عذاب الله تعالى، ويقع فيه حبيبه وصفوته وخيرته من خلقه من الأولين والآخرين، رحمته المهداة إلى البشرية، ووسيلته وسببه، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾(٥).

إنَّ الذين كان سيمسهم العذاب هم الذين أصروا على أخذ الفداء ومالوا إليه طلباً للغنيمة والدنيا، وما الكتاب الذي سبق إلَّا دليل على بطلان الرواية من أساسها، وهي الآية رقم ٣٨ من السورة نفسها والتي تقول: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾. ولم تقف الآية عند حدِّ درء العذاب برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، وإنَّما ذهبت حتى درء العذاب عن الأُمَّة، طالما أنَّ فيها مستغفرين، وطالما أنَّ مقام عمر في الرواية بتلك العظمة والرفعة، فلماذا قدم أبا بكر عليه؟ ولماذا تقدم أبو بكر، وهو يعلم أنَّ ابن الخطاب مقدم عند الله، من النبيِّ نفسه صلَّى الله عليه وآله وسلم؟

ولئن أفلح بنو أُمية وعلى رأسهم معاوية، في تمرير هذه الخدع، ودسِّ هذه الأكاذيب والبدع، فإنَّ الله تعالى قيّض للدين الحق أهلاً، لا تنطلي عليهم ألاعيب

---

(٥): سورة المجادلة الآية٢ .

المنحرفين عن صراطه المستقيم، وعناوينهم البراقة كالسراب، الذي إذا جاءه الطالب لم يجده شيئاً.

٢٧- الحديث السابع والعشرون:

أخرج البخاري عن عائشة: أنَّ نساء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كنَّ حزبين، حزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أُمُّ سلمة وسائر نساء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وكان المسلمون قد علموا حبّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أنْ يهديها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أخرها، حتى إذا كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في بيت عائشة، بعث صاحب الهدية في بيت عائشة.

فكلّم حزب أُمِّ سلمة، فقلن لها كلمي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يكلم الناس، فيقول من أراد أنْ يهدي إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم هدية، فليهديها حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أُمُّ سلمة بما قلن فلم يقل شيئاً، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً. فقلن لها فكلميه، قالت فكلمته حين دار إليها أيضاً، فلم يقل لها شيئاً. فسألنها فقالت ما قال لي شيئاً، فقلن لها كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته، فقال لها: لا تؤذني في عائشة، فإنَّ الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة

إلَّا عائشة. قالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. ثمَّ إنَّهن دعون فاطمة بنت الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، فأرسلت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، تقول إنَّ نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: يا بنية ألا تحبين ما أحب قالت: بلى. فرجعت إليهن فأخبرتهن فقلن، ارجعي إليه فأبت أنْ ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت، وقالت إنَّ نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي قحافة. فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة، فسبّتها حتى أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ينظر إلى عائشة هل تتكلم، قال فتكلمت عائشة تردّ على زينب حتى أسكتتها، قالت فنظر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى عائشة فقال: إنَّها بنت أبي بكر. قال البخاري، الكلام الأخير قصة فاطمة يذكر عن هشام بن عروة عن رجل عن الزهري(٦).

٢٨- الحديث الثامن والعشرون:

أخرج البخاري عن عائشة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، أين أنا غداً، يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث يشاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ

---

(٦): صحيح البخاري ج٣ص٢٦٣.

فيه، في بيتي فقبضه الله، وإنَّ رأسه لبين نحري وسحري مخاط ريقه ريقي[٧].

ما يمكن ملاحظته في الروايتين، أنَّ كلَّ بلية وطامة إلَّا وهي مسندة هكذا، (عن هشام بن عروة عن عائشة)، ولو دققنا النظر فيما جاء من الروايات بهذا الإسناد، لما حصلنا منها على شيء من دين، وإنَّما هي جلها أضغاث أحلام أو تهيئات لا طائل من ورائها، أو غيرة امرأة لا حدَّ لأنانيتها، أو تلفيق وافتراء على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، أوهن من بيت العنكبوت.

وبعودتنا إلى الرواية السادسة والعشرين، نرى أنَّ الكذب بدأ، عندما وقع تقسيم أزواج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى حزبين، في حين أنَّ القرآن والسيرة مجمعان على خلاف ذلك، ويعلمانا أنَّ نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قد خاطبهن البارئ تعالى مجتمعات في سورة الأحزاب، وخاطب عائشة وحفصة مجتمعتين في سورة التحريم، مهدداً إياهن بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٨]. وقد أجمع المفسرون والرواة أنَّ التهديد الصادر عن المولى سبحانه وتعالى كان بخصوص عائشة وحفصة، والقصة معروفة بين أهل التفسير والحديث

(٧): صحيح البخاري ج٣ فضائل القرآن فضائل الصحابة ح ٤٤٥٠.

(٨): سورة التحريم الآية ٤.

ملخصها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلاً، قالت فتواطيت أنا وحفصة، أنْ أيتنا ما دخل عليها النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم، فلتقل إنِّي أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود[٩].

أنْ تتآمرا على النبيِّ بالكذب عليه، والادعاء بأنَّه أكل مغافير (رائحته كريهة) فصدقهن وامتنع من أكل العسل، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾[١٠]. وأنزل تهديداً لعائشة وحفصة، بقوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[١١].

ثمَّ يتواصل الكذب، بدعوى حبِّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لعائشة دون غيرها من النساء، إلى درجة أنَّ الناس كانوا يؤخرون هداياهم إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم حتى يوم عائشة، ولعمري لم أجد ابتذالاً وإسفافاً وتآكلاً، بهذا الحجم، كما وجدته في هذه الرواية التعيسة، التي تحاول أنْ توهم المسلمين، أنَّ

---

(٩): صحيح مسلم كتاب الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ح ١٤٧٤.

(١٠): سورة التحريم الآية ١.

(١١): سورة التحريم الآية ٥.

النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم متيم بحبِّ عائشة إلى درجة عدم العدل، وأنَّ المسلمين على عهده تنسموا منه ذلك، ولكن لماذا يؤخرون تقديم هداياهم إلى يوم عائشة. ألا يكون ذلك مثاراً للريبة، ودافعاً إلى الإجحاف في حق بقية النساء، وتجاهل التشكيات الصادرة عنهن، وهو الذي جاء بالقسط والعدل، وعدم الاكتراث بالزهراء عليها السلام، وما أدراك ما الزهراء عليها السلام، في تدخلها لفائدة بقية النسوة، وسباب زينب وعائشة بحضرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، دون تدخل لوضع الأُمور مواضعها، ويأتينا الراوي في النهاية، ليتقول على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بأنَّه قال بعد أنْ ردّت عائشة على زينب سبابها إلى أنْ أسكتتها: إنَّها بنت أبي بكر، إعجاباً أو تفاخراً؟

إنَّني أُنزه النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم من أنْ يقبل وقوع الشتم والسبِّ على مرأى منه ومسمع، وفي بيته ولا يحرك ساكناً، وهو المأمور قبل غيره بالنهي عن كلِّ منكر.

وهل كانت ظاهرة تأخير الهدايا وأيّ هدايا، علامة خير، وتصرفاً صحيحاً يزكيه عاقل؟ فضلاً عن نسبته للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، مضافاً إلى ما سيستتبعه ذلك من إثارة مشاكل، لا حدَّ لها في البيت النبويّ، ممّا هو في غنى عنه، وتكون الحكمة في إيقافه أَولى من التمادي فيه، وما أرى في هذا كلِّه إلَّا خرافة من

خرافات بني أُمية، الذين ألبسوا على المسلمين دينهم، بما دونوه من أكاذيب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لو نظر فيها المتنورون الواعون لردُّوا هذه وما كان على شاكلتها.

وما يميز ابنة أبي بكر عن غيرها؟ أنِّني لما بحثت في بعض المصادر، دون أنْ أتمكن من بقيتها، نظراً لضيق الوقت، وعدم توفر بقيتها لديّ دفعتني إلى أنْ أقف على بعض الأسطر، كي أذكر بعض الذي نقله رواة إخواننا أهل السنة والجماعة عن عائشة، ليكون أبلغ للحجة.

وقفة مع عائشة في سلوكها مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وموقفه منها

من المعلوم بل من الطبيعي، أنَّ الحبَّ إذا تمكن من رجل وامرأة، كان متبادلاً، وتظهر آثاره على سلوك الطرفين، وفي علاقة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بعائشة ما ينبئ العكس، فبداية أُلقيت إليه وهي صبية دون طلب، فبنى بها بعد جرياً على عادته في التأليف بينه وبين القبائل، فعرى المصاهرة لها بُعدها النفسي في الطبع العربي، بنى بغيرها بعد أنْ ماتت خديجة عليها السلام وبعد الهجرة، وهي عند طلبه لو أراد، وهذا يؤكد أنَّ الحبَّ المزعوم، لا أساس له بينه صلَّى الله عليه وآله وسلم وبينها.

كانت في علاقتها بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم متوترة غيراء، لا تدري ما تقول، بغضت أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهم عليٌّ، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين عليهم السلام، فحاربت علياً في وقعة الجمل، وقد أشرنا إلى ذلك تلميحاً، وقامت مع بني أُمية، عندما رأوا جنازة الإمام الحسن عليه السلام، متجهة إلى حجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وحرّضت عليه، فلم يدفن بجانب جدّه، ولو عاشت إلى الحسين عليه السلام لأعانت عليه.

تجسسها عليه:

قالت عائشة ألا أُحدثكم عني وعن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قلت: بلى قال قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلَّا ريثما ظنَّ أنِّي قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج، ثمّ أجافه رويداً فجعلت درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزاري، ثمّ انطلقت على أثره، حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام، ثمّ رفع يديه ثلاث مرّات، ثمّ انحرف فأسرع، فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر، فأحضرت فسبقته، فدخلت، فليس إلَّا أنْ اضطجعت، فدخل فقال: مالك يا

عائش حشياء رائبة، قالت قلت: لا شيء يا رسول الله، قال لتخبرنني أو ليخبرني اللطيف الخبير، قالت قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأُمِّي فأخبرته، قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم. فلهزني في ظهري لهزة فأوجعتني، وقال: أظننت أنْ يحيف عليك الله ورسوله(١٢).

مع أنَّ الله سبحانه قد قال: ﴿ولا تجسسوا﴾ فيما بينكم أيها المسلمون، فإنَّها في هذا الاعتراف تجسست على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، كأنَّها لا تعرف من خصائصه النبوية شيئاً، ولا أنَّه متّصل بالوحي من ربِّه، وما قدر امرأة تتجسس على زوجها، وهو بذلك المقام الرفيع، لا اعتقد أنَّه شيء.

الغيرة في موضعها المطلوب جيدة، وهي من علامات الأخلاق والأنفة والكرامة، والإسلام نفسه يدعو إلى أنْ يكون المسلم غيوراً، على دينه وعرضه وحقوقه وإخوانه، وقد قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فأمّا ما يحبّ فالغيرة في الريبة، وأمّا ما يكره فالغيرة في غير الريبة**»(١٣).

---

(١٢): عمدة الأخبار ص ١٢٤ - تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شيبة النميري ج١ ص ٨٩ - مسند أحمد بن حنبل كتاب باقي مسند الأنصار ح ٢٤٦٧١.
(١٣): ميزان الحكمة محمدي الريشهري ج٣ ص٣٢٤٣.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**إنِّي لغيور، والله عزَّ وجلَّ أغير مني، وإنَّ الله تعالى يحبّ من عباده الغيور**»(١٤).

لهذا تكون الغيرة مطلوبة في مواضعها ومرفوضة في غير موضعها شرعاً وعرفاً والشرع لا يتعارض مع الأعراف الجيدة. وهنا لا بأس أنْ نستحضر قول الإمام عليٍّ عليه السلام: «**غيرة المرأة كفر**»(١٥).

مردّه أنَّ المرأة محكومة بالعواطف التي تعمي بصيرتها، إذا أَلَمّت بها غيرة بلا سبب مقبول، خصوصاً على زوجها، وقد تتسبب غيرتها في مصيبة، قد تكون هي أول ضحاياها.

ادعاؤها بأنَّه غير عادل:

عن عائشة أنَّها قالت: خرجت مع رسول الله في حجة الوداع، فأخرج معه نساءه، وكان متاعي فيه خف، فكنت على جمل ناج، وكان متاع صفية بنت حيي فيه ثقل، وكانت على جمل بطيء فتباطأنا، فقال رسول الله: (حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة ليمضي الركب) فلمّا رأيت ذلك

---

(١٤): ميزان الحكمة محمد الريشهري ج٣ ص٢٣٤٢.

(١٥): معارج نهج البلاغة عليّ بن زيد البيهقي ص٤٢١ رقم ٢٠٣٧/ مستدرك الوسائل ج ١٤ ص٢٩٢ رقم ١٦٧٥٤.

قلت: يا عباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله، فقال النبيُّ (يا أُمَّ عبد الله، إنَّ متاعك كان فيه خف، ومتاع صفية كان فيه ثقل، فبطأ بالركب، فحوّلنا متاعك على بعيرها، وحولنا متاعها على بعيرك) قلت: ألست تزعم أنَّك رسول الله؟ قالت: فتبسم رسول الله فقال: (أفي شك أنت يا أُمَّ عبد الله؟) قلت: ألست تزعم أنَّك رسول الله؟ فهلا عدلت؟ فسمعني أبو بكر وكان فيه ضرب من حدّة، فأقبل عليَّ يلطم وجهي، فقال رسول الله: (مهلاً يا أبا بكر) قال: يا رسول الله أما سمعت ما قالت؟ قال: (إنَّ الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه)(١٦).

عائشة وحفصة تتآمران على رسول الله

عن أبي أسيد الساعدي عن أبيه، وكان بدرياً، قال تزوج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، أسماء بنت النعمان الجونية، فأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة: أخضبيها أنت، وأنا أمشطها، ففعلتا ثمّ قالت لها إحداهما، إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه، أنْ تقول: أعوذ بالله منك، فلمّا دخلت عليه، وأغلق الباب، وأرخى الستر، مدَّ يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله بكمه على وجهه، فاستتر به، وقال: عذت

---

(١٦): تفسير القرطبي ج١٨ص١٦١ / كنز العمال المتقي الهندي ج٧ص١١٦ ح١٠٢٠/ إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب النكاح الباب الثالث ج٢ ص ٢٩.

بمعاذ. ثلاث مرات، ثم خرج إليّ، فقال: يا أبا أسيد ألحقها بأهلها.... فكانت تقول ادعوني الشقية. وقال الراوي: إنّها ماتت كمداً(١٧).

عائشة وحفصة تؤذيان النبيَ صلَّى الله عليه وآله وسلم:

أخرج البخاري والحاكم أنَّ عائشة وحفصة كانتا تؤذيان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حتى يظل يومه غضبان(١٨).

عائشة تكذب على النبيِ صلَّى الله عليه وآله وسلم

أرسل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى امرأة من كلب لتنظر إليها فذهبت ثمّ رجعت، فقال لها: ما رأيت؟ فقالت: لم أر طائلاً (أي ليس فيها ما يعجب) فقال لها: لقد رأيت خالاً في خدها اقشعرت له كلُّ شعرة منك، وكان جبريل قد أطلعه عليها. فقالت عائشة يا رسول الله ما دونك ستر(١٩).

---

(١٧): أخرجه الحاكم في مستدركه ج٤ ص٣٧/ وأخرجه أحمد في مسنده ج٣ص٤٩٨ و ج٥ص٣٣٩ ورجاله رجال الصحيح / وأخرجها البخاري في صحيحه مختصرة ج٦ص١٦٤. وقال الهيثمي في مجمع زوائده ج ٤ص٣٣٩/ طبقات ابن سعد ج٨ص١٤٥و١٦٠/ الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ص٧٠٣ / الإصابة لابن حجر ج٣ ص٥٣٠ ترجمة نعمان بن أبي الجون/ البحار المجلسي ج٣٢ ص١٩١ / أنساب الأشراف البلاذري ج٢ص٥٦١.

(١٨): صحيح البخاري ج٦ ص ٦٩ / طبقات ابن سعد ج٨ ص ٥٦.

(١٩): أنساب الأشراف للبلاذري ج٢ص٦٠١.

النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم طلق عائشة وحفصة:

أخرج البخاري أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم طلق عائشة وحفصة وسودة، واعتزل باقي نساءه شهراً، ثمّ راجعهن بعد ذلك، وأيّد مسلم في كتابه نزول الآية في تلك الحادثة، وهي قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٢٠]. ودلّت الآية كذلك على أنَّ هنالك في نساء عصره صلَّى الله عليه وآله وسلم من كنّ خيراً منهن.

عائشة تغار من خديجة وتسبها وهي ميتة

عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين وأمره ربّه عزَّ وجلَّ أو جبريل عليه السلام أنْ يبشرها ببيت في الجنة من قصب.

وفي رواية أُخرى أنّها قالت استأذنت هالة بنت خويلد أُخت خديجة على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال اللهم هالة، قالت فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين

---

(٢٠): مسلم ج٤ ص١٨٨ –الحاكم في المستدرك ج٤ ص١٦.

هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها.

وفي ثالثة قالت كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغرت يوماً فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عزَّ وجلَّ بها خيراً منها قال ما أبدلني الله عزَّ وجلَّ خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزَّ وجلَّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء[٢١].

وما كثرة ذكر الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم لخديجة عليها السلام، إلَّا لأنَّه لم يجد من بين نسائه من تنسيه خديجة، فكان حبّه الكبير لها يدفعه دائماً إلى تذكرها، وإلى تعهد صاحباتها وقرابتها، أمَّا بشارته الحقيقية لها، فقد كتمتها عائشة غيرة منها، وهي أنَّها سيدة نساء العالمين مع ابنتها فاطمة الزهراء عليهما السلام، أمَّا بشارته لها ببيت في الجنة من قصب، فهو أيضاً محاولة للتقليل من البشارة - مدفوعة بغيرتها منها- لأنَّ مقامها في الجنة ومقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم واحد، ولو أنَّ نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كلّهن اجتهدن مجتمعات،

(٢١): صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم خديجة عليها السلام وفضلها ج٥ ص٣٩ ح٣٨١٨/ صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أُمّ المؤمنين ج٤ ح٢٤٣٥.

في الوصول إلى ما أعدّه المولى تعالى لخديجة لما أفلحن في ذلك، وهي التي قاسمت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم معاناته وجهده في بداية البعثة، وواسته بمالها حتى استنفدته، وأغدقت عليه من قلبها الكبير، حباً وتقديراً أرضى الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأيّ قصب هذا الذي تتحدث عنه عائشة في الجنة؟ والجنة كما ظهر لنا من أحاديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فيها قصور بنيت من ذهب وفضة ومعادن نفيسة، وليست من قصبٍ أو جريدٍ، فتأمّل.

نعم لقد علم المسلمون الفطنون العارفون، حبَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لخديجة وابنتها فاطمة الزهراء عليهما السلام، ولو كان هناك هدايا كما تصور الرواية لما عدلوا بها عن البيت يحبّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم متردداً عليه كلّ صلاة، فيطرقه على مرأى ومسمع من الصحابة.

وأخرج ابن مردويه، وابن جرير، والطبراني، عن ابن عباس، وأبي الحمراء، قالا: شهدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم تسعة أشهر، يأتي كلَّ يوم باب عليٍّ بن أبي طالب عند وقت كلِّ صلاة فيقول: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، الصلاة رحمكم الله**» كلَّ يوم خمس مرات(١).

---

(١): المسند ابن أبي شيبة ج٢ص٢٣٢ ح٧٢١/ منتخب المسند عبد بن حميد ص١٧٣ ح٤٧٥/ الكامل ابن

منبّهاً من حضر، إلى مقام ذلك البيت عنده وعند الله تعالى، فهم أولى بالهدية من عائشة، التي أجاز لها الله تعالى أنْ تأكل الصدقة، شأنها في ذلك شأن بقية المسلمين، ولم يجز لأهل البيت عليهم السلام أنْ يأكلوا إلَّا الهدية أو الخُمس، وتنافس إذا وقع من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم، لا يكون إلَّا في هذا السياق، لا في غيره من الإخلاقات المدسوسة، التي لا واقع لها.

ولو كان حبّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم لعائشة صحيحاً، لما تزوج عليها أكثر من ثماني نساء. فخديجة عاشت مع النبيِّ ما يقارب سبعاً وعشرين سنة، أي ثلاثة أضعاف عمره الشريف مع بقية النساء، ولم يتزوج عليها إلى أنْ ماتت، وسمى العام الذي توفيت فيه بعام الحزن. فهل يبقى بعد هذا ادعاء قائم لحبٍّ مزعوم، غير حبِّ الطاهرين سلام الله عليهم.

أمّا التقوّل على الزهراء بأنَّها تدخلت لفائدة النسوة، فلم تفلح في ثني النبيِّ عن موقفه المطلق لفائدة عائشة، فبهتان لا يقوم على دليل، بل العكس صحيح لأنَّها المرأة التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، لا يردّ لها طلب، ولا تسقط لها وساطة أبداً، وهي التي لا تتوسط أو تتدخل إلَّا في حق ومن أجل حق، وإذا وقفت

عدي ج٨ص ٥١٨/ مشكل الآثار الطحاوي ج١ص٢٣١ ح٧٨٥.

الزهراء عليها السلام أمام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لم يعدل بها أحداً، ولبى كلَّ طلباتها وتدخلاتها ووساطاتها، فمسلكها الذي ربّاها عليه أبوها صلَّى الله عليه وآله وسلم مسلك الحق والصدق.

أمّا الرواية السابعة والعشرون، ففي ظاهرها وله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بعائشة، كأنَّما هي ركن من أركان الدين، أو شعيرة من شعائر العقيدة، وفي باطن الرواية السم الزعاف، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: لم يصدر عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولا يمكن لمعتقد بأفضلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم على الخلق، أنْ يقبل بظهوره على الصورة التي جاءت بها الرواية، حيث جعلته كالصبي الذي لا يقبل عن أُمِّه بديلاً، فتراه ينادي عليها كلّما غابت عنه: أُمِّي، أُمِّي، أو فاقد لعقله لا يدري ما يقول، حتى على سبيل افتراض صحة ذلك الحبِّ المزعوم، فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مطالب بعدم إظهاره، لما لا يخفى من عدل وحكمة في تسيير شؤون البيت النبويّ، وقد اعترفت عائشة نفسها عندما تحاملت على خديجة وهي ميتة، من فرط غيرتها من كثرة ذكر النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم لها، واهتمامه البالغ بأُختها هالة وصاحباتها، برفعة ذلك المقام عنها، عندما نقلت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قوله: «**والله ما استبدلني خيراً منها**».

ثانياً: قبول بقية الأزواج بأنْ يمرض النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم حيث يشاء، ليس له ما يقوّيه، خاصة إذا علمنا أنَّ لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حجرته الخاصة، التي يختلي فيها إلى نفسه، ويستعملها في أوقات اللزوم، كما فعل ذلك مراراً، فعند طلاقه لنسائه ومن بينهم عائشة، استعمل تلك الحجرة، وعند مرضه أيضاً استعمل تلك الحجرة، ومنها انتقل إلى الرفيق الأعلى، والتي استولت عليها عائشة، بعد استيلاء أبيها على السلطة، بدعم من بني أُمية، ومن كان رافضاً للاختيار الإلهي، في كون الإمام عليٍّ بن أبي طالب إمام الأُمَّة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهي التي دفنت أباها ثمّ عمر بجانب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم دون وجه حق، ولا مشورة ولا استئذان، لأنَّه لا دعوى لها في الإرث لنفي أبيها له، هذا إنْ صحت أنَّ الحجرة كانت حجرتها في الأصل، وهو أمر أكدنا بُعده عن الواقع، بل لعلَّ أتباع هذه المرأة افتعلوا الرواية، ليرفعوا عنها كلَّ تبعة من خروج ونحوه، وقد أمرها الله تعالى أنْ تقرَّ في بيتها، فكيف تفعل ذلك وليس لها بيت؟

ثالثاً: ادعاؤها وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ورأسه الشريف بين سحرها ونحرها، كذب وبهتان، لأنَّ النبيَّ لم يبعث لعائشة، حتى تستفرد به دون بقية الخلق، وفي حضور عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، اللذينِ هما أحبّ الناس إليه، ليس

عن هوى، كما تحاول روايات الحبِّ المزعوم لعائشة إيهامه للناس، وإنَّما لأنَّ الله تعالى أحبّهما، وأحبَّ نسلهما، وجعل حبهم جميعاً طاعة له، وأجراً لرسالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، والصلاة عليهم عبادة لا تضاهيها عبادة، ولما تبين لنا أنَّ مع رواية عائشة جاءت روايات أُخرى، تقول إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مات بين يدي عليٍّ عليه السلام، وعلى صدره فاضت روحه الشريفة، وهو الذي تولى تغسيله وتكفينه، ونظم عملية الصلاة عليه، وتولى دفنه والناس يختصمون على سلطانه.

وحتى يتميّز طيّب الكلم من خبيثه، لا بأس من إظهار حقّ، طالما لفظه المبطلون لحق عليٍّ عليه السلام، فأورد أدلة أربعة على ذلك، وهي كالآتي:

أ: عن جميع بن عمير أنَّ أُمَّه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا: يا أُمَّ المؤمنين أخبرينا عن عليٍّ، قالت: أيّ شيء تسألن عن رجل، وضع يده من رسول الله، موضعاً فسالت نفسه في يده، فمسح بها وجهه(١).

ب: عن أبي عطفان قال سألت ابن عباس: أرأيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو مستند إلى صدر عليٍّ، قلت: فإنَّ عروة حدثني عن عائشة أنَّها قالت توفي رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بين سحري

---

(١): البداية والنهاية ابن كثير ج٧ص ٣٩٧ .

ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وإنَّه لمستند إلى صدر عليٍّ، وهو الذي غسله(٢).

ج: وعن أُمِّ سلمة قالت: والذي أحلف به، إنْ كان عليٌّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم.. إلى أنْ قالت: وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وجعل يسارّه ويناجيه - أي لعليٍّ- ثم قُبض صلَّى الله عليه وآله وسلم من يوم ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً(٣).

د: وفي إحدى خطبه قال عليٌّ عليه السلام: «**ولقد قُبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وإنَّ رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي**»(٤).

وإذا قال عليٌّ عليه السلام إنَّ رسول الله مات بين يديه، فلا يبقى لكلام عائشة، ولا عروة ابن أُختها، ولا لبنيه، ولا للزهري داعية الأُمويين، وزن ولا قيمة، بل إنَّ الصحيح الذي لا مراء فيه، هو أنَّ الذي تولى أمر النبيِّ صلَّى الله عليه

(٢): كنز العمال المتقي الهندي ج٧ص ٢٥٣ ح ١٨٧٩١/ الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ص ٢٦٣.

(٣): مسند أحمد ج ٦ ص ٣٠٠/ المصنف لابن أبي شيبة ج٧ص ٤٩٤/ كنز العمال المتقي الهندي ج١٣ ص ١٤٦ ح ٣٦٤٥٩/ تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢ص ٣٩٤/ البداية والنهاية لابن كثير ج٧ص ٣٩٧.

(٤): نهج البلاغة ج٢ ص١٧٢و١٨٢.

وآله وسلم مذ حُضر، هو عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل، ومن قال غير ذلك، فهو متبع هوى الضلالة، ومتخذاً مطية الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ليس مُلكاً لعائشة، حتى تتصرف فيه بذلك الشكل، أمّا بقية كلام الرواية، فهو مزايدة لا فائدة منها، وإنْ تكلمت عائشة عن الريق، ففي روايات أُخرى قد تحدثت فيها ما هو أدهى وأمرّ.

٢٩- الحديث التاسع والعشرون:

أخرج الحلبي في سيرته: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يبادرهم، يسابق قريشاً إلى الماء، فسبقهم إليه، حتى جاء أدنى ماء أي من بدر، أقرب ماء إلى بدر من بقية مياهها، فنزل به صلَّى الله عليه وآله وسلم، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أنْ نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله إنَّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، إنْ نزل القوم -يعني قريشاً- كان الماء أقرب المياه -أي محله أقرب المياه إليهم- قال الحباب: فإنِّي أعرف غزارة مائه وكثرته، بحيث لا ينزح فننزله، ثمّ نغور ما عداه من القلب، وهي الآبار غير المبنية، ثمّ نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً، فنشرب ولا يشربون، لأنَّ القلب كلَّها حينئذٍ تصير خلف ذلك القليب. فقال رسول الله صلَّى

الله عليه وآله وسلم: لقد أشرت بالرأي. ونزل جبريل عليه السلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فقال: الرأي ما أشار إليه الحباب، فنهض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ومن معه من الناس، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم(٥).

والرواية مردودة لأسباب:

أولها : إنَّ الرأي والحرب والمكيدة، غير منفكة عن العلوم، التي علمها المولى سبحانه وتعالى رسوله الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولا هي بمنأى عن الوحي، حتى يكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم محتاجاً إلى من يرشده إليها، ففي أُحد مثلاً دلَّ تخطيطه المحكم، على أنَّه صاحب تمرس بالحرب، وذو رأي سديد، ودراية كبيرة، بالمواضع المهمة في ساحة القتال، عندما انتدب عدداً من أصحابه، وأمرهم بعدم النزول من الجبل، لحماية ظهور المقاتلين، من هجوم مباغت، وأكد أصحابه الذين تركهم على ذلك الموضع، قلة فهمهم وطمعهم في الغنائم والدنيا، فنزلوا طمعاً في كسبها، وكانت هزيمتهم بسبب ذلك.

ثانيها : إنَّ مسابقته في الرواية على الماء، دليل على أنَّ القصد منه وجهة معينة وبئر معينة، وإلَّا فلا معنى لمسابقة غير محددة الهدف، ولم يكن النبيُّ بمعزل عن

---

(٥): البداية والنهاية ابن كثير ج٣ص ٢٦٧ / مستدرك الحاكم ج٣ص٤٢٦و٤٢٧.

الوحي، حتى يخبره بأفضل المواقع التي يجب أنْ يكون فيها.

ثالثها : إنَّ المولى سبحانه وتعالى دائم الرعاية لنبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلم، دائب التسديد له بألطافه وبجبريل وبالملائكة المقربين، غير محتاج لأحد كي يصحح له أمراً أبرمه، فلا تكون كلُّ المؤيدات متأخرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بحيث لا تتم إلَّا بعد وقوع الخطأ منه وتقويم الناس له، وفي ذلك ما فيه من مساس بالنبوة، من حيث مصداقيتها، وغاية التقويم والإصلاح وإيجاد الحلول للبشرية، أمّا أنْ تكون محتاجة لمن يقومها من البشر فذلك رأي الذي لم يستوعب من الدين شيئاً.

هل صحيح أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مجتهد؟

جريمة أُخرى ألصقوها بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم والدين الخاتم، تتمثل في نسبة النقص في دين الله تعالى، ممّا فسح المجال للقول، باجتهاد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فيما لا نص فيه، بحسب زعمهم. فقد جاء في كتاب (اجتهاد الرسول) للدكتورة (نادية شريف العمري) قولها: (واجتهاده في الأحكام التي لم ينزل بها وحي، عنوان على بشريته وإنسانيته، ولم يكن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو أعلم أهل الأرض وأتقاهم وأخشاهم لله تعالى، يستأثر برأي يراه، بل

يعرضه على أصحابه ويشاورهم في الأمر، وكانت استشارة الصحابة الكرام فرضاً عليه صلَّى الله عليه وآله وسلم، تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٦).

وأصبح تبادل الآراء والأفكار، سمة ظاهرة لمجتمع النبوة، وحكى القرآن عنهم هذه الخصلة الحسنة، فقال سبحانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وهذه الآية الكريمة يتعبد بها الناس منذ ذلك العهد التليد، إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها).

وانتقلت بعد ذلك، إلى الحديث عن اختلاف الأُصوليين في جواز اجتهاد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم من عدمه، إلى قولين اثنين:

الأول: القائلون بجوازه عقلاً

وهم ابن الحاجب، والآمدي، وسائر الحنفية، وجميع الحنابلة، وإليه ذهب بعض الشافعية، كالفخر الرازي، والبيضاوي، كما قال به أيضاً القاضي عبد الجبار، وأبو الحسن البصري من المعتزلة، وقال ابن تيمية في المسودة: يجوز لنبينا أنْ يحكم باجتهاده، فيما لم يوحَ إليه فيه.

---

(٦): اجتهاد الرسول الدكتورة نادية شريف العمري ص٤٠/ ٤١ وما بعدها.

الثاني: المنع مطلقاً

وهو مذهب ابن حزم، حيث قال: إنَّ من ظنَّ أنَّ الاجتهاد يجوز على الأنبياء عليهم السلام، في شرع شريعة لم يوحَ إليهم، فيها فهو كفر عظيم، ويكفي من إبطال ذلك، أمره تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام أنْ يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾(٧).

ويظهر من خلال ما نقلنا، أنَّ عقلية نسبة الاجتهاد للنبيِّ ترسخت من خلال عاملين:

الأول: بُعدُ تدوين الكتاب العزيز، عن السنة النبوية الشارحة لمجمل آياته وأحكامه، ممّا أدّى إلى ضياع كثير من الأحاديث الصحيحة، والتي تحمل بين مضامينها بيان الأحكام، وتوضيح ما غمض فيها من آيات.

الثاني: تسرب الروايات الموضوعة تحت عناوين وكتب أُضفيت عليها هالة الصحة والقداسة، فيها ما يدفع إلى الاعتقاد بوقوع الاجتهاد من طرف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

إنَّ الادعاء بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مجتهد فيما لم يرد عليه فيه نص، لهو من شطط القول وبهتان الرأي، لأنَّ الله تعالى قد أكمل دينه وأتمَّ شريعته، بحيث

---

(٧): سورة الأحقاف الآية ٩.

لا يحتاج رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم إلى إعمال الرأي فيها، بمعزل عن الوحي المتصل به، طوال عمره الشريف. وقد جاءت آيات عديدة في كتاب الله تعالى، لتأكد أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لم يكن في أدائه وبلاغه طوال حياته، متبعاً غير سبيل الوحي، فدلّ ذلك على أنَّ الدور المناط به، لم يكن ليتجاوز إطاره، ولا كان الوحي منفكاً عنه، حتى يحتاج إلى إعمال رأيه، في مسألة لم ينزل فيها وحي، هذا إذا لم نقل إنَّ كلامه وأفعاله كليهما وحي من الله تعالى بلا أدنى شك.

فقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقوله أيضاً: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (*) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

وقوله كذلك: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

كما أنَّ إطلاق الآية للفظ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ دلالات، تصب كلّها في خانة، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مكلف ببيان وتبليغ وتطبيق ما أوحى الله إليه فقط، فلم يتركه محتاجاً إلى أيِّ شيء، وما جاء من روايات تفيد العكس، تُضرب عرض الحائط، لأنّها وبكلِّ بساطة

مخالفة للقرآن، وعجبي في من أصبح يتوقف أمام رواية موضوعة، أخرجها البخاري ومن شاكله هيبة وتعظيماً، ولا يتوقف أمام الآيات البينات، التي تسقط تلك الروايات، وتتهم أصحابها.

على أنَّه لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ عصر النبوة، لم يكن بالصورة التي يحاول البعض إلصاقها، وتمريرها إلى عقول المسلمين المتأخرين عنهم بأجيال، من أنَّه مجتمع مثالي يقتدى بجميع أهله، فمنهم بمثابة المقدسين المعصومين، فقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي: أنَّ ذلك المجتمع كان قليل الهمة في تحصيل العلم، غير مهتم بما يدور حوله، منشغل بمعائشه، منصرف إلى إضاعة الوقت في ما لا يعني، متهيب من السؤال، لم يكن يدرك للشورى فهماً ولا معنى، وقد سقطوا في أول امتحان اعترضهم، وهو سقيفة بني ساعدة وما تلاها، من تنصيب لا يمت إلى الشورى بصلة.

أمَّا الآية التي نسبتها الدكتورة إلى مجتمع النبوة، كميزة تميزهم في الشورى، فليس فيها ما يفيد ذلك، بل إنَّ المعنى عام، يتحدث عن خصائص المجتمع المسلم بصفة عامة، وصفاته التي ليست حكراً على جيل دون آخر، وهي وإنْ ظهرت في فترة ما، فإنَّها مقيدة بثلة قليلة، هي التي تناط بها مسؤولية التوعية، والقيمومة والرعاية والحفظ.

قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (*) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (*) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (*) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾(٨).

٣٠- الحديث الثلاثون:

أخرج ابن هشام قال ابن إسحاق: وحدثني نور بن زيد عن بعض أهل العلم ولا أحسبه إلَّا خالد بن معدان الكلاعي، أنَّ نفراً من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أُمِّي حين حملت بي أنَّه خرج منها نور أضاء له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، بينما أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا، يرعى بهما لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض، بطست من ذهب، مملوءة ثلجاً، ثمّ أخذاني، فشقا بطني، واستخرجا منه علقة سوداء، فطرحاها، ثمّ غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتى أنقياه، ثمّ قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أُمَّته؟ فوزنني بهم، فوزنتهم، ثمّ قال زنه بمائة؟ فوزنني بهم فوزنتهم، ثمّ قال: زنه بألف

(٨): سورة الشورى الآيات ٣٦و٣٧و٣٨و٣٩.

من أُمَّته؟ فوزنني بهم فوزنتهم، ثمّ قال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأُمَّته لوزنها(٩).

٣١- الحديث الحادي والثلاثون:

أخرج مسلم عن أنس بن مالك، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثمَّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثمّ لأمه وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أُمِّه يعني ظئره، فقالوا: إنَّ محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره(١٠).

٣٢- الحديث الثاني والثلاثون:

أخرج مسلم عن أنس، لعلّه قال عن مالك بن صعصعة عن رجل من قومه قال: قال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بي فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا، قال قتادة فقلت للذي معي

---

(٩): مسند أحمد ج٦ ص٢٦٤- السيرة الحلبية ج٢ ص٢٩٠.

(١٠): صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ح١٦٢.

ما يعني؟ قال إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثمّ أُعيد مكانه ثمّ حشي إيماناً وحكمة(١١).

نظرة في أسانيد الروايات:

- شيبان بن فروخ قال أبو حاتم: كان يرى القدر اضطر الناس إليه بآخره(١٢).

ولست أدري السبب الذي دفع الناس إلى أنْ يضطروا إلى قدريٍّ مثل هذا؟

حماد بن سلمة: قال فيه الذهبي له أوهام، عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كان حماد لا يعرف بهذه الأحاديث التي في الصفات، حتى خرج إلى عبادان، فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلَّا شيطاناً خرج إليه من البحر، فألقاها إليه. وقال عباد بن صهيب: إنَّ حماداً كان لا يحفظ، وكانوا يقولون إنَّها دست في كتبه، وقد قيل إنَّ ابن أبي العوجاء كان ربيبه، فكان يدس في كتبه(١٣).

وأقول ما الفائدة من راوٍ كهذا، تدسّ في كتبه الأكاذيب والمختلقات، وهو لا يدري، وما الفائدة من رواية ورواة ومذاهب بنيت دعائمها على (قيل) و(لعل) إنْ

---

(١١): صحيح مسلم كتاب الإيمان ح ١٦٤.

(١٢): ميزان الاعتدال للذهبي ج ص٣٨٥.

(١٣): ميزان الاعتدال للذهبي ج١ص٤٧٢.

يتبعون إلَّا الظن.

ثابت البُنَانِي: كان قاصاً قال ابن عدي: ما وقع في حديثه من النكارة فإنَّما من الراوي عنه لأنَّه روى عنه ضعفاء[١٤].

وأعتقد جازماً، أنَّ كلَّ ما أُلقي في السنة النبوية ما ليس منها، فهو في معظمه من تخاريف القصاصين، واختلاقات أوهامهم، التي بنى أساسها عمر بن الخطاب، عندما أمر كعب الأحبار وتميم الداري، أنْ يقصا بالمسجد النبوي، وزاد بنو أُمية جرياً على بدعته فأطلقوا لها العنان، بأنْ أجروها سنة أُمويّة مضلة في جميع مساجد البلاد.

رغم سقوط الروايات الواردة في حادثة شق الصدر سنداً، بسقوط بعض رجالها، فإنَّ لمتونها مناقشات، يجب لا أنْ تغيب عن عين البصير، فقد ولى عصر الغفلة والانكفاء، وذهب القصاصون ووعاظ السلاطين إلى مزابل التاريخ، وبقيت آثارهم وجرائمهم شاهدة على العبث، الذي أجروه مجرى الدين.

وردت هذه الرواية في كتب السير والحديث والتفسير، وهي من حيث المضمون تنبؤك بجهل واضعيها وسخافة عقولهم، ولما كان الوضع عندهم من

(١٤): ميزان الاعتدال للذهبي ج٤ ص٤٨٤.

مستلزمات الإبقاء على مذاهبهم المرعيّة سلطوياً، ومن مسترزقات العيش، فهم لا يتحرجون من إيراد أيِّ شيء عجيب وغريب، عملاً بالمثل القائل خالف تعرف. فآية (ألم نشرح) لا تحتاج إلى هذه الخرافة لتفسيرها، والرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم كامل في خَلقه وفي خُلقه، غير محتاج إلى مثل هذا الاستدراك، كي يستكمل مؤهلاته البدنية والعقلية والقلبية، ولا أنْ تحسب وهي بهذه الحالة من الخيال، معجزة وخارقة، لا تكون عادة إلَّا لنبيٍّ، وكعادة الكذب الذي إذا تعددت مصادره، يقع في تناقض بين رواياته، وكما ابتلي أهل الشرائع السابقة بالكذابة وكذبهم، فإنَّ شريعتنا شأنها شأن البقية، تماماً كما أخبر بذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فقال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**» قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال «**فمن؟**»[١٥].

وحادثة شقّ الصدر هذه من قبيل جحر الضب، لأنَّها لا تقف على سبب

---

(١٥): بحار الأنوار المجلسي ج٥٣ ص١٢٨ و١٣٠/ حق اليقين السيد عبد الله شبر ج ٢ص٤١/ البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ح٦٨٨٩ / فتح الباري لابن حجر ج ١٣/ ٣٧١ صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ١٤ حديث رقم ٧٣٢٠ وح ٦٨٨٩ / صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ص ٤٥٩- ٤٦٠ كتاب العلم، باب ٣ اتباع سنة اليهود والنصارى ح ٢٦٦٩.

واحد يقيم اختلاقها.

أمَّا من حيث المتن، فإنَّ وجه الغرابة فيه تكمن في عملية شقّ الصدر أو البطن، لأنَّ في الروايات اختلافاً في تحديد موضع الشقّ، ففي سيرة ابن هشام تقول: فشقا بطني واستخرجا قلبي، ولا يخفى أنَّ القلب محلّه الصدر، بين قفص الرئتين مفصولاً عن البطن بغشاء لحمي رقيق. ومن البطن لا يمكن الوصول إلى الصدر، ومن الصدر لا يمكن الوصول إلى البطن كذلك، إلَّا بفتح ذلك الغشاء.

أمّا البيهقي فقد حدث عن أنس عن الشق، فحدّه عند الصدر إلى أسفل البطن، فهل الدقة في الشقِّ قد خانت الملكين، بحيث لم يمكنهما تحديد مكان القلب، ففتحوا صدر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كلَّ تلك الفتحة، ليستخرجا قلبه وشقاه، ليخرجا منه علقة سوداء؟ قالوا في روايات أُخرى، هي حظ الشيطان منه، وفي رواية الغل والحسد، وأدخل مكانهما الرأفة والرحمة، وفي أُخرى حشي إيماناً وحكمةً، فهل خَلق وخُلق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كان من النقص، بحيث وقع استدراكه بتلك الطريقة المريبة؟

وحتى لو سلمنا جدلاً بإمكانية وقوع مثل ذلك الاستدراك، فإنَّ الطريقة التي مورست عليه غلب عليها الخيال والعنف، ولا تصدر عن ملائكة الله المقربين،

ولا هي من تفاصيل النبوة والاصطفاء، ولا جاءت بها سير الأنبياء السابقين، ولا هي من سنن المولى في التعامل مع صفوته، وهو الذي أتقن كلَّ شيء صنعه، وحتى إنْ صح الاستدراك كما حاولوا جهدهم الوصول إليه، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١٦)، فلِمَ كلُّ تلك السفسطة؟

أما وزن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم من طرف الملكين، فهو أغرب ما سمعنا من سفسطات أشباه العلماء والحفاظ، وأي وزن يراد؟ أهو وزن البدن؟ أم وزن قيمة الشخص؟ أم وزن أعماله؟ وبأيّ ميزان؟ لأنَّ الرواية لم تتحدث إلَّا عن طست من ذهب مملوء ثلجاً، والذي يحتاج إلى طست، لا بُدَّ أنْ يكون محتاجاً إلى ميزان ليزن به، فمن أين جاء الميزان؟ ومن أين جيء بأفراد الأُمَّة، وهم لم يسلموا بعد، وفيهم من لم يولد في ذلك الوقت، فهل بلغ الجهل بالملكين إلى الإقدام على معادلته بعدد من أُمَّته، ومتى اختلط الريب فيه حتى يوزن؟ وهل كانا يعتقدان برجحان أُمَّته عليه؟ أو حتى هذا العالم كلّه عليه؟ تعساً لعقول سباها الجهل، وعششت بين جنباتها الخرافة.

---

(١٦): سورة يس الآية ٨٢ .

خلاصة القول في هذا الشأن:

أولاً: إنَّ الاستدراك الإلهي في الخلق غير ممكن، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١٧)، نعم هناك الإمدادات الإلهية، التي تتم بقدرته تعالى دون حاجة إلى فتح أو غلق أو بقر لأنَّ علمه يقتضي ذلك ولا هو محتاج إلى تدارك ما فاته، ولا خطأ وجب تلافيه.

ثانياً: إنَّ الاصطفاء الإلهي للأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام، هو اختيار للأصل والمعدن، فيكون المصطفى كاملاً من تاريخ خلقه، لأنَّ ذلك داخل في علم المولى وقدرته.

ثالثاً: بتجميع الروايات المتناولة لحادثة شق الصدر، نلاحظ تعدداً لها وتكرراً، على ما جاء، يوحي بوضعها، فاختلاف الرواة في موضع الحادثة، وفي تحديد موضع الشق، وفي كيفية العملية وأدواتها، فرواية قالت بوقوعها في بيته بمكة، وثانية أثناء إقامته في بني سعد، وثالثة أنَّها وقعت في الكعبة.

رابعاً: إذا سلمنا بتعدد عمليات شق الصدر، وذلك بسبب تلك العلقة السوداء البغيضة، فهل نسلم بأنَّ حظ الشيطان في النبيِّ المصطفى صلَّى الله عليه

---

(١٧): سورة التين الآية ٤.

وآله وسلم غدة سرطانية، تعود لتنمو كلَّما استُأصلت؟ وهل هان النبيُّ الأعظم على خالقه، الذي لا يعجزه شيء وأمره بين الكاف والنون، حتى يقع عليه ما وقع من شقٍّ واستخراج للقلب، وتنظيف بماء زمزم، أو بالثلج بحيث يكون ماؤهما مطهراً لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو أصل طهارة كلِّ شيء.

خامساً: تقول إحدى الروايات إنَّ أنساً كان يرى أثر المخيط، على صدر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فهل الذي شق القمر ثمّ أعاده كما كان، عجز عن إعادة صدر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كما كان؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أمّا من حيث السند فيكفي أنَّ فيه أنس بن مالك، وهو غير موجود بمكة، فتسقط روايته لعدم ذكر من روى عنه.

٣٣- الحديث الثالث والثلاثون:

أخرج مسلم والبخاري عن عائشة قالت: سحر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يهوديٌّ من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت حتى كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يخيل إليه أنَّه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كانت ذات ليلة دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ثمَّ دعا ثمّ قال: يا عائشة أشعرت أنَّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند

رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي ما وضع الرجل، قال مطبوب، قال من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: في أيِّ شيء، قال: في مشط ومشاطة...(١٨).

كثير ما ظهر على قنواتنا التونسية مشيخة، أبحروا أيّما إبحار، في الاستدلال على صحة ما جاء به البخاري، من إساءات ألصقها بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأذكر أنَّ أحدهم أطنب في الدفاع عن البخاري ورواياته، بما فيها رواية السحر هذه، وقد ظهر من خلال تسليط الكاميرا على وجه من وجوه البراءة، التي كانت تستمع إلى صاحب الجبّة المزخرفة، قد ارتسمت علامات البهتة على محياها، لعلّها الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي لم تتشوه بدسائس أهل النفاق، من محاربي الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، قد عبّرت عن رفض لما برره الشيخ، وكأنَّما ارتسم على ملامحها سؤال يقول: هل يمكن أنْ يُسحر نبيٌّ، وخصوصاً من اختاره الله، وفضّله على بقية أنبيائه ورسله؟

وهل قدر قسم كبير من هذه الأُمَّة، التي تنكبت عن اتباع أهل بيت نبيها صلَّى

(١٨): مسلم ج٧ص١٠٠// صحيح البخاري/ كتاب بدء الخلق/ باب صفة إبليس وجنوده/ حديث ٣٠٢٨/ صحيح مسلم/ كتاب السلام/ باب السحر/ حديث: ٤٠٥٩.

الله عليه وآله وسلم، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وآثرت أنْ تأخذ سننه وآثاره، عن قسم ممّن كذب عليه في حياته، وحذرهم بقوله: «**من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار**». منبّهاً الأجيال الإسلامية القادمة، من خطورة الكذب عليه، كما لا يستبعد الأثر السيئ لراوي وحافظ الكذب بلا تحرٍّ منه.

هل يكفي أنْ يكون مصدر الرواية، كتاب محمد بن إسماعيل البخاري، المعروف بالجامع الصحيح، وينقلها في خمسة مواضع من كتابه، حتى ينظر إلى الرواية بعين القبول والرضا؟

وإلى متى نبقي على السماح لروايات يمجّها العقل السليم، وترفضها الفطرة الصافية، حتى وإنْ كانت مضمنة في ما اصطلح عليه بالصحاح، أنْ تهدم عقيدتنا في عصمة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وعصمة نبينا أبي القاسم محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم خيرهم وإمامهم، وأنْ تفسح المجال لأعداء الأُمَّة ليسيئوا للنبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم؟

ولو اتبع المسلمون جميعاً أئمة الهدى عليهم السلام، أساتذة أصحاب المذاهب، لما وجدنا في كتبنا رواية واحدة، فيها طعن أو مساس بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لكنْ ما عسانا أنْ نقول، في من أظهر الصلاح، واستبطن الشرَّ والفساد،

ليخرج علينا بما نغّص اعتقاد قسم من المسلمين في النبيِّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم؟

وإلى متى نبقى نتحمل تبعات غيرنا، ونحن اليوم نستطيع أنْ نكون في حلٍّ من كلِّ ذلك، بفضل العلم ومجالاته المتاحة، حيث لا حدَّ للعقل وإدراكه العلمي الصحيح.

وبقدر ما نحن اليوم بحاجة إلى تنقية سننه صلَّى الله عليه وآله وسلم، ممّا شابها من التشويه والتزوير، بقدر ما نحتاج أيضاً إلى ضرورة العودة إلى الاعتقاد بعصمته، التي هي من مستلزمات الاصطفاء الإلهي، ومن تمام دور النبوة، ووظيفتها التي تستوجب أنْ يكون المرسَل، معصوماً في جميع أدائه عن الله، وأداؤه كلُّه وحياته كلّها، تطبيقات راقية لأخلاق الله وأحكامه وسننه، فكتابه وحي الله القرآن الصامت، وهو صلَّى الله عليه وآله وسلم الناطق عنه صدقاً وعدلاً، عملاً بمضمون شريعته، وتطبيقاً لها على أعين الناس، وقد علمها الإمام عليّاً عليه السلام باب مدينة علمه، وتولى عليٌّ عليه السلام بدوره عهدها إلى الأئمة من ذريته، الذين قاموا بتبليغها وتعليمها لفقهاء الأُمَّة، فأخذها من أخذها عنهم ونجا بحقائقها الربانية، وتركها من تركها فغرق في تيه السّفه واتباع السلطان الغاشم الذي عمل على طمس شخص النبيِّ وسننه وأحكام كتابه، من بني أُمية إلى بني العباس إلى المماليك حتى

زماننا هذا، كلّما رحل عنا شيطان ركبنا آخر، لم يجدوا لهم أعداء غير هؤلاء الأطهار وشيعتهم، اعتقاداً من أولئك الحكام، أنَّ هذه الفرقة أو الطائفة المحقة، خارجة عن سلطانه ومخالفة لأحكامه، وهو صحيح، لأنَّها الفرقة التي حرمت مقاربة السلطان، وأعانته ولو بالصمت على أفعاله المخالفة للإسلام، وهي التي أشعلت الثورات المتتالية، من أجل إسقاط هؤلاء الظالمين، نصرة لدين الله وإظهاراً لأمر أوليائه، فكلُّ الذي طرأ على تراثنا من تحريفات وتغييرات، مخالفة لجوهر الدين الحنيف كان من جهة هؤلاء الظالمين.

وحتى يكون دفاعي عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم علمياً عقلائياً، لابُدَّ من معرفة المعنى اللغوي للفظ سحر: سحر يسحر سحراً والسحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كلُّ ذلك الأمر كينونة السحر، والسحر الأخذة التي تأخذ العين، حتى يظن أنَّ الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى، السحر الأخذة. (لسان العرب)، فالسحر إذن هو عمل شيطاني، قد يكون له تأثير على بعض البشر، لكنْ هل يمكن أنْ يكون له تأثير على صفوة خلق الله، المعصومين من شياطين الإنس والجن؟

وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري (شرح صحيح البخاري) مدة سحر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، باختلاف الروايات من أربعين يوماً، إلى ستة أشهر،

معلقاً على ذلك بقوله: ويمكن الجمع بأنْ تكون الستة أشهر، من ابتداء تغير مزاجه، والأربعين يوماً من استحكامه[١٩].

لو كان ابن حجر من عامة الناس لما عرجنا على كلامه، ولكنَّه عالم كان يجب عليه أنْ يسأل نفسه: هل يصح الاعتقاد بسحر النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، حتى ينخرط في إثبات المدة التي بقي فيها متأثراً به؟

باستقرائنا لعدد من الآيات القرآنية، نجد أنَّ الله قد وصف السحر بأنَّه كيد وعمل مفسد، يبطله الله ولا يصلحه، بحيث لا ينعقد أثره، إلَّا لمن سمح لنفسه بأنْ تكون تحت تأثيره، بسوء اعتقاد وضعف إيمان، وقلة ثقة بالله.

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[٢٠]. وقد دلت الآية: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[٢١].

على أنَّ صفوة الخلق لا تأثير للشيطان عليهم، وطالما أنَّ السحر هو من عمله، وتأييد منه للسحرة، فكيف يجوز لنا الاعتقاد بأنَّ له تأثيراً على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وسائر المعصومين؟

---

(١٩): فتح الباري ابن حجر ج١٠ ص١٩٢.

(٢٠): سورة البقرة الآية ١٠٢.

(٢١): سورة الحجر الآية ٤٢.

ولماذا نبقى نحن المسلمين تحت تأثير روايات مسيئة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وطاعنة في حفظ الله سبحانه وتعالى له، من كيد الكائدين وسحر الساحرين، وهو المعصوم بأكثر من آية في كتابه المبين.

وقد ضمن الله سبحانه وتعالى منع أذى الناس عنه في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٢٢]، وقد ذكر الواحدي في أسباب النزول قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ الله قد عصمني من الجن والإنس**»[٢٣].

ولو عاد هؤلاء المتقولون على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ظلماً وزوراً، إلى كتاب الله تعالى، لوجدوا فيه ما يفند مزاعم وقوعه تحت تأثير السحر، فهو قد ردَّ على من زعم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم مسحور، ضارباً بذلك مثلاً تحذيرياً، بقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (*) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[٢٤].

وبينت آيات أُخرى، أنَّ السحر عمل غير صالح، وأنَّ الله تكفل بإبطاله، والساحر مهما بلغ به سحره، فإنَّه لا يفلح، خصوصاً إذا كان في مواجهة

---

(٢٢): سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢٣): أسباب النزول الواحدي ص ١٩٥ ح٤٠٥ سورة المائدة.

(٢٤): سورة الفرقان الآية ٨/ ٩.

الحق وأهله.

قال تعالى: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢٥).

وقال جلّ من قائل: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾(٢٦).

فكيف يمكن بعد هذا كلِّه، أنْ تصح روايات سحر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم والاعتقاد بها؟ فيسلم بذلك ركننا الثاني من عقيدتنا الإسلامية، والمتعلق بالنبوّة والنبيِّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلم.

هذا من جهة النصوص القرآنية، أمّا من جهة العقل ومبانيه السليمة، فإنَّ خصائص العصمة، تحتم أنْ يكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، في مأمن من جميع أعمال الشيطان، فلا يؤثر فيه شيء من جلبة خيله ورجله، وإنْ كان كيده ضعيفاً مع المؤمنين، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(٢٧).

فكيف يصبح السحر مؤثراً وقوياً مع صفوة الخلق؟

---

(٢٥): سورة يونس الآية ٨١ .

(٢٦): سورة طه الآية ٦٩.

(٢٧): سورة النساء الآية ٧٦.

إنَّ ما تضمنته الرواية من دعوى تأثر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بسحر اليهودي، إلى درجة فقدان العقل والإرادة، (يخيل إليه أنَّه يفعل الشيء وما يفعله)، يتعارض مع مبدأ البعثة، ودور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في البلاغ والتعليم والأُسوة، الذي لا ينقطع أبداً باعتبار التواصل، والإمداد بين الخالق وعبده المصطفى، فلا مجال بعد هذا إلى الاعتقاد بصحة رواية كهذه، وهي تقطر يهودية.

نحن بحاجة فعلاً إلى أنْ نقف عند هذه المرويات، التي أحدثت لنا شرخاً في عقائدنا، وعلى إخوتنا من علماء الجماعة، أنْ يتصدوا لتفنيد دعواها وكشف خفاياها، ومنها دخل أعداء الإسلام ليضربوه، ويسيئوا إلى صاحبه أيما إساءة، وما سلمان رشدي إلَّا شيطان من شياطين الإنس، استخف في كتابه (آيات شيطانية) بالإسلام والنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، اعتماداً على روايات استخرجها من البخاري ومسلم، وبقية الصحاح وأيّ صحاح هي؟ ورواية سحر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إحداها، فلو لم تكن هذه الدسائس موجودة في كتبنا، لما وجد هؤلاء الأدعياء مجالاً للطعن في عقائدنا.

هدفنا جميعاً هو تصحيح عقائدنا، وتنقية تراثنا الروائي، فلا مجال لأنْ يضحك أحد على عقولنا، ليمرر سموم بني إسرائيل وحلفائهم المنافقين إلينا، تحت غطاء ما يسمى بالصحاح، وهي تتضمن روايات عديدة، تمسّ من جوهر ديننا

وصفائه، وتضعه موضع التهمة، ولقد فتح العلماء الأعلام ملف الموضوعات في سنن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، بما ردَّ هجمة الأعداء على الدين الحنيف، وعلى العاقل أنْ يحترز لدينه، حتى لا يتبرأ المتبوع من التابع، يوم الحسرة والندامة.. فهل من مؤمن منتصر للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يعي هذه الكلمات؟

٣٤ – الحديث الرابع والثلاثون:

أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة قالت: خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال للناس تقدموا فتقدموا ثمّ قال: تعالي حتى أُسابقك فسابقته فسبقته، فسكت حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدموا فتقدموا ثمّ قال تعالي حتى أُسابقك فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك(٢٨).

الرواية أخرجها عدد من حفاظ السنة، بقطع النظر عن إسنادها، والذي قد يكون صحيحاً، لاعتماد الوضاعين في تمرير أباطيلهم على أسماء الثقات، أو من وقع توثيقه لأنَّه من أنصار ذلك المذهب، حتى وإنْ صدر منه ما صدر، والأمثلة كثيرة

---

(٢٨): مسند أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة ج٦ص٢٦٤ ح ٢٥٦٨٥ ح ٢٦٢٧٧/ سنن ابن ماجة ص ٦٣٥ كتاب النكاح باب حسن المعاشرة/ سنن أبي داود ح٢٥٧٨ / سنن النسائي ج٥ص٣٠٣و٣٠٤.

لسنا في مقام عرضها، وقد لا تسقط الرواية سنداً، لكنَّها تتداعى متناً، لمعارضتها القرآن الكريم، أو روايات أُخرى أكثر صحة، أو لمخالفتها العقل والمنطق، لأنَّ الدين برمته لم يأتِ مخالفاً للعقل والمنطق، ولا مجانباً للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولا أعتقد أنَّ عاقلاً راشداً متزناً وقوراً حيياً، يقدم على مسابقة زوجته أمام الناس، أو من ورائهم، من لدن آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فضلاً عن كون المسابق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وذلك لأسباب هي:

أولاً: ليس هناك دافع واحد، يبرر ذلك السباق الذي أراده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فجأة، ودون مقدمات، في سفر يحتاج فيه المسافر إلى تقسيط جهده من عناء السفر ووعثائه.

ثانياً: ليس من عادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أنْ يأمر الناس بأوامر لا معنى لها، وتنم عن تعسف واستكبار واحتقار، كأنَّما يتعامل مع عبيد خضع، أو قطيع من الأغنام، وهو الذي قال عنه تعالى إنَّه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

ثالثاً: تصوّر الرواية الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم على أنَّه محبّ لنفسه، ومضمر لما لا يظهر في تعامله، فسكوته على هزيمته في السباق، على ما تدّعي الرواية، لم يكن غير تحين لفرصة أُخرى حتى يثأر لنفسه، ودلّ على ذلك قوله: هذه

بتلك. وهذا ليس من محاسن أخلاقه، وكلّ أخلاقه حسنة قد عظمها الله سبحانه.

رابعاً: ذكرت الرواية أنَّ عائشة لما سبقت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، كانت نحيفة، ولم يسبقها في المرّة الثانية، إلَّا بعد ما كُسيت لحماً وبدنت، فما دخل البدانة والنحافة في السباق، إذا صاحبها كان يجيد الجري؟ وعلى ذلك نقول حاشا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أنْ ينزل إلى مسافل السوقة، والهمج الرعاع الذين لا خلاق ولا حياء لهم، فيسابق زوجته على مرأى ومسمع من المؤمن والمنافق، وبمشهد من الله تعالى وملائكته وسكان سماواته.

خامساً: قد يترتب عن الجري العثرة والسقوط والانكفاء، وعثرة الرجل قد لا تفسد من حاله، بينما عثرة المرأة قد تكشف عورتها، وهذا ممّا لا يمكن أنْ يغيب عن ذهن عاقل.

سادساً: قوله تقدموا، يعني بالضرورة امتثال الناس لأمره وجعل الرسول وعائشة وراء ظهورهم، كي لا يشاهدوا السباق المزعوم، خاصة إذا علمنا أنَّ فيهم، من كان يسترق النظر إلى النساء في المسجد، وهو ساجد وقد نزل بخصوص تلك الحادثة قرآن.

أخرج الترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد بن حنبل: عن ابن عباس قال

كانت امرأة تصلِّي خلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾(١). فكيف بهؤلاء وهم قائمون، وأعينهم تدور في محاجرها.

أخرج البخاري عن عائشة قالت: دخل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار شيطان عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فقال: دعهما، فلمّا غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإمّا سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وإمّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت نعم. فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت قال حسبك؟ قلت نعم. قال: فاذهبي(٢).

---

(١): سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن ح٣٠٤٧-النسائي في سننه كتاب الإمامة ح٨٦٠- ابن ماجة في سننه سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة ح١٠٣٦ - أحمد في مسنده كتاب مسند بني هاشم ح٢٦٤٧ و٣٠٤٧.

(٢): صحيح البخاري ج٥ص٨٦ كتاب الفضائل باب مقدم النبيِّ وأصحابه المدينة/ وج٢ ص٢١ كتاب العيدين باب سنة العيدين لأهل الإسلام وج٤ص٢٢٥ كتاب المناقب باب قصة الحبش وقول النبيّ يا

٣٦- الحديث السادس والثلاثون:

أخرج أحمد والترمذي عن بريدة قال: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في بعض مغازيه، فلمّا انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إنِّي كنت نذرت إنْ ردّك الله صالحاً أنْ أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال رسول الله إنْ كنتِ نذرتِ فاضربي وإلَّا فلا. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب ثمّ دخل عليٌّ وهي تضرب ثمّ دخل عثمان وهي تضرب ثمّ دخل عمر فألقت الدفّ تحت أستها ثمّ قعدت عليها فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنِّي كنت جالساً وهي تضرب ثمّ دخل عليٌّ وهي تضرب ثمّ دخل عثمان وهي تضرب فلمّا دخلت أنت ألقت الدف، وفي رواية أُخرى، قالت عائشة: يا رسول الله كان حلالاً فلمّا دخل عمر صار حراماً فقال صلَّى الله عليه وآله وسلم: ليس كلُّ الناس مرخاً عليه(١).

٣٧- الحديث السابع والثلاثون:

بني أرفدة.

(١): سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٩٣ / المسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٥٣و ج ٥ ص ٣٥٣ / كنز العمال المتقي الهندي ج ٦ ص ٣٣٨/ نيل الأوطار الشوكاني باب ضرب النساء بالدف لقدوم الغائب وما في معناه ح٣٥٦٦.

أخرج أبو نعيم عن السود بن سريع قال أتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فقلت: قد حمدت ربِّي بمحامد ومدح وإياك. فقال صلَّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ ربَّك عزَّ وجلَّ يحبُّ الحمد. فجعلت أُنشده، فاستأذن رجل طويل أصلع، فقال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم اسكت. فدخل فتكلم ساعة ثمّ خرج، فأنشدته ثمّ جاء فأسكتني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فتكلم ثمّ خرج ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً فقلت يا رسول الله من هذا الذي أسكتني له (وفي رواية من هذا يا نبيَّ الله الذي إذا دخل قلتَ أمسك وإذا خرج قلتَ هات) فقال صلَّى الله عليه وآله وسلم: هذا عمر رجل لا يحبُّ سماع الباطل(١).

٣٨- الحديث الثامن والثلاثون:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بحرابهم إذ دخل عمر بن الخطاب، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم دعهم يا عمر(٢).

---

(١): البخاري كتاب الأدب المفرد ح ٣٤٣ / مسند أحمد فضائل الصحابة ج٣ ص٤٣٥ ح٢٦٦ / المستدرك الحاكم ج٣ ص ٦١٤و٦١٥ .

(٢): صحيح البخاري ج٤ص٤٦ كتاب الجهاد والسير باب اللهو بالحراب/ صحيح مسلم ج٢ص٦١٠ كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب.

عندما يفقد المتأسلمون عقولهم بحثاً بين مزابلهم العاكفين عليها عن منقبة أو فضيلة لبعض أوليائهم، فلا يجدون ناعقاً يركبونه غير الكذب الرديء، والاختلاق الذي لا يكشف عن أبسط معرفة، لأنَّهم ومن أجل الرفع من مقام أبي بكر أو عمر أو غيره من أصحاب مؤامرة السقيفة فلا يهم عندهم أنْ تداس قدسية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وإلَّا لما بلغت بهم الجرأة على إخراج مثل هذه الخزايا، وفي كتب ينعتونها بالصحاح وما شاكلها في التسمية.

ففي الرواية الرابعة والثلاثين:

جاريتان عند عائشة تغنيان بغناء يوم بعاث ورسول الله مضطجع يسمع أشعار يوم الاقتتال الجاهلي بين الأوس والخزرج، فلا ينهرهن، ثمَّ يأتي أبو بكر لينتهرهن بقوله: أ مزمار شيطان عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ ولا يأبه رسول الله لذلك، بل يطلب من أبي بكر أنْ يدعهما.

ثمّ تقول عائشة فلمّا غفل غمزتهما فخرجتا، وأنا أقول منذ متى كان رسول الله يغفل، وهو الذي تنام عيناه ولا ينام قلبه، أبلغ رسول الله ذلك المبلغ من عدم الإدراك واللاوعي بما يدور حوله حتى يغفل وتتدارك عائشة الأمر فتغمز الجاريتين للكفِّ عن الغناء والانصراف؟

ولم تكتفِ الرواية بذلك الحدِّ المزري، بل تتواصل لتحيلنا على صورة أُخرى أوهن من الأُولى وفيها أنَّ عائشة لا تدري إنْ كانت سألت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أو بادرها إلى رغبتها في مشاهدة السودان يلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد كيف أقامها وراءه خدها على خده، أما كيف قامت وراءه -حسب الرواية بالطبع- فالحالة لا تخرج عن احتمالين:

الأول : يقول إنَّ عائشة لا يمكنها أنْ تضع خدّها على خدّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلَّا إذا كانت أطول منه قامة وعنقاً وهو احتمال مستبعد.

الثاني : وهو أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قد حملها على ظهره، وهو الأقرب للرواية، وفيه ما فيه من حطٍّ لمقام نبيِّ الأُمَّة وقائدها وقدوتها، هذا إذا كانت عقيدتنا تنطوي على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم جاء للناس كافة، أمّا إذا بعث ليلبي رغبات شخص واحد، ويوقف نفسه على خدمة أهواء ذلك الشخص ونزواته، فليس في تصور أقل المسلمين عقيدة بالنبوة والنبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله. وتعالى الله ورسوله أنْ تكون النبوة وشخصها المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلم وسيلة لتلبية الرغبات وقضاء الشهوات، ومثاراً للشبهات.

وفي الرواية الخامسة والثلاثين:

جاء فيها أنَّ جارية نذرت أنْ تضرب بالدفّ بين يدي الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم وتتغنى لأنَّه لا معنى للضرب بالدف بدون غناء (والنذر كما هو معلوم التزام تعبدي يستوجب الوفاء به طالما أنَّه لا يتجاوز الطاعات إلى القيام بالمعاصي) أمّا في هذه الحال فإنَّ النذر معصية، ويصبح إلى الهذر أقرب منه إلى أيِّ شيء آخر. وقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم رداً عليها: إنْ كنتِ نذرتِ فاضربي وإلَّا فلا، يؤكد على أنَّ الرواية مفتراة عليه، لأنَّ صدور ذلك القول لا ينطبق على نبيٍّ معصوم يعلم بطلان نذر المعصية.

وتمضي الرواية قدماً لتصل إلى مفاضلة غريبة جاءت لتضع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعليّاً وعثمان على صعيد واحد، من قبول الغناء والرقص والضرب بالدف، بينما وضعت عمر وحده كعدو للدف والرقص والغناء عارف بحرمته، ووجوده يخيف الشيطان ويفسد ألاعيبه، فيكون عمر عند هؤلاء المتأسلمين أقوى وأشدّ في مناوئة الباطل من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، حتى يخاف منه الشيطان ويفرّ بمجرد دخوله حجرة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ فيكون الشيطان قد وجد ملاذاً بزعمهم من عمر في بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وأيّ دين يمكن أنْ يكون عليه أقوام ملئت صحائفهم بهذه المفتريات؟

أما الرواية السادسة والثلاثون:

فقد جاءت لتؤيد منحى الرواية السابقة وتصور عمر على أنَّه رجل لا يحب سماع الباطل، بينما يحبه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، ويخاف ويتهيب من عمر كلَّما دخل عليه يسكت الرجل حتى لا يسمع عمر ذلك الباطل، فيفسد الأمر على المغني وعلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

على أنَّك إذا تأملت في مقدمة الرواية، ترى أنَّ ما أنشده الأسود بن سريع هو نوع من الحمد والذكر، فقوله: قد حمدت ربِّي بمحامد مدح وإياك، ومباركة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم لذلك بقوله: إنَّ ربَّك عزَّ وجلَّ يحبُّ الحمد، فما وجه نسبة تلك المحامد إلى الباطل؟

أمَّا الرواية السابعة والثلاثون:

فتقول إنَّ عمر دخل المسجد والحبشة يلعبون عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بحرابهم، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، لكنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم نهاه عن ذلك. وهذه الرواية هي من قبيل سابقاتها، لم تجد منقبة تسند لهؤلاء غير الإسفاف، وهي تظهر لنا قلة أدب عمر في حضرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو كعادته إلى العجرفة والغلظة في تعامله أميل، وإنْ شئت

أحلتك على ممارسات حقيقية صدرت عنه حيال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، كمعارضته له يوم الحديبية دون موجب، كأنَّما حصل على وصاية على الإسلام وأهله، تبيح له الوقوف في وجه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كلَّما رأى في ذلك مخالفة لرأيه، وتخوفه بعد ذلك من أنْ ينزل فيه قرآن، وفراره إلى أقصى الجمع، حتى جاءه ابنه وقد بايع، وقد استظرف البخاري الحادثة فعنون عليها بقوله: إنَّ ابن عمر أسلم قبل أبيه، وتصديه في حجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يوم الخميس، لمنعه من كتابة وصيته، بقوله إنَّ النبيَّ يهجر (يهذي ويخلط) حسبنا كتاب الله، فلم يعقب على موقف عمر معقب منهم، ليعطي كلَّ ذي حق حقه، بل إنَّ بعضهم كالنووي الذي صوَّب عمر، وخطّأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وعمر من الذين حصبوا باب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بالحصباء ليخرجوه إلى صلاة الليل، طالما أنَّنا لم نجد في الروايات شخصاً آخر، يهوي إلى الحصباء ليحصب بها الحبشة، ومن الذين نزلت فيهم: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2] وغير ذلك ممّا لا مجال لتقصيه في

---

(١): سورة الحجرات الآية ٢.

(٢): سورة الحجرات الآية٤.

هذا البحث، ويتطلب بحثاً منفرداً، فأين هذه الحقيقة من ذلك الخيال؟

لقد أثمرت هذه الأكاذيب على رسول الله وجود عقليات تؤمن بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ناقص من دون أبي بكر وعمر وعثمان، وكيف يكون كاملاً وعندهم أنَّ القرآن نزل تأييداً لعمر وأبي بكر، بل في رواياتهم ما يفيد أنَّ بعض الآيات نزلت بعد أنْ نطقها عمر كآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[٣] فقد أخرجوا في التفسير المأثور عن عمر،أنَّ يهودياً لقي عمر فقال: إنَّ جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدو للكافرين- ولم تنزل بعد على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم - فنزلت على وفق ما قال[٤]، وعندما دخل عمر على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وجد أنَّ الآية التي نطقها قد نزلت، أتباع هؤلاء يتهمون شيعة آل محمّد بما ليس عندهم، كنسبتهم للشيعة أنَّ جبريل أخطأ في نزول الوحي، وتحريف القرآن، كذباً وبهتاناً، بينما هم يتفننون في الكفر والزندقة، والجرأة على الله ورسوله ومقدساته تفنناً، ويتلاعبون بالدين لعب الصبي الأبله.

---

(٣): سورة البقرة الآية ٩٨.

(٤): فتح الباري لابن حجر ج ٨ ص ١٦.

٣٩- الحديث التاسع والثلاثون:

أخرج البخاري عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم على التماسه، وقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس أبا بكر، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر ما شاء الله أنْ يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلَّا مكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم على فخذي فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم(٥).

لقد دأب الوضاعون ومن تحزب لهم، على إظهار تفرد عائشة، وتربعها على

---

(٥): صحيح البخاري كتاب التيمم باب بدء الوحي ج١ ح٣٣٤/ الحديث أطرافه في٣٦٦، ٣٧٧٣، ٣٦٧٢، ٦٨٤٥، ٦٨٤٤، ٥٨٨٢، ٥٢٥٠، ٥١٦٤، ٤٦٠٨، ٤٦٠٧، ٤٥٨٣فتح الباري لابن حجر كتاب التيمم ح٣٢٧.

مجامع قلب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، والصحيح عكس ذلك، لأنَّ النبيَّ ليس له في قلبه غير حبِّ الله تعالى، وحبّ من يحبه الله تعالى.

ومضت الرواية على درب ذلك العشق المزعوم، لتحيلنا على مأساة حقيقية، والكذب عند هؤلاء القوم، لا يقف عند حاجز، ولا يراعي ثابتة من ثوابت الدين، المهم عندهم إبراز الوهم، وإظهاره على أنَّه الحقيقة المثلى، التي لا تضاهيها حقيقة، ولكي نميط اللثام عن زيف هذه الرواية نقول:

أولاً: تهافت الرواية على دعوى التماس عقد عائشة، الذي ضاع منها، وإقامة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في طلبه، ووقوف الناس معه في ذلك الطلب، وهم دون ماء، وفي مكان ليس فيه ماء، يدفع إلى القول إنَّ المسألة بعيدة عن الواقع، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لم يؤثر عنه أنَّه حمل الناس على أمر اختياري، بهذا الشكل غير المألوف عنه.

ثانياً: كثرة عدد الناس المتطوعين في البحث، يعجل في سرعة العثور على العقد، أو سرعة عدم العثور عليه، وفي كلا الاحتمالين، لا يمكن لمدة البحث عنه أنْ تطول بالشكل الذي عليه الرواية.

ثالثاً: نسبت الرواية تشكي الناس وتذمرهم لأبي بكر، وعدم رضاهم،

وتشكيهم من تصرف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، طلباً للتوسط في الموضوع، على ما يظهر من قصد الناس وسياق الرواية، فيكون ذلك التصرف، مخالفاً للسلوك العام حيال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ومعصية جماعية للوحي، إنْ كان أمر البحث صادراً عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

رابعاً: كيف يمكن أنْ نقبل بتذمر الناس وتشكيهم لأبي بكر، والرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم موجود، ومنذ متى كان لأبي بكر أو غيره وكالة أو تفويض، حتى يقتحم مكان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم دون استئذان، حتى لو كان صهره.

خامساً: لوم أبي بكر لابنته فترة غير محددة وطويلة، على ما في الرواية (فعاتبني أبو بكر ما شاء الله) من شأنه أنْ يسرع في يقظة النائم العادي، فما بالك بنبيٍّ تنام عيناه ولا ينام قلبه، ناسبة ثقل نوم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ورأسه على فخذ عائشة، وطعن أبي بكر لخصر عائشة، دافع آخر يرجح استيقاظه، لأنَّ المرأة لابُدَّ أن تصدر منها حركة لا إرادية بفعل الطعن، ومع ذلك تمضي الرواية في نسبة النوم الثقيل للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، كأنَّما هو مخدر في ذلك الوضع.

سادساً: تحاول الرواية الادعاء على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بأنَّه أمر

الناس بالبحث عن عقد زوجته، بينما ذهب هو لينام على فخذ عائشة، ولم يؤثر عنه إلَّا المبادرة إلى كلِّ أمر يصدر عنه، فيكون أول المطبقين، وهذا أسوأ ما رأيته في هذه الروايات من استخفاف بشخص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

سابعاً: ما وجه لوم الناس على عائشة، ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم هو الذي أوقف الناس للبحث عنه؟

ثامناً: كيف يتفق انقطاع العقد، مع فقد الناس كلّهم للماء؟ أوصلت بهم البلاهة إلى ذلك الحدّ، الذي دخلوا فيه في سفر محدد المسافة، دون زاد لازم من ماء ومؤونة؟

تاسعاً: اختلاق الرواية لإظهار فضل عائشة وعقدها، في نزول آية التيمم، غير خافٍ على كلِّ ذي بصيرة، والحال أنَّ آية التيمم نزلت مع آية الوضوء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٦). لذلك فإنَّ من سخافة العقل

---

(٦): سورة المائدة الآية ٦.

القول، إنَّ الفضل في التيمم جاءت به عائشة وعقدها، وفضلها على المسلمين غير خافٍ من مقصد الرواية التعيسة.

عاشراً: هل كان الصحابة يعتقدون أنَّ الذي أوقف الناس هي عائشة وليس رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ وتصريحهم ضمنياً بتأثيرها في قرارات رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وتصويره منفذاً لرغباتها حتى لو كانت على حساب بقية المسلمين.

ولا بُدَّ من التعريج على رواية أُخرى ملفقة لعائشة حول إفكها المزعوم وعقد الجزع الذي فقدته وهي تقضي شأناً لها في سفرة أُخرى، غير أنَّ الخلاف بينهما تمثل في انتشار خبر فقد العقد في الرواية الآنفة الذكر، وطلب النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلم من الناس التماسه، وتكتم عائشة عن العقد الثاني حتى تستقيم تمثيلية الإفك، وتطول مدّة بحثها بحيث ينساها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وينصرف الناس عنها، وفي الرواية نقل طريف للهودج لم يجد خيال بمثله، فقد نقل الهودج وفي اعتقاد الناقلين أنَّ في وسطه عائشة، فلم يتفطنوا إلى عدم وجودها نظراً لخفة وزنها كما بررت هي خفة نساء ذلك العصر، وهل سمعتم بهودج يركب على الجمل والراكبة فيه؟ أين يمكنها أنْ تضع قدميها؟ أم أنَّها ستتعلق بعصي الهودج كالقرود؟ لا أعتقد واضع الرواية هذه إلَّا من سكان الحضر الذين لا يعرفون شيئاً عن

الهودج، لذلك تصور أنَّه يركب وحده، ثمّ تركب فيه المرأة ثم ينقل على الجمل.

وحتى لا نستغرق طويلاً في ترهة مثل هذه نقول:

إنَّ قلب الحقائق عند المنافقين طال كثيراً من الأشياء المتصلة بمحيط النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فالإفك الذي وقع على مارية القبطية، اختلقوا له رواية العقد الضائع لعائشة حتى يحلوها محلّ مارية في الإفك، وأين مارية من عائشة؟ لقد نقل مسلم عن أنس: (إنَّ رجلاً كان يتهم بأُمِّ ولد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم)(٧).

لم تذكر الرواية اسم مارية، ولا الرجل الذي اتهم، ولا من اتهمه، وبعودتنا لوقائع الحادثة، من الجانب الذي أهمله الذين قلبوا الحقائق، نكتشف أنَّ أُمَّ الولد هي مارية القبطية، وأنَّ الرجل هو العبد الذي جيء به معها، هدية من المقوقس، إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، أمَّا من ذلك الذي أشعل الإفك، فعائشة هي التي طعنت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، في نسبة إبراهيم عليه السلام إليه، قائلة إنَّه لا يشبهه، بل يشبه فلاناً، تعني به العبد، بدافع الغيرة العمياء التي تأصلت في نفسها، واشتعلت كلّما سمعت بولادة تهم النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهي العاقر التي لا تلد.

---

(٧): صحيح مسلم كتاب التوبة باب براءة حرم النبيِّ ح ٢٧٧١.

ولم يعد بناءً على ذلك، للعقدين شأن، وللروايتين قيمة، فالأول بطل بنزول آية الوضوء والتيمم معاً بلا فاصل، والثاني افتضح أمره بتهافت الرواية، واستغراقها في الكذب المفضوح.

٤٠- الحديث الأربعون:

أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم شغل عنها يعني صلاة العشاء، فأخرها حتى رقدنا في المسجد، ثمّ استيقظنا ثمّ رقدنا ثمّ استيقظنا ثمّ خرج علينا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال: ليس أحد من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم[٨].

والرواية تتعارض مع شريعة الإسلام السمحة قرآناً وسنة صحيحة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾. وفي السنة المطهرة كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يحث دائماً على تعاهد الصلاة، والحرص على أدائها في أول وقتها، وكان يقول لبلال: «**أرحنا بها يا بلال**».

والصلاة لها وقتان، وقت اختياري بدخول أول وقت الصلاة وهو وقت

(٨): صحيح مسلم ج٣ص٢٣.

المعصومين والعارفين والمؤمنين، ووقت إجباري بما يتسع لأدائها وهو وقت الغافلين والمحرومين، ومن غلبهم حبُّ الدنيا، ويكون الأجر في الأداء متناقصاً فيكون كاملاً في أول الوقت.

وحرص النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم على أداء صلواته في أول وقتها مما هو معلوم بالضرورة عنه، وحثَّ المسلمين على ذلك ممَّا جاء في الأثر عنه، وفي هذه الرواية ما ينافي ذلك كلَّه، بحيث نسبت انشغاله عن صلاة العشاء الأمر الذي أدّى إلى تأخيرها حتى رقد من في المسجد، ثمّ استيقظوا ثمّ رقدوا ثمَّ استيقظوا، وبحساب زمني بسيط، يتبين لنا من خلال انتظار الناس للصلاة من أول وقتها، إلى استفاقتهم من رقادهم الثاني، أنَّ الصلاة خرجت عن وقتها الإجباري، فأصبحت قضاءً على كلِّ من في المسجد، ناسبة التقصير لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، واستخفافه بالناس، وتركهم ينتظرون زمناً طويلاً، ليخرج إليهم في النهاية، بقول لا يبرر تأخيره، وهو الذي بابه قبلة يفتح على المسجد مباشرة، حاشا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أنْ يفعل ذلك.

الملفت للنظر في هذه الرواية، طريقة رقاد الصحابة الجماعي، كأنَّما شربوا مخدراً، أو تحولوا إلى آلات تشتغل معاً وتتوقف معاً، ووداعتهم غير المعهودة مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وفيهم من كان يحصب بابه بالحصباء، ليخرجه

إلى صلاة النافلة في شهر رمضان، فقد أخرج مسلم ما يلي: احتجر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حجيرة بخصفة أو حصير، يصلِّي فيها فتتبع إليه رجال يصلون بصلاته، قال ثمَّ جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم عنهم قال فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم مغضباً فقال: مازال بكم صنيعكم حتى ظننت أنَّه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإنَّ خير صلاة المرء في بيته إلَّا المكتوبة(٩).

ولو افترضنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم شُغِلَ عن إمامة الصلاة، فإنَّه حتماً سيبادر إلى تعيين من يقوم مقامه فيها، كما كان يفعل كلَّما اقتضى الأمر، أو فلنجاري هؤلاء في بعض دعاويهم، فنقول لهم لماذا لا يقدم الصحابة أحداً يصلِّي بهم طالما لم يخرج إليهم؟ وقد كانوا قدموا على ما في مختلقاتهم ابن أبي قحافة، وسيأتي بعد هذه الرواية، كيف أنَّ هؤلاء قد تركوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ذهب للوضوء، فقدموا عبد الرحمن بن عوف للصلاة، ولم ينتظروه رغم علمهم بأنَّه ذهب ليقضي حاجته.

٤١- الحديث الحادي والاربعون:

---

(٩): مسلم ج٢ ص١٨٨ باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة، في حديث له عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: إنَّه غزا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم تبوك، فتبرز رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قبل الغائط، فحملت معه إداوة قبل صلاة الفجر، فلمَّا رجع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم إليَّ، أخذت أهريق على يديه من الإداوة، وغسل يديه من الإداوة، وغسل يديه ثلاث مرات ثمَّ ذهب يخرج جبته عن ذراعيه، فضاق كُمّا جبته، فأدخل يديه في الجبة، حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة، وغسل ذراعيه إلى المرفقين، ثمّ توضأ على خفيه، ثمّ أقبل، قال المغيرة: فأقبلت معه حتى نجد الناس، قد قدموا عبد الرحمن بن عوف، فصلَّى لهم، فأدرك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم إحدى ركعتين، فصلَّى مع الناس الركعة الآخرة، فلمّا سلم عبد الرحمن بن عوف، قام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلمّا قضى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم صلاته، قال أحسنتم أو قال أصبتم، يغبطهم أنْ صلوا الصلاة لوقتها[١٠].

لم يكن المغيرة بن شعبة ذا شأن يذكر مذ أسلم، وباعتباره أُموياً دخل الدين

(١٠): مسلم كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلِّي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة التقديم، حديث٦٤٠.

على غرة اقترفها فاراً من القتل، فحاول أنْ يجد لنفسه موقعاً بين المتربصين بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم فلم يجد غير إداوة الماء التي تتبع بها النبيّ على ما في الرواية، وهل كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم محتاجاً إلى من يحمل معه طهوره، وهو الذي يحثّ على عدم الاستعانة في الطهارة إلَّا لضرورة لا تحتمل غيرها، وإنْ كان لا بُدَّ من أنْ يحمل أحد للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إداوته، فإنَّ المغيرة بن شعبة سيكون آخر من يطلب منه ذلك، لأنَّه وبكلِّ بساطة لن يجد مكاناً بين خلص المؤمنين الحافين برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم.

لست أدري السبب الذي دفع المسلمين وهم في غزوة ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بينهم، إلى ترك قائدهم ونبيهم ينصرف للوضوء استعداداً للصلاة، فيقدمون عبد الرحمن بن عوف بدلاً عنه، مهما طالت غيبته، وكم من الوقت يستهلك الوضوء والطهارة حتى يعدل الناس عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وعملية الاستبدال تلك هي تمرد وانقلاب، واستخفاف بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إنْ صحت الرواية، لا يرتضيها ولا يقبلها المؤمنون الذين رافقوه، أمّا الادعاء بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم صلَّى خلف عبد الرحمن فهذا لا يصح، لأنَّه لم يؤثر عنه أنَّه صلَّى خلف أحد، نبياً مرسلاً كان أو ملكاً مقرباً، بل ثبت أنَّه أَمَّ الأنبياء كلَّهم في بيت المقدس، وما معهم من ملائكة، فكيف يتجرأ أحد يدّعي

الإسلام وحبَّ النبيِّ ومعرفة مقامه عند الله بالقول إنَّه صلَّى خلف أحد بدون موجب؟ لأنَّ المسألة ليست من متعلقات التواضع بقدر ما هي تطبيق لشرائط الإمامة.

قد نصدق أحداً غير المغيرة بن شعبة لو كان راوياً لهذه المتناقضات، ولكن لما كان هو الراوي وجب علينا ذكر السبب الذي دفعنا إلى التحفظ على كلِّ ما يصدر منه، فقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي عنه قائلاً: كان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة. كان صحب قوماً في بعض الطرق فاستغفلهم وهم نيام فقتلهم، وأخذ أموالهم، وهرب خوفاً أنْ يُلحق فيُقتل أو يؤخذ ما فاز به من أموال، فقدم المدينة وأظهر الإسلام وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يرد على أحد إسلامه، فمن كان إسلامه على هذا الوجه وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به من لعن عليٍّ عليه السلام على المنابر إلى أنْ مات على هذا الفعل، وكان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والفرج سؤلهما، وممالأة الفاسقين، وصرف الوقت من غير طاعة لله، لذلك فإنَّ رواية الصلاة تلك لا تصح سنداً لمحل المغيرة، ولا متناً لتعارضها مع أحكام الفقه وعرف المسلمين في القدوة والاقتداء، ومع العقل لاستحالة ذلك التقديم اللهم إلَّا إذا كانت هناك مؤامرة حيكت ضدَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ولم تكتمل فصولها. وصادفت غزوة

تبوك التي جاء فيها أنَّ المنافقين تآمروا على قتل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، في أول فرصة تتاح لهم وهو ما حصل في العقبة عندما دحرج الدباب على ناقته لتنفيرها وإسقاطه منها، في محاولة لقتله.

أغرب من ذلك الباب الذي أخرج فيه مسلم الرواية حيث عنونها كالتالي: باب تقديم الجماعة من يصلِّي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة في التقديم. وأيُّ مفسدة أكبر من ترك النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يذهب لقضاء حاجته وليتوضأ، فيقدم عليه تحت أيِّ تبرير.. فتأمل.

٤٢- الحديث الثاني والأربعون:

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أُقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً، فخرج إلينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فلمّا قام في مصلاه ذكر أنَّه جنب، فقال لنا: مكانكم ثمّ رجع فاغتسل ثمّ خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبّر فصلينا معه[11].

سبق أنْ ذكرنا أبا هريرة، من جهة السند المتصل بالرواية، في موضع آخر، وأشرنا إلى طرف من أحواله، رغم القائلين بعدالته وعدالة جميع الصحابة، مخالفة

(١١): صحيح البخاري كتاب الغسل باب إذا ذكر في المسجد أنّه جنب ح ٢٧١ / مسند أحمد ج ص ٢ ص٥١٨ / صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب متى يقوم الناس للصلاة ح ٩٩٣.

لله تعالى ولرسوله، في تنزيههم من سوء الأفعال والسرائر، وفيهم من كذب عليه، فأكثروا في ذلك، حتى نبه إلى خطورة أقاويلهم، لكنَّ المنافقين منهم لم يكونوا ليأبهوا بكلِّ ذلك، ولا أنْ يظهروا ندماً على ما قاموا به، فنزل في هؤلاء الصحابة ما نزل من آيات فاضحة، تعددت في كلِّ حركة تصدر منهم، أمّا الصحابة الذين لم يكونوا من ذلك الحزب، وانضموا إليه بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فشأنهم شأن آخر، لذلك يمكن القول إنَّ الصحابة ليسوا كلّهم ذوي مكانة عند الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولم يأتِ في كتاب الله ما يفيد عدالتهم، وإنَّما كان الخطاب خاصاً ومحصوراً في فئة منهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾(١٢).

وقال أيضاً: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(١٣).

---

(١٢): سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(١٣): سورة الفتح الآية ٢٩.

وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(١٤).

أدلة على عدم عدالتهم جميعاً، فالآية الأُولى تحدثت عن الوعد الإلهي بالمغفرة والأجر لعدد من الذين مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كان بدليل (منهم) وهنا لا بُدَّ لي من أنْ أُورد سؤالاً مفاده: هل كان الصحابة كلُّهم مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، في كلِّ المواطن يداً واحدة؟ الجواب طبعاً يأتي بالنفي، فالمتدبر لآيات القرآن الكريم، والذي لم يمرّ عليها لا أصماً ولا أعمى، يرى أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم كان وحده في غار ثور، رغم أنَّه كان مرفوقاً، بدليل أنَّ السكينة نزلت عليه وحده، وكان صاحبه خارجاً منها، وفي حُنين وأُحد، كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في عدد قليل من المؤمنين، يستميتون في الدفاع عن دين الله، فأنزل سكينته عليهم، وخرج منها الفارون بجلودهم.

أمَّا السنة المطهرة الصحيحة، فإنَّ المتأمل في أحاديث الحوض، يعلم بما لا يدع مجالاً للشك، أنَّ عدالة جميع الصحابة، تلفيق من الظلمة وأعداء الإسلام الحق، افتُعلت مقابل عصمة أهل البيت عليهم السلام، لتشكل حيالهم منظومة السلطة الغاشمة والإسلام الملفق، ومن شاء الاطلاع على أحاديث الحوض، فليعد إليها في

(١٤): سورة الفتح الآية ١٨.

كلِّ الكتب الروائية بما فيها البخاري ومسلم.

أمَّا من حيث المتن، فإنَّ شخصية الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم ووظيفته، تتعارضان مع تلك الحركة، التي لا تصدر عن عامة الناس، فضلاً عن الأنبياء والعلماء.

لقد جاءت هذه الرواية لتضع خاتم الأنبياء صلَّى الله عليه وآله وسلم في وضع عجيب وغريب، يتقدم للصلاة بالناس وهو جنب ساهٍ، ثمّ يتذكر بعد أنْ اصطف الناس، فيشير إليهم بانتظاره، فيذهب ليغتسل، ثمّ يعود إليهم فيصلي بهم، أسأل هنا عن الذين تعودوا تقديم أحد على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، لماذا لم يقدموا أصحابهم، ووقت الغسل أطول من التخلي والوضوء؟ ألا ترون أنَّها مهزلة؟

هكذا صوروا نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، كما صور أهل الملل المحرفة أنبياءهم، ألم يكن رسول الله مؤيداً ومسدداً من قبل البارئ تعالى، حتى يكون النموذج المجسد للشريعة السمحة، والمثال المحتذى للإنسان الكامل؟ ألم يكن نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم مأموراً بالطهارة الدائمة، تحسباً لنزول الوحي في أيِّ لحظة؟ ألا يستحي واضع هذه الرواية وناقلها من الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله

وسلم، وهو ينقل عنه ما لا يتصوره حتى الشيطان نفسه، لكنِّي ماذا أقول فيمن خانتهم ضحالة علومهم، وكانت الدنيا أكبر همهم، فجاءوا ببلايا استفرغتها عقولهم البائسة، ليجعلوها ميزة كتبهم وعلامة تدينهم، أأقول تباً أم أقول تعساً؟ لكنِّي أقول حسبنا الله ونعم الوكيل.

٤٣- الحديث الثالث والأربعون:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت: إنِّي لم أُخلق لهذا، ولكنِّي خلقت للحرث. فقال الناس سبحان الله. تعجباً وفزعاً: أ بقرة تتكلم؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: فإنِّي أؤمن به وأبو بكر وعمر. قال أبو هريرة: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بينما راعٍ في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راعٍ غيري. فقال سبحان الله، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فإنِّي أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر(١٥) .

---

(١٥): صحيح البخاري كتاب المزارعة باب استعمال البقر للحراثة حديث ٢١٥٦.

أردت من خلال هذه الرواية التدليل على الحالة التي وصلت إليها سنة الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم، عند من سماهم الظلمة بها، ونسبوهم إليها ليقطعوا على الناس وجهتهم، ويوهموهم أنَّ الإسلام بكلِّ تفاصيله عند الصحابة، ومن اتخذهم مرجعاً فإنَّه قد هدي إلى الحق، لذلك فإنَّك كلَّما تقدمت في البحث بين رواياتهم المنسوبة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، تزايدت قناعتك بأنَّ المقام الذي أنت فيه بعيد كلَّ البعد عن العلم، وعلى طرفي نقيض مع العقل، ويمجه المنطق السليم، همُّ هؤلاء الوحيد حشر أسماء ابن أبي قحافة وابن الخطاب، ومن بعدهم يأتي عثمان، ثمّ يستوي الناس كما قال ابن عمر، عندما سئل عن أفضل الصحابة، ولا أرى فيها غير بصمات معاوية ابن آكلة الأكباد، الذي أراد أنْ يجعل بين أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وبين الناس حاجزاً، أسس بنيانه الهار، ودسَّ فيه من الكذب، ما جعله يستطيل ويكبر عند السذج والبسطاء، ليس هذا الكلام من استنتاجي، وإنَّما هو إقرار المؤرخين كالطبري في تاريخه، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة، نقلاً عن بعض المصادر.

نعم أؤمن بجميع معاجز النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، كتسبيح الحصى بين يديه، وتكليم الضبية، وإطاعة الشجرة، وانشقاق القمر له، وغير ذلك من براهين النبوة ومعاجز البعثة، وآيات الدلالة على إرساله من طرف خالقه تعالى، أمّا أنْ

تكلم البقرة رجلاً، كلاماً تافهاً لا معنى له، وأنْ يخاطب ذئب راعياً، بعدما افتك منه شاته، فليس في ذلك دعم للإعجاز النبوي، ولا فيه رشح من علم يفيد الناس، ولا جاءنا ما يفيد وقوع مثل هذه الغرائب في أيِّ عصر، اللهم إلَّا إذا كان المخاطب نبياً، يفهم لغة الحيوان، أمّا أنْ يتكلم حيوان بلغة القرآن، فهذا ما لم يقل به إنسان عاقل، ولا علاقة له بالدين إطلاقاً، مضافاً إلى أنَّ السنن الإلهية، اقتضت أنْ لا يفهم الناس منطق الحيوان عدا المرسلين، تأييداً لهم وخرقاً للعادة الكونية، التي تقتضي عدم معرفة الإنسان لمنطق الحيوان والعكس بالعكس.

أمّا أنْ يتطابق إيمان الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم بإيمان أبي بكر وعمر، فذلك ممّا لا حجة لواردها، بل جاء القرآن والأحاديث الصحيحة ليقولا عكس ذلك، وقد أخرج البخاري في الأيمان والنذور، عن عمر قوله لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله لأنت أحبّ إليّ من كلِّ شيء إلَّا من نفسي فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك فقال له عمر: فإنَّه الآن والله لأنت أحبّ إليَّ من نفسي. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم: الآن يا عمر؟[١٦]، وجواب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بعد استدراك

(١٦): صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبيِّ ج٦ ح٦٢٥٧ .

عمر، تعجّب ولوم، لأنَّ الحبَّ لا يستدرك بكلام وإنَّما بعاطفة صادقة معبرة عن سريرة المحب، وقد كشفت سيرة الرجل استخفافاً وتطاولاً على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لم يسبقه إليه أحد، فكان الفائز دائماً في الجرأة عليه، اعتقاداً منه بأنَّه أفضل من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهي دلالة على عدم الإيمان بشخص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ومقامه العالي، أمّا الذين أوّلوا آخر الرواية على معنى: أنَّه الآن كمل إيمانك، فلا يفيد في شيء، لأنَّ الحبَّ ليس سحراً، ولا آلة تركب وتنزع كيفما شاء، بل إنَّ الأمر يحتاج إلى تربية وتوطين نفس.

والرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يقاس به أحد كائناً من كان، فكيف بقاتل النفس البشرية بلا ذنب (الموءودة) وعابد الحلوى حيناً، وآكلها حيناً آخر إذا جاع، وكلُّ إناء بما فيه يرشح.

أنا لا أستغرب من واقعنا الإسلامي اليوم كيف أصبح؟ وفي أيِّ موضع تردى؟ وأنا أتعثر وسط شائكة هذه الروايات، التي لا تزيد العقل البشرى، إلَّا جموداً وانغلاقاً على الخرافة وتشبثاً بالخيال، وخيال العرب خصب كما يقولون.

٤٤- الحديث الرابع والأربعون:

أخرج مسلم عن عائشة زوج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم حدثت أنَّ

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء، فرأى ما أصنع، فقال ما لكِ يا عائشة أغرت؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: لقد جاءك شيطانك، قلت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كلِّ إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك؟ قال: نعم، ولكنّ ربِّي أعانني عليه حتى أسلم(١٧).

وأنا أقول، أخي المسلم، إن اعترضتك رواية في سندها واحد من أبناء الزبير وخالتهم، فاحذر من مضمونها، لأنَّك لن تجد في معظمها غير البهتان، بل لن تجد فيها ما يوحي إلى الدين في شيء، وهذه الرواية لم تخالف القاعدة، لأنَّها جاءت لتطعن العصمة في الصميم، وترد على القرآن العظيم، وإلَّا فأيُّ شيطان يقترن برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ وأيُّ شيطان يمكن أنْ يسلم منذ آدم حتى يوم القيامة؟ ولئن صحَّ من الرواية شيء، فإنَّه لا يصحُّ منها سوى أنَّ عائشة امرأة غيراء، لها شيطان لم يسلم، وهو الذي أوعز لها بُغض الأطهار من أهل بيت النبوة عليهم السلام، إلى درجة محاربتهم، والفرح في أحزانهم، والحزن في أفراحهم، وما علامة النفاق التي حدث عنها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم إلَّا بغضهم،

---

(١٧): مسلم كتاب صفة القيامة حديث ٥٠٢٠ –مسند أحمد ح٢٣٧٠٥ باقي مسند الأنصار.

وما علامة الإيمان إلَّا حبهم ومودتهم وموالاتهم، وما عدا ذلك فهو تلفيق وبهتان.

٤٥- الحديث الخامس والأربعون:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: ليس أحد منكم ينجيه عمله. قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلَّا أن يتغمدني الله منه بمغفرة ورحمة(١٨).

٤٦- الحديث السادس والأربعون:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم حين أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله فإنِّي لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أُغني عنكِ من الله شيئاً(١٩).

بنظرة سريعة في سند الرواية السادسة والأربعين، نلاحظ فيها انقطاعاً بين

---

(١٨): صحيح مسلم ح٥٠٣٦ كتاب صفة القيامة/ صحيح البخاري ح٦٥٠٠ كتاب التعبير.

(١٩): صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن حديث ٤٣٩٨/ سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن ح٣١٠٨/ سنن النسائي تفسير القرآن ح٣٥٨٦ / مسند أحمد باقي مسند المكثرين ح٨٣٧٣.

أبي هريرة ومن لقف منه، فأبو هريرة كما هو معلوم، لم يظهر بين المسلمين إلَّا بعد فتح خيبر، وشتان ما بين أول الدعوة، وما بين فتح خيبر، إضافة إلى أنَّ المعنى اللفظي للرواية، لا يشير إلى أنَّ أبا هريرة حدثه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم مباشرة؛ لذلك فإنَّ الرواية لا تصح من هاذين الوجهين.

أمّا من حيث المتن، فالروايتان لا تستقيمان لأسباب هي:

أولاً: في مضمون الرواية الأُولى، دعوة إلى إبطال جدوى العمل، وفلسفة الوجود بأسره، من أنَّ الإنسان خُلق ليعمل من أجل تحصيل الزاد، الذي يؤهل لمقام أفضل في الحياة القادمة، والاستعداد للرحيل بأخف الأوزار والتبعات، وقد جاءت رسل الرحمن لتؤكد على أنَّ العمل الصالح، هو وسيلتنا إلى الله تعالى، فلا يقربنا منه سواه، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[٢٠]. وقال أيضاً: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾[٢١]. وقال كذلك: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾[٢٢].

---

(٢٠): سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٢١): سورة الأنبياء الآية ٩٤.

(٢٢): سورة الزلزلة الآية ٧.

ثانياً: تشكيك الرواية بمقام الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم وعمله، بما يتعارض مع القرآن الكريم، دافعة إلى الاعتقاد الخاطئ، بأنَّ هذا الوجود بأسره في غاية الإبهام، وشرائع الله تعالى في منتهى الغموض، بحيث أشكل الأمر حتى على رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم.

أمَّا بالنسبة للرواية الثانية، فإنَّه لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم مكلفاً، بأنْ يدعو الذين كان يتوسم فيهم خيراً من أهله، من بني عبد المطلب خصوصاً، وبني هاشم عموماً من ناحية، ولأنَّ الإنذار جاء في فترة دعوته السرية، التي تتعارض مع كلِّ مظهر للدعوة العلنية، كما جاءت به الرواية من ناحية أُخرى، ولأنَّ الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم أغنى في توجه الأنبياء السابقين به إلى الله تعالى، وتقربهم وتوسلهم به إليه، ويغني في التماسنا شفاعته يوم القيامة، ويغني الآن في التوجه به إلى الله تعالى لقضاء حوائجنا للدنيا والآخرة، وهو حيٌّ عند ربِّه يسمع ويجيب ويتوسط، وكذلك بقية عترته، من الذين نزلت فيهم آية التطهير، كالإمام عليٍّ عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والسادة النجباء من ذريتهما عليهم أفضل صلاة وأزكى تسليم، وجعلنا في زمرتهم وتحت لوائهم في الدنيا والآخرة.

ومعارضة هذه الرواية، بما أخرجه في كتابه عن العباس قال: قلت يا رسول

الله إنَّ أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال: نعم(٢٣).

فكيف تتفق الروايات، وهي متناقضة بهذا الشكل؟...

على أنَّ الإنذار الصحيح، وقع عندما دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، أربعين رجلاً من قرابته القريبة، وصنع لهم طعاماً لا يكفي عدد أصابع اليد الواحدة... فأكلوا منه كلّهم حتى شبعوا، دون أنْ ينقص الطعام شيئاً... ثمَّ قام فيهم خطيباً وقال: يا بني عبد المطلب إنِّي والله ما أعلم شاباً من العرب، جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أنْ أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على أمري هذا، يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي؟ فأحجم القوم عنها غير عليٍّ -وكان أصغرهم- إذ قام فقال: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله برقبته وقال: إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أنْ تسمع لابنك وتطيع(٢٤).

غير أنَّ يد التحريف الغبية قد طالت بعض ألفاظ الرواية، بدافع الحسد

(٢٣): البخاري كتاب المناقب ح٣٥٩٤، كتاب الأدب ح٥٧٤٠.

(٢٤): تفسير الطبري ج١٩ ص١٢١.

والبغض، فحذف من قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي. واستبدلت بأخي وكذا وكذا(٢٥).

٤٧ – الحديث السابع والأربعون:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٢٦).

الرواية باطلة سنداً، ففيها حرملة بن يحيى، قال الذهبي: لكثرة ما انفرد بغرائب، قال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال ابن عدي: سألت عبد الله بن محمد الفهرواني أنْ يملي عليَّ شيئاً عن حرملة فقال: هو ضعيف. وفيه أيضاً يونس بن زيد الأيلي: قال ابن سعد: ليس بحجة، وقال وكيع: سيئ الحفظ، واستنكر له أحمد أحاديث، وقال الأثرم ضعف أحمد أمر يونس. أمَّا ابن شهاب الزهري، فقد أتينا على ذكره، في ما تقدم من بحث في الروايات التي مضت(٢٧).

---

(٢٥): تاريخ الطبري ج٢ص٣١٩.

(٢٦): صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ح٣١٢١.

(٢٧): ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ترجمة حرملة بن يحيى.

هذا من حيث السند، أمَّا من حيث المتن فيتواصل هدم شخصية الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم بمفتريات التشكيك، وبشتى وسائل الكذب والتلفيق، وهؤلاء القوم من خلال صنيعهم ذلك يريدون هدم الدين كلِّه، بحيث لا تكون فيه لبنة ثابتة، أو ركيزة صحيحة.

وإذا ما تمّ ذلك فلن تقوم له ولمعتنقيه قائمة، طالما أنَّهم مستمسكون بحبال واهية، وتصورات هي للخيال أقرب، حيث لم تبق معرة يمكنهم أن ينسبوها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم إلَّا قذفوه بها، اعترافاً منهم بجميل ما أداه، وجسيم ما عاناه، وما هكذا يكون الجزاء عند الكرماء، وإنَّما من اللؤم جاءوا بهذه الرواية المشككة بإيمان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، في محاولة منهم لفتح باب الشك على الأُمَّة، في ثوابتها ومعتقداتها التي لا يرقى إليها شك، طالما أنَّ سيد الخلق صلَّى الله عليه وآله وسلم من الشاكّين في قدرة الله تعالى ووجوده. وكدليل على صحة رواياتهم واستناداً لدعواها الواهية، فجاءوا بآيات القرآنية، وحملوها على غير محملها، دون الرجوع إلى أهل الذكر، الذين هم عندهم علم الكتاب، من أهل بيت خاتم المرسلين، الذين أذهب عنهم البارئ الرجس وطهرهم تطهيراً صلَّى الله عليهم وسلم.

لقد أتيت على ذكر الآية وتفسيرها، في الحديث الذي أخرجته عن الإمام عليٍّ

بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، بخصوص عصمة الأنبياء عليهم السلام، فعد إليه تجد فيه ضالتك، وتشفي منه غليلك، وتروي ظماك من لظى المشككين ورمضاء المبطلين، وقحط المتنكبين عن صراط الطاهرين، والصادقين من ذرية المصطفى، وبضعته الزهراء، وصنوه المرتضى عليهم أفضل صلاة وأزكى تسليم.

ولإبراهيم وموسى عليهما السلام نصيب

٤٨- الحديث الثامن والأربعون:

أخرج مسلم والبخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فقال له: أجب ربَّك. قال فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنَّك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني. قال فردَّ الله إليه عينه.. إلى آخر الرواية[٢٨].

٤٩- الحديث التاسع والأربعون:

أخرج مسلم والبخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله

(٢٨): البخاري ج٢ص٩٠ كتاب الجنائز وج٢ص١٥٧ كتاب بدء الخلق باب وفاة موسى.

وسلم قال: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أنْ يغتسل معنا إلَّا أنَّه آدر (عظيم الخصيتين) قال فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففرّ الحجر بثوبه. قال فجمع موسى بأثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى وقف على ملأ من بني إسرائيل ونزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾[1].

٥٠- الحديث الخمسون:

أخرج البخاري عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال: لم يكذب إبراهيم النبيُّ عليه السلام قط، إلَّا ثلاث كذبات، اثنتين في ذات الله، قوله إنِّي سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة إلى آخر الرواية[2].

٥١- الحديث الحادي والخمسون:

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: اختتن إبراهيم النبيُّ عليه السلام، وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم[3].

---

(١): صحيح البخاري ج٤ ص١٥٦ / صحيح مسلم ج٧ص٩٩ باب فضائل موسى.

(٢): البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ح٣١٧٩.

(٣): صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ح ٣٢٠٤.

كما كنت أشرت في معرض حديثي عن الأنبياء عليهم السلام، عند مناقشة الرواية الأُولى، أنقل في خاتمة هذه الدراسة أربع روايات، ما كان لها أنْ تدوّن في كتب احتلت مقام المرجعية عند السواد الأعظم من المسلمين، فتلطخت بها صفحاتها، لكنَّ العيب كلَّ العيب، أُلقيه على من أخذها بعين الاعتبار، وأفرد لها في كتبه الروائية أبواباً، وعدَّها من فضائل ما خصَّ الأنبياء عليهم السلام، كأنَّما اختلطت على هؤلاء معاني الفضيلة والرذيلة، والمنقبة والمعرة، وانعدم ذوقهم فما عادوا يميزون بين القبيح والحسن شيئاً.

ففي الرواية الثامنة والأربعين:

نسب أبو هريرة أضغاث أحلامه، أو خرافات صاحبه اليهودي كعب الأحبار إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فأين كلامه المتصف بالبلاغة والحكمة، من هذا الهذر الذي لا قيمة له؟

لكنِّي قبل أنْ أُناقش متن الرواية، لا بُدَّ لي من نقل خلاصة شرح علمائهم لها:

قال النووي: لهذا الحديث مناقشات لبعض الملاحدة، وأجوبة عديدة وتوجيهات للعلماء، وجملة ذلك ما ذكر في القسطلاني حيث قال: أرسل ملك الموت

إلى موسى في صورة آدمي، اختباراً وابتلاءً، كابتلاء الخليل بالأمر بذبح ابنه، فلمّا جاءه ظنه آدمياً حقيقة، تسور عليه منزله بغير إذنه ليوقع به مكروهاً، فلمّا تصور ذلك صكه، أي لطمه على عينه، التي ركبت في الصورة البشرية، التي جاء فيها، دون الصورة الملكية، ففقأها، كما صرح به مسلم في روايته، ويدلُّ عليه قوله الآتي هنا فردّ عزَّ وجلَّ عليه عينه(١).

انظر هداك الله إلى رضاه، كيف يمعن هؤلاء في غيهم فيؤولون الخرافة، على أنَّها كلام مقدس، تهيّباً من الإصداع بتكذيب الباطل، كي لا تسقط مذاهبهم كورق الخريف، بعد أنْ تلبّدتها أدخنة الكذب والخرافة، التي لا تمت إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، إلَّا بقدر الروايات الصحيحة التي ضمنوها كتبهم ورواتها من شيعة الأئمة الأطهار عليهم السلام وعددهم يناهز المائة، ولولا هؤلاء الأخيار لانقلبت محتويات هذه الصحاح، إلى نوادر وخرافات، من وحي خيال العابثين بالدين، من قصاصين ومستمعيهم.

ولمناقشة الرواية نقول:

أولاً: من المسلَّمات الاعتقاد بأنَّ الملائكة عموماً، وملك الموت خصوصاً،

---

(١): صحيح مسلم باب فضائل موسى الهامش للنووي.

معصومون من كلِّ خلل وخطأ ونقيصة. قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١).

فإذا أُرسل أحدهم في مهمة، فإنَّه لا يتأخر عنها، ويؤديها كما يريد المولى سبحانه وتعالى منه، وملك الموت عندما يجد مكتوباً عنده، أنَّ موسى عليه السلام جاء أجله، فإنَّه لا يتردد في إنفاذ أمر الله فيه.

ثانياً: ليس في الرواية ما يوحي، بأنَّ ملك الموت أُرسل في صورة آدمي، كما يبرر ذلك النووي، وهو عذر أقبح من ذنب واضع الرواية، لكن ومجاراة في تبريره، نقول على افتراض أنَّ ملك الموت جاء إلى موسى في صورة آدمي، فهل في ذلك ما يخرجه عن صفته الملائكية، وينزع عنه وظيفته؟ إذا كان للجن قدرة عجيبة وخارقة، على التشكل بأيِّ صورة يريدون، فإنَّ للملائكة قدرات أكبر، ولا يغير ذلك من صفاتهم ولا قدراتهم، ولا يمكن لبشر أنْ يصلهم بأذى مهما كان، تماماً كالبشر إذا تنكر وتخفى في لباس لا يعرف به عادة، هل ينقص منه ذلك اللباس شيئاً؟ فجبريل مثلاً جاء إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في صورة دحية الكلبي، لكنَّ ذلك لم يمنعه من أداء دوره.

---

(١): سورة التحريم الآية ٦.

ثالثاً: لكلِّ أجل كتاب، فكيف يتفق ذلك مع الرواية التي تقول، إنَّ ملك الموت عليه السلام لم يستطع قبض روح موسى عليه السلام، والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

رابعاً: جاءت الرواية لتصور لنا موسى على أساس أنَّه جبار باطش بكلِّ ما يتحرك حوله، كأنَّما هو خارج عن ناموس هذا الكون، وذلك يعكس سوء فهم للقرآن أدّى إلى هذا التصور السقيم.

خامساً: إذا نحن سلَّمنا بعملية الضرب، فإنَّنا لا نسلّم بوصول الضربة إلى ملك الموت لأنَّها لا يمكنها أنْ تؤثر في الصورة فضلاً عن الأصل.

سادساً: إذا سلمنا بفقء عين الصورة، فإنَّ قدرة ملك الموت في التشكل، تمكنه أنْ يعيد العين على صورتها، دون الرجوع إلى الله تعالى، وإنْ كان في الأصل فذلك محال، لأنَّه كائن نوراني، لا يمكن لبشر أنْ يصل إليه بسوء.

سابعاً: قول ملك الموت لموسى أجب ربَّك، ليس فيه ما يوحي بالشرّ، ليندفع موسى إلى الضرب، فهل هذا إلَّا من مهازل هؤلاء الجهلة، الذين ضيعوا على كثير من المسلمين أوقاتاً وأعماراً، كان يمكن أنْ توظف في الحق، عوض هذا

---

(١): سورة الأعراف الآية ٣٤.

الباطل الذي اتخذوه ديناً.

أمَّا الرواية التاسعة والأربعون:

فقد جاء فيها هذيان آخر لأبي هريرة، حيث خلط بين الحادثة التي ادّعى وقوعها زمن النبيِّ موسى عليه السلام، وبين الآية القرآنية، التي قال إنَّها نزلت بعد وقوفه عرياناً أمام بني إسرائيل، فكيف يتفق المقصد الرباني، مع الوضعية التي جرَّ إليها النبيُّ عليه السلام جراً؟ ألم تأتِ الشرائع السابقة بأحكام العورة وحدود سترها، ألم يتحدث المولى تعالى عن لباس التقوى؟ أليست تلك من السنن التي لا تتغير ولا تتبدل عبر الزمن؟ وهل تبرئة موسى عليه السلام لا تتمّ إلَّا بهذا الأُسلوب القبيح؟

ثمّ كيف يمكن لحجر أنْ يفرَّ بثياب موسى، إلَّا أنْ يكون مأموراً من قبل البارئ تعالى، وهو ما لا يمكن حصوله، لأنَّ فيه هتك عورة نبيّه عليه السلام، والعورة معلومة الحد، منذ آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ثم إنَّ المولى تعالى غير محتاج إلى طريقة فجة مثل هذه، كي يبرئ نبيه عليه السلام، ممّا أشاعه عليه بنو قومه، علاوة على أنَّ بني إسرائيل على ما في الرواية، كان يمكنهم التجسس على نبيّهم ورؤيته عرياناً، دون الحاجة إلى تدخل المعجزة الإلهية المزعومة لتبرئته، وأذية

موسى وافتضاحه في هذه الحادثة أقرب إلى تبرئته، وبناءً على ذلك تُلحق الرواية بسابقاتها، إلى كناسة الوضع والتلفيق، الذي كان كعب الأحبار يؤلفه، وأبو هريرة يقذفه للناس، زمن حكم طلقاء بني أُميّة.

أمّا الرواية الخمسون:

ففيها نسبة الكذب إلى خليل الرحمن عليه السلام، وهو منزه عن ذلك، لامتناع صدور الذنب عن المعصوم، وكما كنت أشرت سابقاً، وعوداً على بدء أقول: لقد خانت هؤلاء الناس إمكاناتهم العلمية، فانبروا يجمعون الشاذ والغريب والموضوع، فكشف ذلك كلُّه مكنون شخصياتهم، وفضح مستوى عقولهم، وهتك أستار دعاويهم، بأنَّهم من أهل العلم والفضيلة.

لم يكذب خليل الرحمن كما ادّعاه أبو هريرة، ومن ركن إليه واتبعه في غيه وضلالته، بل كان صادقاً في دعاويه الثلاث.

ففي الأُولى: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ليس بالمعنى الذي ذهب إليه هؤلاء، فنسبوه إلى الكذب في دعواه، وإنَّما القصد منه أنَّه مريض من اعتقاداتهم الفاسدة وأعمالهم المنحرفة، كما هو متعارف من استعارات العرب وأمثالها التي لا تكاد تحصى، ناهيك أنَّنا لا نزال نستعمل هذه الاستعارة إلى الآن. كأنْ تكون للمرء صحبة مضجرة

ومقلقة فيتحملها زمناً ولما يضيق به الحال يقول: (مرّضتموني). وهو واقعاً ليس بمريض، فلا يقال له إنَّه كذاب. بل يعرفون أنَّ معنى ذلك متوجه إليهم.

وفي الثانية: قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾ فلو كان إبراهيم يقصد الكذب والمراوغة، لتوقف عند هذا القول، والمتأمل في باقي الآية، يفهم أنَّه عليه السلام تكلم معهم بمنطق استدلالي ذكي، يريد أنْ يفهمهم، أنَّ الأصنام ليست آلهة تعبد دون الله الواحد القهار، لأنَّها لا تملك لأنفسها شيئاً، تماماً كاستدلاله على عبدة الكواكب الثلاثة، وتلك حجة المولى تعالى قد أعطاها لخليله إبراهيم عليه السلام، أمَّا تتمة الآية فهي: ﴿... فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، فدلَّ قوله على أنَّه هو الذي كسر الأصنام، فاتهموه دون أنْ يصدر منهم قول بتكذيبه.

وفي الثالثة: عندما قال عن سارة إنَّها أُخته، فإنَّه عليه السلام لم يكذب، لأنَّها أُخته في الدين، قال ذلك وهو غير منفك عن الوحي، وفي موضع تجب فيه التقية، فأين الكذب إذن؟

أمَّا الرواية الحادية والخمسون:

فقد جاءت لإبراهيم عليه السلام باختتان عجيب، استعمل فيه القدوم، وهو ابن ثمانين سنة، حاول أنْ تتخيل رجلاً يختن نفسه بقادوم، كيف يتم له ذلك، أمّا إذا

تحققت من أنَّ هذه الرواية محض خيال، فاعلم أنَّ الأنبياء عليهم السلام كلّهم يولدون مختونين طاهرين، من كلِّ ما يعتري عامة الناس، وقد أثبت أبو هريرة أنَّه شاذ، لا ينقل إلَّا شاذاً، ثمّ إنَّنا قد نجد لدى عامة الناس، من يولد مختوناً من بطن أُمِّه، وهي حالات تعددت، إلى درجة علم الناس بها، فكيف بصفوة الله تعالى؟

هل تعتقدون أنَّ متعبداً بهذه الروايات، مؤمناً بمحتواها، يأمل في ثواب الله تعالى ويرجو رضى رسوله الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم؟

أليس من العار على معتنقي الديانة الخاتمة، أنْ تتسرب إلى كتبهم المعتمدة في التوحيد والنبوة هذه المفتريات الفاسدة؟

أليس من الحمق والبله أنْ يتعصب متعصب لهذه الخطوط التي تكاثرت، وأصبحت مجلبة العار والجهل والتطرف؟

أليست هذه الروايات ومثيلاتها السبب في إصابة عقول كثيرة بالصدمة والتذبذب، ما أخرجها عن فطرتها ودينها القويم؟

ألم يحن الوقت بعد لأتباع هذه الخطوط المتعرجة أنْ يستفيقوا، ويقتنعوا أنَّ الحق واحد، والدين واحد؟ طاهر نقي لا شائبة عليه ولا لبس فيه، لا يتناقض في أصل ولا فرع، وكلّ ما اعتراه هو صنيع أولياء الشيطان، آنْ الأوان لردِّها ورفضها

جملة وتفصيلاً، ولا يتم ذلك إلَّا بإعادة الحق إلى أهله، وموالاة أصحاب الحق في قيادة الأُمَّة بما استحفظوا عليه من علوم ربانية صافية، وترك من تنكب عن نهجهم يتخبط في ظلمات التجسيم، وغياهب الجهل بالنبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم، وبدع التحريف التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتجاوزات الخطيرة للنصوص، وما استتبعها من تربية فاسدة، وممارسات أفسد منها، أدّت إلى تشويه الصورة النقية للدين المحمدي.

٥٢ – الحديث الثاني والخمسون:

عن ابي هريرة أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: (لقد هممت أنْ آمر بالصلاة فتقام ثمّ آمر رجلاً فيصلِّي بالناس ثمّ انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)(١) .

كيف تتفق هذه الرواية مع السلوك العام الذي عرف به النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألا تعتبر هذه الرغبة المناقضة لبعثته ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾، أمراً يدعو إلى الريبة في صحة صدوره منه؟ ثمّ ألا ينظر إنْ كان ذلك

(١): البخاري كتاب الآذان ح٦٠٨/ ٦١٧ كتاب الخصومات ح٢٢٤٢ كتاب الأحكام ح٦٦٨٣ مسلم ح١٠٤٣ كتاب المساجد ومواضع الصلاة – الترمذي ح٢٠١ كتاب الصلاة – أحمد ح٣٦٢٥ وح ٣٨٠٥ وح ٤١٦٦ وح ٩٧٢٠ كتاب المكثرين من الصحابة.

الأمر واجباً فلماذا لم يقدم عليه؟ وما هو المانع الذي ألجأه في النهاية إلى العدول عنه؟

تحريق بيوت المسلمين بمن فيها من صغار وكبار وعجزة، وحيوانات أهلية قد يطالها الأذى أو الموت حرقاً، لا يمكن لعاقل أنْ ينسبه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، باعتبار أنّ سيرته كانت مخالفة تماماً للعنف وقالية للتطرف، ومنابذة للحرق، بل كان يدعو دائماً للوسطية والعفو والتجاوز، ولقد بال أعرابي في المسجد فثار إليه الناس ليوقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه، وأهرقوا على بوله ذنوباً من ماء أو سجلاً من ماء، فإنَّما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين(٢).

وما قصة مسجد ضرار ببعيدة عن المقارنة، فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أمر فقط أنْ يهدم المسجد، الذي أسسه المنافقون لغاية تفريق المسلمين من حول رسول الله، ورغم خطورة المؤامرة، فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لم يتخذ بشأنهم موقفاً متطرفاً، ولا أمر بقتل صاحب فكرة مسجد ضرار، ولا الذين بنوه، ولم يصدر عنه أمر بالحرق، ولا كان من طبعه أنْ يعامل أعداءه ومخالفيه بغير ما كان يأتيه من الوحي، فقط أمر بهدم المسجد، امتثالاً لأمر الله تعالى بخصوصه، كما في تفسير ابن كثير الآية ١٠٧.

---

(٢): البخاري كتاب الأدب ح٥٦٦٣ وح ٥٥٦٦.

أمَّا أسانيد الروايات التي أخرجها البخاري وغيره ففيها:

عبد الله بن ذكوان، المعروف بأبي الزناد ترجمة (٤٣٠١) قال يحيى بن معين: قال مالك: كان أبو الزناد، كاتب هؤلاء -يعني بني أُمية- وكان لا يرضاه. وأخرج العقيلي في ترجمته عن ابن القاسم قال: سألت مالكاً عمن يحدث بالحديث الذي قالوا إنَّ الله خلق آدم على صورته، فأنكر ذلك مالك إنكاراً شديداً، ونهى أنْ يحدث به أحد، فقيل له إنَّ أُناساً من أهل العلم يتحدثون به؟ قال: من هم؟ قيل ابن عجلان، عن أبي الزناد . فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء، ولم يكن عالماً، ولم يزل أبو الزناد عاملاً لهؤلاء حتى مات، وكان صاحب عمال يتبعهم -يعني بني أُمية-[٣].

فتسقط رواية أبي الزناد هذا، لولائه لبني أُميّة، في زمن كان للباطل فيه صولة ومقام ولأهله حظوة مقال، في حين جلا أهل الحق على تخوم الجبال، وفي بواطن الأودية وأحراش الفلاة، هرباً بما في قلوبهم وأيديهم من حق، أمام الهجمة الأُموية الشرسة، الفاتكة بعباد الله والمحرّفة لدينه.

أمّا أبو هريرة فقد ظهر منه من الولاء لبني أُميّة، ما دفعه إلى الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وقد نهي من قبل عن الحديث عن النبيِّ صلَّى

---

(٣): ميزان الاعتدال ج٢ص٤١٩.

الله عليه وآله وسلم من طرف عمر بن الخطاب، الذي وصل به الأمر إلى حدِّ ضربه بالدرة، واتهمه الإمام عليٌّ عليه السلام بالكذب، حتى لم يبق لديه مقام بالمدينة في محضر من الذين وعوا من رسول الله حقاً، فانصرف إلى معاوية بن أبي سفيان يتقرب إليه بالباطل، فقربه ابن هند وقوّى جانبه، ورفع من شأنه بعد خمول، فجعل ينقل عن كعب الأحبار الخرافات والأساطير، وينسبها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، حتى امتلأت كتب القوم بالإسرائيليات، وهم يحسبونها من حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولو كان لديهم عقل وبصيرة، لردوا جملة من الخرافات التي يتوقف عندها أبسط العقلاء فيرتاب منها ويردّها، عوض الإصرار على صحتها، وتأويلها تأويلاً لا يستقيم عند ذي بصيرة، وقد أتينا عليها في ما تقدم من روايات مفتريات على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

ويأتي توثيق أُناس مثل أبي الزناد وأبي هريرة، من قبل البخاري وجماعته، لاستدامتهم على توثيق من كان يوالي الظلم والظالمين، وحظرهم لرواة المعارضة، وعلى وجه الخصوص أئمة أهل البيت عليهم السلام، كالإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أستاذ أبي حنيفة ومالك، والذي لم يخرج له البخاري رواية واحدة، على الرغم من أنَّه عاش في وسط يتواجد فيه مئات الشيوخ، الذين كانوا يقولون حدثنا جعفر بن محمد عليه السلام.

وإسناد هذه الرواية، يتطابق مع إسناد رواية أُخرى، جاءت عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وتصبّ هي أيضاً في خانة الإرهاب الأُموي، من حيث أنَّه كان يوظف الأكاذيب، وينسبها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، لتبرير أعمالهم الإجرامية التي لا علاقة لها بالدين إطلاقاً، لأنَّ الذي كان يحرق الناس بالنار، ويصلب الأبرياء ويقطع الرؤوس، ويسمل العيون ويقطع الأيدي والأرجل، ويهدم دور الثوار والمعارضين للظلم وأهله، وفي عصر اشتد فيه أهل الباطل على أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن يمتّ إليهم بصلة، فأجازوا سبّهم على المنابر والبراءة منهم، ولم يجدوا من سبيل لتثبيت عادتهم الخبيثة، غير تسخير أتباعهم للكذب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، والتقوّل عليه بأنَّ كلَّ من قال لصاحبه أنصت، والإمام يخطب بيوم الجمعة فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له.

ألا ترون تهافت هذه الرواية، وإسفافها إلى درجة تعارضها مع واجب النصيحة والأمر بالمعروف، ألا يعتبر إيقاظ النائم مثلاً من مجلسه في صلاة الجمعة، أمراً واجباً مخالفاً للرواية؟ ألا يعتبر نهي الإمام عن سبِّ أهل البيت عليهم السلام أمراً بالمعروف ومخالفاً للغو؟ إليك عزيزي القارئ الرواية لتحكم على بطلان خط الظلم، الذي تجلبب بجلباب السنة، التي هي غير سنة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قطعاً، وما هي إلَّا سنة الظالمين وأتباعهم مقابل الحق وأهله:

حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم قال: إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت. قال أبو الزناد: هي لغة أبي هريرة، وإنَّما هو فقد لغوت(٤).

حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له أنصت ليس له جمعة(٥).

ومع اعتماد هؤلاء الرواة، وهذا النمط من الروايات يتأكد لدينا المنحى السلطوي الذي كان يجاريه علماء البلاط، والذين لم يكونوا لينقلوا شيئاً، لا يرضي السلط في تلك العصور، وأشدّ من ذلك، أنَّهم كانوا يتقربون إليهم بالتملق والتزلف، والويل لمن يأتي بغير ذلك.

أما الذين يستدلون على عدالة علمائهم، بمحنة أحمد بن حنبل، أو بعقوبة مالك، فإنَّها وجميع الإيذاءات التي طبلوا لها وزمروا، لا تعني شيئاً أمام قتل مئات العلماء والرواة والحفاظ، بتهمة مولاتهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام، بدءاً من

---

(٤): مسلم كتاب الجمعة ح ١٤٠٥ .

(٥): أحمد بن حنبل مسند بني هاشم ح ١٩٢٩.

حجر بن عدي، ومروراً بميثم التمار، وكميل بن زياد، وسعيد بن جبير، وابن السكيت، وغيرهم كثير ممّن نال شرف الشهادة، في سبيل إعلاء كلمة الحق، أمام سلطات جائرة متغطرسة، فلم يرهبهم ذلك القتل، على المضي قدماً نحو الحق، فحازوا الدرجتين، درجة أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر، ودرجة الشهادة في سبيل الله تعالى، في حين كان غيرهم يتمسّح بأعتاب الظالمين.

٥٣ – الحديث الثالث والخمسون:

حدثنا محمود حدثنا شبابة حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم أنَّه صلَى صلاة. قال: إنَّ الشيطان عرض لي، فشدّ عليَّ ليقطع الصلاة عليَّ، فأمكنني الله منه فذعته، ولقد هممت أنْ أوثقه إلى سارية، حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فرده الله خاسئاً. ثمّ قال النضر بن شميل فذعته، بالذال أي خنقته، وفدعته من قول الله ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي يدفعون، والصواب فدعته إلَّا أنَّه كذا، قال بتشديد العين والتاء(٦).

بقطع النظر عن سند الرواية، وما تضمنه من إسناد الرواية، وفيها محمد بن

(٦): البخاري كتاب الجمعة ح١١٣٤.

زياد الألهاني الحمصي وهو وحريز بن عثمان، ممّن اشتهرا ببغض عليٍّ عليه السلام، ومبغضه منافق على لسان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم لقوله: «**يا عليُّ لا يحبك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق**» فترد رواية المنافق من هذا الباب.(٧)

قد كنت نقلت فيما مضى الرواية التي أخرجها البخاري في ما يسمى بصحيحه الجامع، والتي ادّعت أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم نسي بعض القرآن، ولم يذكّره فيه غير قارئ في المسجد، وقد قال: لقد ذكرني هذا الرجل ما أنسانيه الشيطان.

ترى هل لهؤلاء الذين ينقلون هذه الترهات دين، فيحسبون على الإسلام، ويصنفون من ضمن علمائه وحفاظه ورواته؟ ألا يتقون الله في رسوله المصطفى وحبيبه المسدد صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ ما هذه الأراجيف التي طفح بها كتاب البخاري الملقب بالصحيح، وغيرها من الكتب التي سلكت مسلكه؟ أهذه شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي يروون عنها هذه الأباطيل؟ أم يقصدون نبياً آخر غير النبيِّ الخاتم؟ لأنَّ كلَّ عاقل عارف بمقام الاصطفاء الإلهي، لا يمكنه أنْ يقبل باطلاً مثل هذا، حتى لو كان قليل علم، لأنَّ الشيطان

(٧): ميزان الاعتدال ج٣ص٥٥١ ت٧٥٤٤.

ليس له سبيل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (*) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ وقوله أيضاً: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (*) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[(٨)] وغيرها من الآيات القرآنية التي تفيد عصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، ليس هذا فقط، بل وأهل بيته عليهم السلام كما صرحت بذلك آية التطهير.

أليس محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل المخلوقات، باتفاق الجميع إلَّا من شذَّ، والشاذ في عرف العقلاء يجب تجنبه، لكيلا يفسد عقائد المسلمين. فلم روى البخاري وأقرانه هذه الأباطيل؟

ليس هناك من تفسير سوى أنَّ ذلك الخط قد فتح علينا باباً من الأكاذيب، التي استغلها ولا يزال أعداء الإسلام، في الوقيعة برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وبدينه القويم، وحريّ بمن له غيرة على الله تعالى ودينه ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم أن يتجنب تلك الخطوط، التي تدعي الانتساب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وتنقل عن شخصيته ما لا يجوز على أبسط الناس.

---

(٨): سورة الحجر الآيتان ٤١/ ٤٢.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (*) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٩] في هذه الآية ما يفيد، خروج المؤمن عن دائرة سيطرة ووسوسة وعمل الشيطان، ودليل نسوقه إلى الذين يرون رأي البخاري في شخصية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، من حيث قدرة الشيطان على الاقتراب منه، ومحاولة الإيقاع به، بل وجاءوا بأدهى من هذه الرواية، وقد كنت عرضت لها في بداية هذا البحث، لتتشكل أمام أعين الناس الصورة المشوهة، التي يريدون غرسها في أذهان الناس عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، في محاولة يائسة لطمس مقام أهل بيته الطاهرين، لأنَّ السبيل الوحيد لتغييب الإمامة تمثل لديهم في ضرب مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم وعصمته.

لم يسلم النور القدسي إذن من الدسِّ والتشويه، في جميع جوانب حياته الشريفة، ولم يسلم منها حتى الجانب التشريعي، وفوق ذلك كلّه جمعوا جمع باطلهم ليتسموا بأهل سنته، ويتلقبوا بأتباع منهاجه، كذباً وبهتاناً وظلماً وعدواناً، ما أثبت لنا أنّ السنة الصحيحة ليست في متناولهم، ولا تكون إلّا في بيت واحد طهره الله تعالى وأذهب عنه الرجس، وهو البيت الخلف لبيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله

(٩): سورة النحل الآيتان ٩٨/ ٩٩.

وسلم، بيت عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من أبناء الحسين عليهم السلام، ومن لقّبهم الله في كتابه بالصادقين، إليهم ينتهي العلم والحلم ومكارم الأخلاق والدين الصافي، والناس في ذلك كلّه عيال عليهم، وبتجنّبهم امتثالاً لحكامهم اسقطوا تلك السنة الصحيحة من حساباتهم، طلباً للدنيا ومتاعها، فتفرقت بهم السبل عن سبيل الحق، الذي لم يخرج يوماً عن بيت الطاهرين من آل محمّد عليهم السلام.

أمّا من حيث سند الرواية، ففيه شبابة بن سوار المدائني، الذي رمي بالإرجاء، فقد قال أحمد: كان داعية إلى الإرجاء، وقال أبو حاتم لا يحتج به[١٠]. والإرجاء مذهب روج له بنو أُمية، ليسووا بين الناس كافة، برّهم وفاجرهم تقيهم وفاسقهم، مسالمهم ومجرمهم، حتى المنافق أوجدوا له حظوة وحظاً من دين، واعتبروه مؤمناً، وروّجوا أنَّ الإيمان قول بلا عمل، والمسلم يكون ناجياً بإيمانه، وإنْ لم يصلِّ ولم يصم، وكان شعارهم: (لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة).

كلُّ ذلك لأجل ممارسة الطغاة لجرائمهم، التي لم تعرف لها الإنسانية مثيلاً في

(١٠): ترجمة ٣٦٥٣ ميزان الاعتدال للذهبي ج٢ص٢٦٠.

الفظاعة والغلظة، مع بقائهم تحت المظلة الإسلامية، وداخل الإطار الديني، الذي كانوا يتزينون به أمام مجتمعاتهم، وقد طوعوا جماعة من أدعياء العلم والدين، ليبرئوا ساحتهم من تلك الجرائم، لأنَّه كما روجوا لا تضر مع إيمان معصية، مهما كبرت ومهما وقع تعمدها، ولو كانت تعدّياً سافراً على الأنفس الزكية المحترمة، والأماكن المقدسة كهدم الكعبة نفسها بالمنجنيق، واستباحة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

دعوة إلى طريق الحق

وبعد أنْ عرضت عليك هذا العدد من الروايات، دون أنْ آتي عليها كلّها، لأنَّ ذلك يتطلب جهداً أكبر، ووقتاً أكثر، ومراجع تفي بالغاية، أدعوك إلى النظر بتبصر وعقلانية، لكلِّ ما ألبسه الظالمون جلباب الدين، وعكفوا على رعايته قروناً طويلة، حتى أصبح الدين الرسمي لأغلب الأُمَّة.

علم الجرح والتعديل والمعروف بعلم الرجال، الذي يتناول الرواية من جهة سندها، لم يُكتب بتجرد من طرف أهله، لأنَّ النزعة المذهبية كانت الحاكمة، في جلِّ كلامهم، فلم يسلم من تجريحهم مخالف لهم في الفكرة، وعكس ذلك، أمن متعصبوهم من أصحاب الكذب والتلفيق، فعدّلوهم، وأجازوا أكاذيبهم، الأمر

الذي أتاح لكثير من المفتريات، أنْ تأخذ موضع الصحيح من كلام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم.

لذلك لم أعتمد عند استعراض أكثر الروايات على أسانيدها، لما أسلفت ذكره من بليات الجرح، وطامات التعديل، وركزت بدل ذلك على مناقشة متونها من وجهتين، عقلية حيث تعاملت مع الرواية الموضوعة، بما تألفه العقل السليم، ووجهة شرعية، تمثلت في مقارنة الرواية بالثوابت القرآنية، التي تقوم مقام الإثبات أو النفي، آملاً أنْ أكون قد وفقت إلى ما ينفع الأُمَّة، في رفع معاناتها من التبعات الخطيرة لهذه الترهات، والله المستعان على ما تصف ألسنة المبطلين.

أخيراً، وبعد أنْ أتيت على ما أمكنني جمعه، من روايات ملفقة على النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم، معتَمَدة عند إخوتنا الذين اختلق لهم الظالمون اسم أهل السنة والجماعة، إيهاماً بأنَّهم كذلك، ووضعوا لهم كتباً جمعوا لهم فيها الغث والسمين والصحيح والسقيم، ولولا وجود ثلة من الرواة المؤمنين بينهم، لما وصل إليهم من الدين القويم شيء، لذلك فإنِّي أسأل: إذا كان حال الصحيح عند هؤلاء القوم هكذا، فما حال المكذوب؟

البخاري مثلاً، قيل عنه إنَّه كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، لم يخرج منه

غير أربعة آلاف، ظهر فيها ما قد رأيت منها، فيما يخص النبوة والنبيَّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان حال الصحيح المقدم عنده هكذا، فكيف يكون حال الصحيح الباقي، وهو ستة وتسعون ألف حديث، ثمّ كيف حال الضعيف والموضوع بعد ذلك؟

وما حظ البخاري الذي أوقعه انحرافه عن الحق، وتنكبه عن الطاهرين من آل محمّد صلَّى الله عليهم، بأوفر من بقية أصحاب الحديث عند تلك المذاهب، فالقضية ليست رواية عن راوٍ، كما يتصوره البعض، وإنَّما هي وعاية وحفظ، كما يقول أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام بخصوص أهل البيت عليهم السلام: «**هم عيش العلم، وموت الجهل، ينبئكم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن مكنون منطقهم، أخذوا العلم أخذ وعاية ورعاية، لا أخذ سماع ورواية، فإنَّ رواة العلم كثير، ووعاته قليل**»(١١).

وبثبوت انتشار الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، واستشرائه في آفاق المسلمين، بوضع الروايات، ونسبتها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وتأويل القرآن، وتحريف معانيه ومقاصده، كما أشار إلى ذلك

---

(١١): نهج البلاغة الإمام عليّ تحقيق صبحي الصالح ص٤٥٢ رقم: ٢٣٧.

الإمام محمّد الباقر عليه السلام في رسالته إلى سعد الخير منها: « ... **وكلُّ أُمَّة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه، وولاهم عدوهم حين تولوه، وكان من نبذهم الكتاب، أنْ أقاموا حروفه وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية، وكان من نبذهم الكتاب، أنْ ولوه الذين لا يعلمون، فأوردوهم الهوى، وأصدروهم إلى الردى، وغيروا عرى الدين، ثمّ ورثوه في السفه والصبا**»(١٢).

إلَّا أنَّ الانحراف الذي حصل، استهدف تحريف الحدود والعبث بها، كما يراد لنا الآن، بتمرير قانون الحريات الفردية، ومحاولة فرضه على التونسيين، والذي تضمن أساساً: إلغاء تجريم المثلية، وإسقاط عقوبة الإعدام، ورفع القيود الدينية على الحقوق المدنية، والمساواة التامة بين الجنسين، خاصة في مسألة الميراث، والمساواة بين جميع الأطفال، بمن فيهم المولودون خارج إطار الزواج، كلُّ ذلك استجابة لنزوات الغرب وموافقة لمخططاتهم التي تستهدف ديننا الإسلامي، ونزولاً عند رغبة إغراءات مجاميعهم المالية والاقتصادية النافذة في العالم، وكلُّ هذا التوجّه إليهم ما كان ليحصل، لولا أنَّ من يحكمنا قد استحكم في عقله، وباء الميل

---

(١٢): الكافي الشيخ الكليني ج٨ ص٨٣.

إليهم ومودتهم، وطاعتهم فبئس للظالمين بدلاً.

وبانحراف مسار الأُمَّة عما هو مرسوم لها، فإنِّني أقف بين يديك أيها الأخ في الإسلام لأذكرك، وأوجه لك نداء القائد العظيم والنبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلم، لعلّك إذا رجعت إليه وعملت به، تحفظ نفسك من اتباع سبيل الوضاعين ومسلك الكذابين، فقد أدَّى صلَّى الله عليه وآله وسلم الأمانة ونصح في الدين، ولم يترك الأُمَّة إلَّا وقد بيّن لها كلَّ شيء، وأدّى عن المولى تعالى ما أمر به، وأحاديثه وسننه الصحيحة هي من الدين، وليست خارجة عنه، حتى تترك للناس يفعلون بها ما يريدون، بل إنَّ مسألة الحفظ هي من مشمولات الشريعة وصاحبها، وقد أحالنا البارئ تعالى ونبيه الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلم، على أهل بيته عليهم السلام، لأنَّهم هم المستحفظون على الدين، والقائمون عليه من بعده، هم العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهم حبل الله المتين، وهم الإمام المبين، وهم الهداة الذين أمر البارئ تعالى بالاقتداء بهم بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، وسلوك نهجهم واتباع صراطهم المستقيم، لأنَّهم من أنعم الله تعالى عليهم، هم الأبرار الذين نزلت فيهم آيات بيّنات عديدة، منها أوائل سورة الدهر (الإنسان)، وهم الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ليكونوا الوعاء الصافي والمعدن المختار، لحمل أعباء الإمامة وحفظ الشريعة بها.

كما وجهنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم إليهم، ودعانا إلى اتباعهم في أحاديث عديدة، أنقل منها حديثين، أخرجهما إخوتنا من أهل السنة في كتبهم المعتمدة عندهم، لكنَّهم لم يعملوا بها، تجاهلاً من بعضهم، وتأويلاً على غير وجهه من البعض الآخر، وتكذيباً من حثالة منهم لا تساوي شيئاً، ممّن اتبعوا منهاج ابن تيمية، وفلول الوهابية، وجماعة القاعدة الذين لم يعلموا من الدين شيئاً، سوى تشويهه وتنفير الناس منه.

الحديثان يدفعان بمن يقرأهما إلى التدبر فيهما، إلى الانطلاق في البحث كما حصل لي، قد تؤدي بكلِّ من أراد الله به خيراً، إلى الإقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام، والتخلي عن ولايات غيرهم، لأنَّها لم تأتِ بخير مطلقاً، وهم في اتباعهم لها من سيئ إلى أسوء، وعصرنا اليوم هو عصر غربة الدين، وعودته لن تكون على شاكلة مسار الظالمين، ولا تخطيطاتهم التي استمرت أربعة عشر قرناً.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في الحديث الأول: «**تركت فيكم ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»[1].

---

(١): حديث الثقلين: أخرجه: الترمذي ج٥ ص٣٢٨ ح٣٨٧٤ ص٣٢٩ ح٣٨٧٦/ مسند أحمد ج٥ ص١٨٢ ص١٨٢ وبعدة طرق أُخرى ١٨٩/ أخرجه الحاكم النيسابوري معلقاً عليه بقوله: هذا حديث صحيح

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في الحديث الثاني: «**إنَّما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**»(١).

جعلنا الله تعالى وإياكم من أتباعهم وأشياعهم، وأنصارهم وأعوانهم، وخدامهم والمستشهدين بين أيديهم، ونسأله تعالى أنْ يحشرنا في وفدهم وزمرتهم، ويجمعنا تحت لوائهم، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

حديث الطاهرين عليهم السلام

عن الطاهر صلَّى الله عليه وآله وسلم

إنّ من أكبر الكرامات والنعم، التي منَّ بها الله سبحانه وتعالى، على عبده الصالح، عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، أنْ يكون مشمولاً برعاية وعناية، وتربية أفضل مخلوقاته، وصفوة عباده المنتجبين، حبيبه محمّد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله

الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، واعترف بذلك الذهبي في تلخيص المستدرك/ خصائص النسائي ص٢١ / الصواعق المحرقة ص ١٤٧ / مسلم كتاب الفضائل باب فضائل عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ج٧ص١٢٢ / تفسير ابن كثير الدمشقي ج٤ص١١٣ / مصابيح السنة للبغوي ص٢٠٦/ كنز العمال للمتقي الهندي ج ١ص ١٥٤ وبعدة طرق أُخرى.... رواه من الصحابة ٣٥ صحابياً.

(١): حديث السفينة: أخرجه: تلخيص المستدرك للذهبي / المعجم الصغير للطبراني ج٢ص٢٢ / الصواعق المحرقة ابن حجر ص٩١/ حلية الأولياء أبو نعيم ج٤ص٣٠٦ -الجامع الصغير للسيوطي ج٢ص١٣٢ -المستدرك للحاكم ج٢ص٣٤٣ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٩٥.

وسلم، فقد خصه الله بذلك اللطف، عندما كان مكفولاً في بيت عمِّه أبي طالب، فكان قرينه في حلّه وترحاله، وثناه كافلاً له في بيت الزوجية، بيت خديجة سيدة نساء العالمين، وبينهما نشأ عليٌّ نشأة عظيمة، لا أعتقد أنَّ أحداً غيره أنعم الله عليه، بمثل ما ترعرع فيه صالح المؤمنين.

من هذا المعين، أردت أنْ أُوشّح مؤلفي هذا بما قاله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، في سيد أهل بيت العصمة صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو الأعلم به، والأقدر على وصفه، وأقرب الناس منه وإليه، من بقية الناس مهما تزلّفوا بالقرب وتظاهروا بالصحب، فعند المحك تعرف الحقائق.

«اَللَّهُمَّ دَاحِيَ اَلْمَدْحُوَّاتِ، وَ دَاعِمَ اَلْمَسْمُوكَاتِ، وَ جَابِلَ اَلْقُلُوبِ عَلَى فِطَرَاتِهَا، شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا، اِجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَاَلْفَاتِحِ لِمَا اِنْغَلَقَ، وَاَلْمُعْلِنِ اَلْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَاَلدَّافِعِ جَيْشَاتِ اَلْأَبَاطِيلِ، وَاَلدَّامِغِ صَوْلاَتِ اَلْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ اَلْقَابِسِ، وَأَضَاءَ اَلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ اَلْقُلُوبُ، بَعْدَ خَوْضَاتِ اَلْفِتَنِ وَاَلْآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ اَلْأَعْلاَمِ وَنَيِّرَاتِ اَلْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ اَلْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ اَلْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ اَلدِّينِ،

وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إلى اَلْخَلْقِ، اَللَّهُمَّ اِفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ اَلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اَللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ اَلْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ اِبْتِعَاثِكَ لَهُ، مَقْبُولَ اَلشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ اَلْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ، اَللَّهُمَّ اِجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ اَلْعَيْشِ، وَقَرَارِ اَلنِّعْمَةِ، وَمُنَى اَلشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اَللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ اَلدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى اَلطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ اَلْكَرَامَةِ»(١).

«حتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ الله سُبْحَانَه وتَعَالَى إلى مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ (الأُصول) مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه، عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ»(٢).

«تَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إلى الله الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّه، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِه، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً... ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِه، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِه، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِه، أَكْرَمَ الله مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَه، فَإِنْ قَالَ: أَهَانَه،

(١): نهج البلاغة الإمام عليّ شرح صبحي الصالح ص ١٠٧ خ٧١.

(٢): نهج البلاغة، الإمام عليّ ج١ ص١٨٥.

فَقَدْ كَذَبَ -واللهِ الْعَظِيمِ- بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ، وإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ، حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، واقْتَصَّ أَثَرَهُ، ووَلَجَ مَوْلِجَهُ، وإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ الله جَعَلَ مُحَمَّداً صلَّى الله عليه وآله وسلم عَلَماً لِلسَّاعَةِ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ منَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا، حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ»(٣).

ولحفيده الإمام عليِّ بن الحسين وزين العابدين عليه السلام، ذكر باذخ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في ما بلغنا من أدعيته الجليلة الشأن، الرفيعة القدر، المليئة ببليغ المعاني وبديع الألفاظ، والناطق بها لسانه بالأسحار، وأغلب الناس غافلون نيام، تتلقفها ملائك الرحمن بالرغبة والامتنان، معرّجة بها إلى محلِّ الكرامة، ومنازل السلامة، مثنيّاً عليها عند من خصهم الله بأنوار هدايته، وأطلعهم على دينه الحق.

وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَ إِنْ عَظُمَ، وَلَا يَفُوتُهَا شَيءٌ وَإِنْ لَطُفَ. فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ، وَ كَثَّرَنَا بِمَنِّهِ**

(٣): نهج البلاغة الإمام علي ص٥٨ – ٦٠.

عَلَى مَنْ قَلَّ. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إمام الرَّحْمَةِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ. كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَّتَهُ وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ. وَأَقْصَى الْأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ وَقَرَّبَ الْأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ. وَ وَالَى فِيكَ الْأَبْعَدِينَ وَعَادَى فِيكَ الْأَقْرَبِينَ وأَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إلى مِلَّتِكَ. وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ وَهَاجَرَ إلى بِلَادِ الْغُرْبَةِ، وَمَحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ، وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ، وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ، إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَاسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ. حَتَّى اسْتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ. فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ، وَمُتَقَوِّياً عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ. وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. اللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إلى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ حَتَّى لَا يُسَاوَى فِي مَنْزِلَةٍ، وَلَا يُكَافَأَ فِي مَرْتَبَةٍ، وَلَا يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَل مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ، يَا وَافِيَ الْقَوْلِ، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»(٤).

(٤): الدعاء الثاني من الصحيفة السجادية للإمام عليٍّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

الفصل الثالث

البخاري ليس أقل سوء

من الصحيفة الدّنماركية

كسائر الذين بنوا عقيدتهم على الوراثة والتقليد الأعمى، كنت أرى البخاري وكتابه الجامع للأحاديث المعروف بالصحيح، المرجع الثاني بعد القرآن الكريم، فهو حافظ السنة النبوية الصحيحة، والمقدم على جميع كتب الحديث.

لم أكتسب طبعاً تلك القناعة عن علم وبصيرة، وإنَّما نشأت بفعل التبعية التي انسقت إليها، ظناً بأنَّ الذي كنت عليه لا يعدو كونه الإسلام الصحيح.

وبمرور الزمن وتقدمي في السن والعقل، بدأت أكتشف زيف وبطلان المسلك الذي اخترته لديني، والطريق الذي انتهجته لدنياي وآخرتي، فوفقني الله سبحانه وتعالى للوقوف على جملة من الأكاذيب والأباطيل التي أُلصقت بالله تعالى ورسوله وصفوته من خلقه، وبالدين الإسلامي ككل جعلت منه مرمى عارياً للقاذفين، ومطية سهلة للمستهزئين، بما جناه البخاري بالخصوص على الإسلام مرسِلاً ورسولاً ورسالة.

ومن أجل استيضاح ما ذكرت من تجاوزات، رأيت أنْ أكتب هذه الأسطر، ولسان حالي يقول لعلّ فيما أكتب وسيلة، لمن يرغب فعلاً في اتباع الحق وأهله، والابتعاد عن باطل ظلّ دهراً، يتبجح به الضالون ويرفعونه على الأحق بأنْ يرفع، بشتى الذرائع والتبريرات، سائلاً المولى تعالى أنْ ينصر الحق وأهله ويبطل الباطل وأهله.

من هو البخاري؟

هو محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن بروزبه، ونسب إلى الجعفي البخاري، بسبب كونه مولى لسعيد بن جعفر الجعفي والي خراسان. مات جده المغيرة على مجوسيته [٥].

ولد سنة ١٩٤وتوفي سنة ٢٥٦ هجرية، بمعنى أنَّه عاصر أئمة أهل البيت عليهم السلام محمد بن عليٍّ الجواد (١٩٥/ ٢٢٠) وعليَّ بن محمد الهادي (٢١٢/ ٢٥٠) والحسن بن عليٍّ الزكي المعروف بالعسكري (٢٣٢/ ٢٦٠) عليهم السلام، فتجنّبهم ولم يأخذ عنهم مع شهرتهم، كما أنَّه التقى بمئات العلماء الذين تخرجوا على يدي الإمامين، أبي جعفر محمّد بن عليٍّ الباقر، وابنه أبي عبد الله جعفر

(٥): وفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ص٣٣١.

بن محمّد الصادق خامس وسادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، والعلماء الذين كانوا يحضرون مناظرات الإمام عليٍّ بن موسى الرضا عليه السلام في مجلس المأمون العباسي، ومع ذلك لم يروِ عنهم جميعاً شيئاً، ليس لخفاء مكانهم في الحجاز والعراق ونيسابور، ولا لخمول أشخاصهم، وإنَّما بسبب معاداة أنظمة الحكم لهم، باعتبارهم معارضين للسلطة، وكلُّ من ثبتت عليه تهمة المعارضة، صار إلى الضيق والضنك والشظف من العيش، فمن هذه الناحية كان البخاري يخشى على حاله، من أنْ يصنف معارضاً للطغاة، فلم ينقل إلَّا عمن رضي عنه السلطان، واعتبره من أنصاره.

كتابه الجامع للأحاديث الملقب بالصحيح

جاء البخاري في زمن كثر فيه الحفاظ وكتبهم، فبعد أنْ كان مذهب الحكام الثلاثة الأوائل منع رواية الحديث وتدوينه، وبعد أنْ ألقى المنافقون ما ألقوا، من تزويرهم وكذبهم على الله ورسوله في العصر الأُموي -وقد كان رأسهم معاوية قد افتتح سوق البهتان، بإغراء ذوي الأنفس المريضة بالمال والمناصب والقطائع، من أجل وضع الروايات، ونسبتها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم- تجسدت رغبة تدوين السنة النبوية بعد قرن ونصف من وفاة صاحبها. وجد البخاري نفسه بين شيوخ ومصنفات تفوق ٢٥٠ مصنفاً، فعزم على أنْ يخرج للناس كتاباً يحتوي على ما

كان يراه صحيحاً. فجمع في كتابه الجامع سبعة آلاف ٢٧٥ حديثاً مكرراً، أمَّا غير المكرر فهو أربعة آلاف حديث. وقد قيل إنَّه بدأ في جمعها وعمره ست عشرة سنة، وأتمها بعد ست عشرة سنة أُخرى. وقد قالوا عن جمعه هذا، وظل يجمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية وعمل دؤوب، وصبر على البحث وتحري الصواب، قلَّما توافرت لباحث قبله أو بعده حتى اليوم، وكان بعد كلِّ هذا لا يدون الحديث إلَّا بعد أنْ يغتسل ويصلِّي ركعتين.

جميل أنْ يتحلى عالم بمثل الخصائص التي نسبت للبخاري، ولكنْ هل هي فعلاً تنطبق على شخص هذا الرجل، الذي علا نجمه في ساحة تعج عجيجاً بفطاحل العلماء والمحدثين، منهم شيوخ البخاري نفسه. فلم يجدوا لأنفسهم تلك الحظوة والمكانة التي نالها البخاري.

اقتصار البخاري على أربعة آلاف حديث في جامعه الملقب بالصحيح، لم يأتِ من قلة معرفته بالأحاديث الصحيحة، فقد روي عنه بأنَّه كان يحفظ مئة ألف حديث صحيح، ونقل عنه قوله: ما نقلت غير الصحيح وما تركت من الصحيح أكثر. فهل كان محقاً في اقتصاره واختصاره ووقفه في النقل على تلك الأحاديث؟ وهل كانت صحيحة فعلاً حسب دعواه؟ سنرى في بحثنا هذا، إنْ كان البخاري أو من قدم البخاري محقاً في دعواه، أم هو على العكس تماماً، وغايتنا دائماً إظهار الحق

وإبطال الباطل، لا نخاف في ذلك لومة لائم.

الغلو في شخص البخاري

إنَّ المتصفح لما أُحيطت به شخصية البخاري إنْ كان منصفاً، ولم يحل عمى القلب بينه وبين عقله، يلاحظ هالة الغلو والإفراط، في الإعلاء من شأن البخاري وكتابه الجامع، فعلى سبيل الذكر قال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ:

سمعت عدّة مشايخ يحكون أنَّ محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا، وإسناد هذا لمتن هذا، ودفعوا إلى كلِّ واحد عشرة أحاديث، ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته.

فقال لا أعرفه، وسأله عن آخر، فقال لا أعرفه، وكذلك حتى فرغ من عشرته، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون الرجل فهم، ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز، ثمّ انتدب آخر، ففعل كما فعل الأول، والبخاري يقول لا أعرفه، ثمّ الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على لا أعرفه، فلمّا علم أنّهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم فقال:

أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا، إلى العشرة، فردّ كلَّ متن إلى إسناده، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقرَّ له الناس بالحفظ، فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح(٦).

وفي رواية أُخرى

روي عن أبي الأزهر قال كان بسمرقند أربعمائة ممّن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة البخاري، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن، والمتفحص النبيه يدرك بسهولة ودون عناء، مدى التهويل والتضخيم في الروايتين، حتى الذي قيل إنَّه تميز بملكة الحفظ عن سماع واحد، لا يستطيع أنْ يخزن كلَّ تلك المعلومات، والتي تعدُّ بالمئات أسماء وكنى متشابهة، ثمَّ يعود بعد ذلك لتصحيحها عن ظهر قلب(٧).

وقد اعتمد على هذا الأُسلوب، في الرفع من مكانة البخاري وكتابه جامع الأحاديث، حتى لا يتطرق شك إلى شخصه، وتؤخذ رواياته مأخذ الصحة

---

(٦): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لغازي محمد بن عبد الله ج٤ ص ١٨٨/ ١٨٩/ إمداد القارئ الشيخ الجابري ج١ ص١٤/ ١٥.

(٧): سير أعلام النبلاء الذهبي الطبقة الرابعة عشرة البخاري ص٤٠٨/ ٤٠٩.

والتسليم، فلا يقع تتبعها. وذهب أغلب علماء الجرح والتعديل إلى القول، بأنَّ من روى عنه البخاري فقد اجتاز القنطرة، ولا يلتفت إلى شأن التجريح فيه، ولا إلى من جرحه، وهالة التعديل التي تربع عليها البخاري جُعلت لتكون الغطاء الأمثل لعدد مهم من الرواة الذين اعتمد عليهم في نقل الرواية، دون أنْ ننسى انتماءه المذهبي، وشيوخه الذين أخذ عنهم، وحتى يتبين الخيط الأبيض من الأسود من تقديس البخاري وعدالة رجاله، تعالوا نلقي نظرة، على ما أمكننا العثور عليه من حقائق بعض رواته.

البخاري يروي عمّن هبَّ ودبَّ

قلت إنَّ البخاري وباعتبار أُصوله غير العربية، لم يتمكن من أنْ يجد لنفسه مكانة، إلَّا باعتماده رواية أحاديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، بالكيفية التي ترضي السلطات الحاكمة في تلك الفترة من الزمن، وجاءت هالة تقديسه والثناء عليه لصرف النظر عن سقطاته وتتبع عوراته، التي طفح بها كتابه الجامع، وإلَّا كيف يمكننا أنْ نقنع بحال أسانيده التي وثقها، وجعلها من جاء بعده أصح الأسانيد وأوثقها، ورواياته إلى مستوى التقديس، ومن حدثته نفسه بالإشارة إلى بعضها تجريحاً فإنَّه يفسق ويكفر قطعاً. ومن أجل إبراز هذه الحقيقة، ارتأينا أنْ نكشف عن بعض رجال البخاري الذين اعتمد عليهم، دون التفات إلى حالهم

الذي يمنعه من النقل عنهم، بسبب ثبوت التهم المجرحة لهم وخصوصاً الكذب والتدليس، واتباع البدع في الدين الإسلامي.

وهذا الذكر ليس تدقيقاً لكلِّ رجال البخاري، وإنَّما هو اختصار لبعض أسانيده، وما حوته من رواة، تاركاً بقية البحث لمن يريد معرفة المزيد عنه.

عكرمة مولى ابن عباس

اعتمده البخاري، مع أنَّ مسلماً قد تجنبه، ولم يروِ له إلَّا مقروناً بغيره، كان يرى رأي الخوارج، أخرج الذهبي في ميزان الاعتدال: عن عبد الله بن الحارث قال دخلت على عليِّ بن عبد الله بن عباس فإذا عكرمة في وثاق عند باب الحش، فقلت له ألا تتقي الله، فقال: إنَّ هذا الخبيث يكذب على أبي، وروي عن سعيد بن المسيب أنَّه كان يكذب عكرمة، وكان يقول لمولى له اسمه برد: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس، وكان يأتي الأُمراء فيطلب جوائزهم. مات عكرمة والشاعر كثير عزة في يوم واحد، فشهد الناس جنازة كثير، وتركوا جنازة عكرمة(٨).

إسماعيل بن أويس:

عن يحيى أنّه قال: ضعيف العقل، وقال الدارقطني لا اختاره في الصحيح،

(٨): ميزان الاعتدال للذهبي ج٣ص٩٣/ ٩٦.

وقال ابن عدي: قال أحمد بن أبي يحيى: سمعت ابن معين يقول: هو وأبوه يسرقان الحديث، وقال الدولابي في الضعفاء: سمعت النضر بن سلمة المروزي يقول: كذاب كان يحدث عن مالك بمسائل ابن وهب.. وقال العقيلي: حدثني أُسامة الدقاق بصري، سمعت يحيى بن معين يقول: إسماعيل بن أبي أويس لا يساوي فلسين. وقال الذهبي: وساق له ابن عدي ثلاثة أحاديث ثمّ قال: وروى عن خاله مالك غرائب، لا يتابعه عليها أحد(٩).

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية:

ابن عمِّ عثمان بن عفان. قال فيه ابن حجر: يقال إنَّ له رؤية - أي صحبة للرسول - فإنْ ثبتت فلا يعرج على من تكلم فيه.

وقال عروة بن الزبير كان مروان لا يتهم في الحديث، وقد روى عنه سهل بن سعد الساعدي الصحابي اعتماداً على صدقه، ومن منا لا يعرف مروان، وأبوه الحكم بن العاص طريد رسول الله، وكان معدوداً من ضمن المبغضين للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله والمؤذين له، كان يتهكم عليه ويحاكي مشيته خلفه، وتفطن له فلعنه وطرده من المدينة، ولم يعد إليها إلَّا في حكم عثمان، الذي تجرأ وأعاد عمّه، وضمّ ابن عمّه إلى

(٩): ميزان الاعتدال ج١ ص٢٢٢/ ٢٢٣.

دار الإمارة، وجعله كاتباً له، ومنه نشأت الفتنة، والنقمة على عثمان، ثمَّ انغمس بعد ذلك في الفتنة، وشارك في معركة الجمل، يرمي بالسهام على الفريقين، وكان قاتل طلحة بن عبد الله، رماه بسهم وهو معه في جيشه، ومن عجيب تأويل هذا الفريق، ما قاله ابن حجر: أمّا قتله طلحة فكان متأولاً فيه، ثمّ التحق مروان بمعاوية، وأشهر سيفه مؤازراً له، طلباً للخلافة لبني أبيه وقد تحقق أمله، في اعتلاء ابنه عبد الملك، لسدة الحكم بعد يزيد بن معاوية. فهل خفي كلُّ هذا عن البخاري، حتى يعدله ويعتمده في كتابه؟ (١٠)

عمران بن حطان السدوسي:

الشاعر المشهور، كان يرى رأي الخوارج، وكان شاعرهم ويدعو لمذهبهم، قال ابن حجر: وهو الذي رثى عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليٍّ عليه السلام، بتلك الأبيات السائرة، وقد وثقه العجلي وقال قتادة كان لا يتهم في الحديث. وقال أبو داود ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج، ثمّ ذكر عمران هذا وغيره(١١).

---

(١٠): مقدمة فتح الباري/ أسماء من طعن فيهم من رجال البخاري.

(١١): المصدر السابق.

معاوية بن أبي سفيان:

من الطلقاء الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة، روى له أصحاب نهجه، لم تثبت أيُّ فضائل لمعاوية على لسان الرسول صلَّى الله عليه وآله قال بذلك إسحاق بن راهويه أُستاذ البخاري. وعرض على النسائي بعد تأليف خصائصه كتابة شيء في معاوية، لا أعلم له فضيلة غير قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم له: «**لا أشبع الله بطنه**»(١٢).

فحرضوا عليه العامة فداسوه في مذاكيره، وقتل بسبب ذلك(١٣).

فأيُّ عدالة يمكن اعتمادها لمعاوية، وهو الخارج على خليفة المسلمين وإمام الأُمَّة، والشاق للوحدة وعصا الطاعة؟ ألم يقل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: إذا قام خليفة وقام الثاني فاقتلوا الثاني منهما(١٤).

فكيف يوثق الفتان والمتمرد والمحارب لله تعالى ورسوله؟ والنبيُّ صلَّى الله

---

(١٢): صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأدب باب من لعنه النبيُّ أو سبّه ح ٤٧١٣/ مسند أبي داود الطيالسي كتاب حديث النساء ح ٢٨٦١.

(١٣): انظر فتح الباري ح ٧ باب ذكر معاوية. وانظر ترجمة النسائي في كتب التراجم ومقدمة سننه باعتباره صحابياً عدلاً. وروى له البخاري ثمانية أحاديث.

(١٤): صحيح مسلم كتاب الإمارة ج٣ ح١٨٥٣.

عليه وآله وسلم القائل لعليٍّ عليه السلام: سلمك سلمي وحربك حربي(١٥). وأيُّ عدالة لمن أغرى لقتل ريحانة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم الحسن بن عليٍّ عليهما السلام، فدست له زوجته جعدة السم طمعاً، فقضى مغدوراً شهيداً بسببه.

وأيُّ صدق يحتمل ممّن أسس أساس سبِّ ولعن عليٍّ عليه السلام وأهل بيته، على منابر المساجد، حتى درج وتربى عليها ثلاثة أجيال من المسلمين؟

أبو هريرة الدوسي

أورده ابن حجر في باب من لا يُعرف اسمه، واختلف فيه وقال فيه: روى له البخاري (٤٤٦) حديثاً، اختلف في اسم أبي هريرة أكثر من عشرين خلافاً(١٦).

بسر بن أرطأة:

قال فيه ابن معين كان رجل سوء، وبسر هذا كان من قادة جيوش معاوية، الذين قادوا حملات الإبادة والتصفية الجسدية لمعارضيه، وهم أنصار عليٍّ في الحجاز

---

(١٥): صحيح الترمذي كتاب المناقب فضائل فاطمة ج ٥ ص ٦٥٦/ سنن ابن ماجة فضائل الحسن والحسين ج١ ص ٥٢/ المعجم الكبير الطبراني ج ٣ص ٤٠ ح ٢٦١٩و٢٦٢٠،و٢٦٢١/ المستدرك على الصحيحين الحاكم ج٣ ص ١٤٩.

(١٦): انظر تاريخ الصحابة لابن حبان/ طبقات ابن سعد/ الإصابة في تمييز الصحابة/ أسد الغابة في معرفة الصحابة/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.

واليمن، وكان الإمام عليٌّ قد دعا عليه، وقد روى له أبو داود والترمذي والنسائي.

يزيد بن زياد الكلاعي الحمصي

نهى أحمد عن مجالسته، وكان الأوزاعي سيئ القول فيه، وكان يكره الإمام عليّاً عليه السلام لقتله جدّه في صفين. روى له البخاري وغيره.

طارق بن عمرو المكي:

مولى عثمان بن أبي عفان. ولي المدينة من قبل عبد الملك بن مروان، وكان من ولاة الجور. روى له مسلم وأبو داود.

عمرو بن سعيد بن العاص الأُموي:

المعروف بالأشدق. كان والياً على المدينة من قبل معاوية ويزيد، خرج على عبد الملك بن مروان فقتله، عدّ من ولاة الجور. روى له مسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي.

مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي:

قال فيه أحمد: ليس بشيء. وقال الدارقطني: لا يعتبر به. ونقل البخاري أنَّ ابن مهدي لم يكن يروي عنه. روى له مسلم وغيره.

حريز بن عثمان الرحبي الحمصي:

متهم بسبّ الإمام عليٍّ عليه السلام، والكذب على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم روى له البخاري وغيره.

عمر بن سعد بن أبي وقاص:

روى له البخاري وغيره من أصحاب الصحاح، قاد الجيش الذي قتل الحسين عليه السلام وأبناء الرسول صلى الله عليه وآله في كربلاء. روى له البخاري وغيره. قال فيه الذهبي مقالة تعصب باطلة: هو في نفسه غير متّهم لكنّه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل. تابعي ثقة. وسأل ابن زهير ابن معين: أعمر بن سعد ثقة؟ فقال: كيف يكون من قتل الحسين ثقة[١٧].

أخرج لأبي هريرة (٤٤٦) حديثاً.. لابن عمر (٢٧٠) حديثاً. هذا بينما لم يروِ البخاري لبنت الرسول سوى حديث واحد.. ولم يروِ لعليٍّ بن أبي طالب غير (٢٩) حديثاً فقط أغلبها مفتعلة، ومنسوبة إليه نسبة دون وجه حق لأنَّه يقول بخلافها، فهل يرى عاقل ظلماً وحيفاً وقلباً للحقائق، أوضح من هذه السقطات؟

وهؤلاء الثلاثة على وجه الخصوص (عائشة، أبو هريرة، ابن عمر) من

(١٧): ميزان الاعتدال الذهبي ج٣ص١٩٨/ ١٩٩.

خصوم الإمام عليٍّ عليه السلام، الذين أعلنوا انحيازهم بالكامل إلى صف معاوية وبني أُمية.. وتجد الروايات المنسوبة للرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، والمتعلقة بالحكام وطاعتهم، والصبر على أذاهم وظلمهم، وتبرير الوضع السائد قد جاءت عن طريق هذا القسم، خاصة هؤلاء الثلاثة (١٨).

هذا الحصر خاص بالبخاري، أمّا كتب السنن الأُخرى فقط روى فيها هؤلاء الثلاثة الكثير . ومجموع ما رواه أبو هريرة وحده أكثر من خمسة آلاف وما روته عائشة (٢٣٠٠) حديث . وما رواه ابن عمر (٢٦٠٠) حديث (١٩).

هذه عينات ممّا لحق النبيَّ صلَّى الله عليه وآله من البخاري وجامعه الذي لا يزال يتبجح به المفتونون بأنَّه أصحُّ كتاب بعد كتاب الله، ومن أراد أنْ يقف على المزيد فأنا على استعداد لنقل بقية رواياته الفاسدة ونشر بضاعته الكاسدة.

أمّا ما لحق بقية الأنبياء من البخاري ورواته، كالنبيِّ إبراهيم الخليل عليه السلام من نسبة الكذب إليه، وموسى بن عمران من نسبة تمرده على ملك الموت وضربه على عينه ففقأها، وهروب الحجر بثيابه وتتبعه عرياناً وهو ينادي ثوبي حجر، ومشاهدة بني إسرائيل له عرياناً تبرئة من الله له بعدما اعتقدوا أنَّه آدر، وغير

---

(١٨): مقدمة فتح الباري لابن حجر.

(١٩): المصدر السابق.

ذلك من الأساطير التي لا يستسيغها العقل الإغريقي الأول فضلاً عن الإسلامي، فإنَّني اختصاراً للمطلب أُشير إليها مروراً دون توقف لتهافتها وبُعدها عن الواقع والحقيقة، فقط من شاء أنْ يتحقق من وجود تلك الروايات فليعد إلى كتاب الفضائل من جامع البخاري ومن جرى مجراه كمسلم النيسابوري ليتأكد من وجود تلك المفتريات الباطلة في تلك الكتب التي أُلبست جلباب الصحة، وهي في منتهى السقم والاعوجاج عن الجادة.

الغلو في كتاب البخاري

نسج مبتدعة أنظمة الحكم حول كتاب البخاري خرافات، زادت من استماتة العامة على ذلك المصنف، ومن أجل نشر شيء من الفكاهة مع أنَّها تدعو إلى الأسى، على حال العقول التي آمنت بهذه الترهات نذكر منها:

عن أبي زيد المروزي قال: كنت نائماً بين الركن والمقام، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي، ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل[٢٠]. ليس هناك من شك، بأنَّ الذي أعطى للبخاري وكتابه قيمة ومكانة بين العلماء

(٢٠): مقدمة فتح الباري/ مقدمة إرشاد الساري.

والمسلمين، لم يكن سوى أنظمة الحكم العباسي، وما تلاها في تبني صغار وأشباه العلماء، الذين ساروا طوعاً أو كرهاً في ركاب الظالمين ووفق رغباتهم، التي كانت تريد إيجاد بديل عن مرجعية أئمة أهل البيت عليهم السلام.

أحد أكبر الأبواب التي دخلنا منها الأذى

لقد مثل جامع أحاديث البخاري، ومن نحا نحوه باعتماده، في نقل روايات الإساءة للنبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله، منذ أنْ التفت أعداء الإسلام، إلى الثغرات التي تشكلت منها عدد من رواياته، الباب الذي ضُرب منه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ودينه الخاتم، فسلمان رشدي لعنه الله، وآخرون كثر من أمثاله، وقد امتطوا صهوة رواياته التعيسة، التي ما كان لها أنْ تجد طريقها للمسلمين ولأعدائهم على حدٍّ سواء، لو لا المجال الذي فُسح لها، باعتمادها مرويات صحيحة، لا يتطرق إليها شك. وعليه، فإنَّني كمسلم غيور على نبيي وديني، أوجه اللوم إلى من لا يزال متمسكاً بتلك الروايات الفاسدة، ومعتقداً إلى حدِّ هذا اليوم، قداسة جامع أحاديث البخاري، قائلاً له: اتق الله في دينك ونبيك، وأعلم أنَّ الواجب يحتم عليك تنزيه رسولك صلَّى الله عليه وآله وسلم، قبل تنزيه البخاري وكتابه.

وبعد أنْ كشفنا شيئاً من حقيقة البخاري، وأسانيده ورواياته، وهو كافٍ بحدِّ ذاته لمن ألقى السمع وهو شهيد بأنْ يثوب إلى رشده، ويتدارك حاله مع البخاري

ونحوه، هل بقي هناك من شك في سقوط هالة التقديس المفتعلة التي أُلصقت بهم؟ وبالتالي وجب على عقلاء المسلمين أنْ يتعاملوا معها بما يفي حق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ودينه ويمنع عنه أذى المنافقين، شأنها في ذلك شأن أيِّ كتاب تراثي، اختلط فيه السليم بالسقيم.

بحثت عن سبب وجيه مقنع يبرر هذه الشهرة الواسعة، وهذا الصيت العالي الذي بلغه كتاب جامع الأحاديث للبخاري، وحوّله من مجرد كتاب أحاديث، شأنه في ذلك شأن بقية المدونات الروائية، إلى كتاب أُلبس ثوب الصحة، وشارف القداسة في آفاق البلاد الإسلامية، وتعنون بإجماع الأُمَّة عليه زوراً وبهتاناً، فلم أجد غير سببين اثنين، أوصلا هذا الكتاب وصاحبه إلى هذه المرتبة في التقديم والتسليم، وهما عزوفه عن فضائل أهل البيت عليهم، فكان أقل رواية لها في كتابه من بقية السنن والمسانيد، وإحجامه عن الأخذ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتلاميذهم من الشيوخ الذين عرفوا في زمان البخاري، فلم يخفوا عنه أشخاصاً ولا أمكنة، إنَّما السياسة المنحرفة هي التي ترفع الوضيع وتضع الرفيع.

أنا مدرك تماماً بأنَّني لم أكتب هذا البحث، إلَّا إرضاءً لله تعالى ورسوله ودفاعاً عن دينه، وإنَّني سوف ألقى من المهووسين بحبِّ شيخ الحديث وإمام المحدثين وقدوتهم عند العامة، أذى كثيراً أحتسبه عند الله تعالى.

غايتي الأُولى والأخيرة هي إماطة الأذى عن سنة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وكشف العابثين بها، وفضح أولئك الذين انتسبوا للسنة كذباً وتزويراً، وقد أحرقوا ما أحرقوا من صحيحها في بدايات عهودهم، ومنعوا رواتها الحقيقيين من رواية صحيحها، ولم يُسمح بها بعد ذلك إلَّا عندما طمت بالأساطير والخرافات.

وإلى المسلمين الذين لا تزال الغيرة على رسول الله صلَّى الله عليه وآله متقدة في قلوبهم أقول لهم: النبيُّ صلَّى الله عليه وآله أَولى بالدفاع عنه من البخاري وجامعه، فعلامة الإيمان حبّ النبيِّ وتنزيهه عن كلِّ النقائص، وليس العكس.

خاتمة المطاف

في الختام أتوجه بهذا النداء، إلى كلِّ الذين لا يزالون بعيدين عن إسلام أهل البيت عليهم السلام وإلى الذين ينظرون إلى هذا الخط بعين الريبة والشك أقول: لقد مضى على وفاة الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلم خمسة عشر قرناً، تقلبت فيها الأُمَّة الإسلامية بين منافق لئيم فاجر، وعدو بغيض قاهر، ضيعت في مطلعه سنة المصطفى، حتى اختلط فيها الغث بالسمين عند جمهورها، وسجل التاريخ على علاته تلك الخزايا، واتصل حبل منع التدوين بحبل التحريف، وتلقف ذلك كلّه المؤولون بفنون التثبيت والتماس الأعذار الواهية، حتى أُفرغ الدين من

محتواه وأُخرج من ثوبه وديباجه إلى أثواب بقية الديانات المحرفة، ففصل الدين عن الحياة بدأ في أُولى مراحله بالردِّ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في أُخريات أيامه، وعرقلة بلاغه للناس ثمَّ أسست حادثة السقيفة الأساس لبدء الفصل، وحلّت محلّ المسجد وأفتكت دوره الريادي في حسم قضايا الأُمَّة.

وجاء القائلون بعدم وجود نص من الله تعالى، ونبيه صلَّى الله عليه وآله وسلم، على منصب قيادة الأُمَّة، ناسبين التفريط والتقصير لهما في مسألة حساسة، عليها يتوقف استمرار عطاء الشريعة، وتأسيس رابطتها في المجتمع المسلم، فلمّا مضى أكثر أولئك المتقوّلين على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم ما لم يقولا، ظهرت بعدهم آراؤهم وأقوالهم، مذاهب ومدارس مؤيدة ومحمية ومزكاة، من قبل أغلب طواغيت العصور الماضية، ليس محبة فيها وفي الدين الإسلامي، ولكنْ لأنَّ تلك المدارس حتى البعيدة عن دوائر أولئك الجبابرة، والتي وقع احتواؤها فيما بعد، قد جعلت للظلم فسحته في الدين، وكرست مبدأ الحكم بالجور تحت عنوان إسلامي، فلا حرج في ظلم الحاكم طالما أنَّه يصلِّي. ثمّ طوعوا الحاكمية وفق الواقع التاريخي، فأجازوا المفضول مع وجود الفاضل، إلى غيرها من الترهات التي يستحي من ذكرها المسلم الواعي، والمؤمن الفطن النبيه.

والآن مرَّ كلُّ ذلك بتفاصيله، وانطلت على من انطلت صيحاته، وأخذت

لبّ من أخذت بهارجه، ولم يبقَ لنا أنْ نسلك غير طريقين: إمّا أنْ نسترسل في خط الشرود، وعبادة الظن والهوى، فنخرج من الدنيا بلا إمامة ولا بيعة، كالقطعان الشاردة بلا راع، وقد طبق هذا الرأي على مدى العصور الماضية، ولم يفرز غير الخيبة، وهو طريق الأغلبية (حوالي مليار مسلم).

وإمّا أنْ نقر بالإمامة، وما يستتبعها من اتباع واقتداء، وموالاة ننال بها سعادة الدنيا والآخرة، وهو طريق الأقلية (أقل من ٢٠٠ مليون مسلم).

إنَّني لم أدعكم حين دعوتكم إلى أُناس نكرة، ولا أشخاص غير معروفين، أو ليس لهم وزن على الساحة الإسلامية، ولم أقل لكم أيضاً تعالوا إلى فكرتي، لأنَّني لست مبتدعاً، كلُّ ما أُريد أنْ أُوصله إلى قلوبكم وعقولكم، هي نصيحة أودّ أنْ تتخذوها مطية/ للوصول إلى الرؤية الصحيحة للدين، والتي تتمثل في الابتعاد عن التعصب والتشنج، لأنَّهما سلاح الضعيف والجاهل، وأنْ نسلك من بين هذا الركام الذي ورثناه، طريق التعبد بالنص، فما صحّ وروده صحّ وجوده، والحجة تقطع السبيل على طالبها، فتأخذ به إلى العمل بها، وليس هناك لمن لم تكن له قوة، وسط هذا الخضم المتلاطم من حق وباطل، إلَّا أنْ يأوي إلى ركن شديد.

أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة لهذه الأُمَّة، من عرفهم فقد عرف

الله تعالى، من خلال علومهم وتجاربهم المعرفية، ومن أنكرهم فقد أنكر الله، لأنَّهم بابه الذي يؤتى منه. عودوا إليهم عودة التائب، الذي يرجو غفران ذنبه، أو عودة الولد الذي ذهب مغاضباً من قومه، فالتقمته سبل التيه والضياع، ويقيني أنَّكم ستجدونهم أعطف عليكم من آبائكم، وستجدون عندهم كلَّ ما تحتاجونه لحياتكم الكريمة المؤسسة على مبادئ الإسلام الحق، ولرحلتكم إلى الآخرة.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في حديث متفق عليه: «**لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»(٢١).

دعونا نعود إلى الحق، نذعن إلى مبدأ الاصطفاء الإلهي، دعونا نرجع إلى المولى سبحانه وتعالى ونقول له في حكمه وحاكميته سمعنا وأطعنا، وليس أنَّى يكون له الحكم علينا... دعونا نعود إلى أهل الذكر والراسخين في العلم، من عندهم علم الكتاب، دعونا نعود إلى الصادقين الذين أمرنا المولى تعالى أنْ نكون معهم، إلى الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. إلى لطف الله وحبله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها إلى من فرض علينا محبتهم والمحبة قدوة وتأس واتباع. دعونا نتبع هذا الخط الذي مثل المعارضة الحقة عبر العصور، وظل يدعو إلى دين الله الحق

---

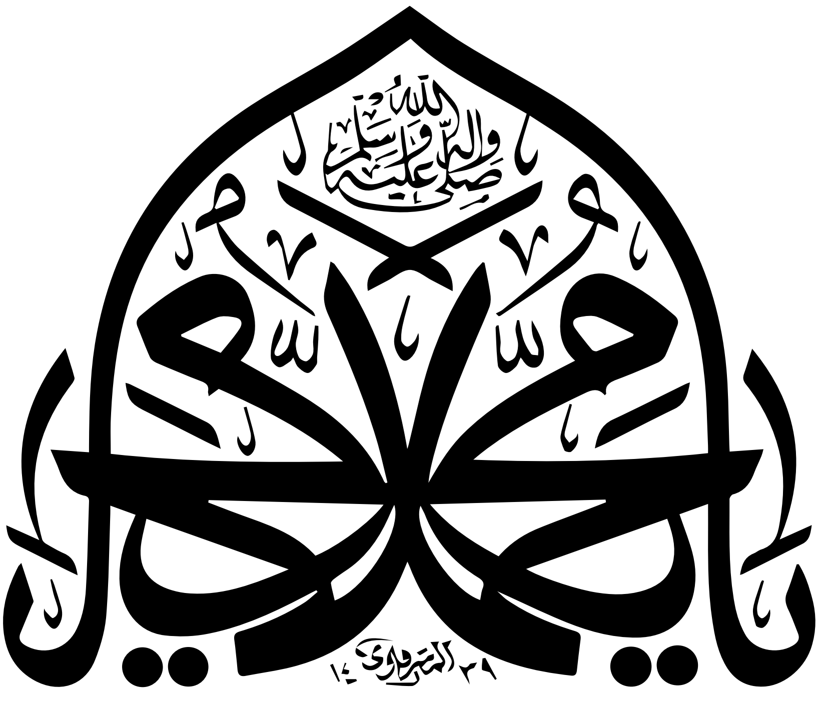
(٢١): صحيح مسلم كتاب الإمارة باب قوله لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين ح ١٩٢٠ .

بعيداً عن دوائر الظلم والظالمين، متبرئاً من إغراءاتها وإملاءاتها، محارباً لها كلَّما سنحت الفرصة.

دعونا ننتقل من خط اليأس والقنوط، إلى خط الرجاء والأمل، من خط الفوضى العارمة والتشرذم المفزع إلى الانضباط، من خط الانقطاع عن الله ورسوله والأئمة الأطهار إلى خط التواصل والولاء والطاعة، ومن خطوط الضباب والسراب، والشك والظن والقياس الباطل. كفانا مشياً وراء سراب النظريات الجوفاء والشعارات الفارغة التي تدّعي الانتماء إلى السنة النبوية وهي بعيدة عنها، لأنَّ السنة في حقيقة الأمر عند أصحابها وهم أهل بيت صاحبها، وأهل البيت أدرى بما فيه. الذين أحصى الله تعالى فيهم شريعته واستودعهم دستوره وجعلهم وعاءه وسماهم حفظته.

محتويات الكتاب

اللهم صل على محمد وآل محمد
وعجل فرجهم والعن أعداءهم


صلى الله عليه وآله وسلم
يا محمد